الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي

جامعة الجزائر معهد التاريخ

النظام الضريبي بالريف القسنطيني
أواخر العهد العثماني 1771 - 1837

رسالة ماجستير في التاريخ الحديث

مقدمة من طرف الطالبة

فلة، القشاعي المولودة موساوي

تحت إشراف

الدكتور ناصر الدين سعيدوني

السنة الجامعية 1989 - 1990

الإهــداء

أهدي ثمرة هذا الجهد العلمي الذي أتمنى أن يكون مساهمة في خدمة تاريخنا الوطني الجزائري، إلى جميع أفراد أسرتي وأخص بالذكر منهم والدي السيد عبد القادر موساوي والسيدة عائشة مقاتلي وإخوتي وأخواتي وأفراد عائلة القشاعي، وإلى من قاسموني مشاق العمل وأتعابه :

زوجي نجيب وولدي إحسان وعبد النور.

كلمة شكر

لا يسعني ، وأنا أتقدم بهذه المساهمة العلمية المتواضعة إلاّ أن أسجل شكري الخالص وعرفاني بالجميل للأستاذ المشرف ، الدكتور ناصر الدين سعيدوني ، فقد كان لي خير عون وأحسن مشجع في هذا العمل ، فلم يبخل عليّ بإرشاداته القيّمة ونصائحه العلمية وتوجيهاته الثمينة التي لولاها لما تمّ إنجاز هذا البحث .

كما أتوجّه بالشكر لكل الذين قدموا لي يد المساعدة وأخصّ بالذكر منهم القائمين على مصالح الأرشيف والمكتبات ، لكل هؤلاء أقدم شكري وامتناني .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

لقد كان إختياري للنظام الضريبي بالريف القسنطيني (1771 ـ 1837) كموضوع لهذه الرسالة ، نابعا من إهتماماتي بالتاريخ الإقتصادي والإجتماعي للجزائر خلال الفترة العثمانية ؛ هذه الفترة التي لا نستطيع فهمها وتحليلها دون الرجوع الى جانبها الإقتصادي ومدى تأثيره في باقي القطاعات الاخرى .

ومما زاد في تمسكي بهذا الموضوع الهام والحساس من التاريخ الإقتصادي لبلادنا ، هو قلة إهتمام الباحثين والمؤرخين بالنظام الجبائي المطبق على سكان الارياف ، خاصة إذا علمنا ، إعتمادا على الارشيف والوثائق التاريخية ، أن النظام الضريبي المفروض على العالم الريفي تميز بخصائص غير التي كان يتميز بها النظام الجبائي المطبق على الحواضر والمدن ، حيث شكلت المجتمعات الريفية مفتاح النظام الضريبي ومصدر النظام المالي للبايليك ، فقد أهتم الباحثون بصفة خاصة بالتاريخ الاقتصادي للمدن ، بحيث لم يحظى الريف بالإهتمام الكاف ، فبقيت جوانبه الاقتصادية والاجتماعية غامضة أو مهملة رغم كونها المحور الاساسي الذي يجعلنا نتمكن من فهم المؤسسات والاجهزة السياسية والادارية التي سيرت بايليك قسنطينة بصفة خاصة والإيالة الجزائرية بصفة عامة .

هذا وكما هو معهود بالنسبة لأي دراسة تاريخية أكاديمية ، تعرضت لمجموعة من الصعوبات و العراقيل كانت ذات صلة وثيقة بالمادة الأولى الضرورية لأي بحث علمي جامعي ، ألا وهي المصادر و المراجع و الأرشيفات المتعلقة بموضوع دراستنا ، و التي هي صعبة التناول ، حيث يوجد معظمها أو جلها بمصالح الأرشيف بفرنسا وهي موزعة على :

(1) أرشيف ما وراء البحار بآكس آن بروفانس .

Archives d'Outre - Mer à Aix - En - provence. (A . O . M .) .

(2) أرشيف الغرفة التجارية بمارسيليا .

Archives de la chambre de commerce de Marseille. (A.Ch. C. M.) .

(3) أرشيف وزارة الحربية بفانسان .

Archives du Ministère de la Guerre de Vincennes. (A . M . G .) .

(4) الأرشيف الوطنية بباريس .

Archives Nationales de Paris. (A . N . P .) .

(5) المراجع و المصادر الموجودة بالمكتبة الوطنية بباريس .

Fonds documentaire de la Bibliothèque Nationale de Paris. (B.N.P.).

و للحصول على هذه الوثائق الثمينة و الضرورية لإنجاز هذا البحث ، اضطررت الى التنقل عدة مرات الى هذه المصالح حتى أتمكن من جمع المادة الأساسية لتحقيق هذه الدراسة .

هذا وقمت بتصنيف الأرشيف والمحفوظات المستعملة في هذا البحث في قوائم ببليوغرافية ، بالإضافة الى جل المصادر والمراجع التي ارتكزت عليها هذه الدراسة ، كما وضعت قوائم خاصة بالمصطلحات العربية والفرنسية ، وذلك لتفادي تكرار بعض الكلمات ، هذا بالإضافة الى فهارس وملاحق وخرائط متعلقة بموضوع دراستنا .

أما الخطوات التي اشتمل عليها هذا العمل ، فهي تتلخص فيما تعرضت له الفصول التالية :

الفصل الأول :

الذي يتعرض للأوضاع العامة للشرق الجزائري أواخر العهد العثماني ، ويتضمن :

أ - لمحة عن المواصفات الجغرافية للشرق الجزائري .

ب - نوعية النشاط الاقتصادي بالريف القسنطيني .

فالأوضاع الطبيعية والمواصفات الجغرافية والشروط المناخية جعلت من بايليك قسنطينة منطقة تتميز بنشاطها الإقتصادي الذي يقوم أساسا على الفلاحة والرعي ، فقد لعبت الفلاحة دورا مهما في حياة المجتمعات الريفية نظرا لإعتماد غالبية سكان الأرياف عليها ، وهذا ما جعلها مكملة لاستغلال الارض في بعض المناطق ، بحيث أصبح الطابع العام للإقتصاد الريفي القسنطيني ، فلاحي - رعوي رغم المشاكل والصعوبات الذي كان يتعرض لها القطاع الفلاحي ، المتمثلة في الآفات الطبيعية كالجفاف وفترات الفيضانات وإجتياح الجراد وهبوب العواصف التي تسببت في تذبذب الإنتاج الفلاحي وهلاك قطعان المواشي في بعض

السنوات ، هذا بالإضافة الى الأساليب العتيقة المتبعة في الإستغلال الفلاحي وتقنية الري التقليدية التي حدت هي الأخرى من مردودية الإنتاج ولم تساعد على تطور مستوى معيشة سكان الأرياف .

هذا ، وقد شكلت الصناعات التقليدية نشاطا إقتصاديا إضافيا الذى اشتهرت بها بعض المناطق وتخصصت فيها بعض العشائر التي عرفت بمهارتها وحنكتها في معالجة المواد الأولية المتوفرة محليا ، بهدف تغطية الحاجات الضرورية من أدوات فلاحية ومنزلية وأسلحة و ملابس .
وقد ترتب على ذلك نوع من التبادل التجارى كان يقوم على الأسواق الأسبوعية التي سهلت عملية التبادل التجارى بين القبائل ، في وقت كانت فيه التجارة الخارجية محتكرة من طرف البيوت التجارية الأجنبية ، وموجهة لتصدير المواد الأولية الفلاحية أو الحيوانية الى البلدان الأوروبية وبعض الأقطار الإسلامية .

أما الفصل الثاني :

فقد تطرقت فيه الى الأوضاع المؤثرة في النظام الضريبي لبايليك الشرق من خلال التعرّف على النقاط التالية :

أ — الوضعية الاجتماعية بالأرياف القسنطينية .
ب — الوضعية الديمغرافية بالأرياف القسنطينية .
ج — تصرفات الحكام ونوعية السياسة التي كانوا ينتهجونها مع أهالي الريف .
د — وضعية التنظيم الاداري بالأرياف القسنطينية .

فبالنسبة للنقطة الأولى ، نلاحظ أنّ غالبية السكان بالشرق الجزائرى كانت

تقيم بالأرياف ، و أنها تأثرت الى حدّ ما بالحالة الصحية و مستوى المعيشة ، فقد كان لتكرّر الأوبئة و الكوارث الطبيعية و المجاعات منذ أواخر القرن الثامن عشر و بداية القرن التاسع عشر ، و ما صاحبها من إختفاء للأقوات و قلّة للمحاصيل و غلاء في الأسعار ، خاصة في فترات الجفاف و القحط ، أثر سلبي على الحالة المعاشية لسكان الأرياف الذين عانوا من التعاسة و البؤس و الحرمان ، كما نتج عن إنعدام الإجراءات الوقائية من طرف سلطات البايليك و الصراعات القبلية و النزاع العشائري ، انهيار ديمغرافي ، أثر الى حد كبير على القدرة الإنتاجية بالأرياف .

على أنّ السياسة التي انتهجها بعض الحكام ، و التي تميّزت بالكفاءة في التسيير و التكفل برعاية السكان و التخفيف من شقائهم ، و إقرار تنظيمات مفيدة تخدم مصالح المجتمعات الريفية الشقية ، عملت بدون شك على تحسين الاوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالأرياف ، هذا دون أن نغفل بأنّ هناك حكام آخرون عرفوا بآستبدادهم و قهرهم و سوء التسيير ، بحيث تسببوا في إفلاس الخزينة و الزيادة في بؤس و شقاء أهالي الأرياف ، و لعلّ أهم عامل تحكم في النظام الضريبي ، هو الجهاز الإداري بالأرياف و الذي كان يرتكز على سلك من الموظفين مكلفين بإقرار النظام و الأمن و قمع التمردات و إستخلاص الضرائب كالقياد والشيوخ الذين أصبحوا يشكلون همزة الوصل بين البايليك و سكان الأرياف ، لا سيما و أنهم في غالب الأحيان يختارون من العائلات القوية المتنفذة المعروفة بموالاتها لسلطة البايليك . كل هذه العوامل المختلفة من أوضاع ديمغرافية و اجتماعية و أنظمة ادارية ، كانت تشكل الأرضية المتميّزة لتطبيق نظام ضريبي يتميّز بتنظيماته و أجهزته الخاصة .

أما الفصل الثالث :

فقد تمّ التعرّف فيه على تنظيمات الجهاز الضريبي في الريف القسنطيني ضمن النقاط التالية :

أ - موظفو الجهاز الضريبي بالريف القسنطيني .
ب - أصناف الضرائب ونوعية الرسوم المستخلصة .
ج - الدوافع والعوامل المتحكمة في فرض الضرائب على سكان الأرياف القسنطينية .
د - الإصلاحات والتعديلات التي خضعت لها الضرائب بالريف القسنطيني .

لقد كان لملك الموظفين المكلفين بجمع الضرائب من سكان الأرياف صلاحيات عديدة تتمثل خاصة في تحديد مبلغ الضرائب التي تدفعها القبائل والأعراش ، والإشراف على عملية إستخلاصها ، سواء الضرائب الإعتيادية أو الشرعية كالعشور والزكاة أو الضرائب غير الإعتيادية أو المستحدثة كاللزمة والغرامة والخطيئة أو الضرائب الخاصة مثل التويزة ومهرباشا والمعونة ، أو الضرائب ذات الطابع الإداري والصبغة الإقتصادية كحقوق التولية مثل حق البرنوس وحق الفرح وحق البشارة والمشيخ وحق الخدمة ، أو العوائد والهدايا والترضيات كحق الكبش أو هدية العيد وحق الفرح أو البشارة وضيفة العادة وضيفة الدنوش وحق الشبير ، أو رسوم الأسوق وحقوق المبادلات بالأرياف كحق العسة وحق البزرة وحكور الأراضي الزراعية .

هذا وقد كان للحالة الإقتصادية للإيالة الجزائرية أواخر العهد العثماني ، والتي تميّزت بازدياد المطالب المالية للحكم المركزي واتصفت بتبذير الحكام لموارد الخزينة وسوء تصرفهم في الشؤون

المالية ، و التي أضرت بها الآفات الطبيعية و الكوارث ، مما دفع سلطة البايليك إلى إرغام سكان الأرياف على تسديد أكبر قدر ممكن من الضرائب ، لسد هذا العجز ، و هذا ما حدّ من نجاح الإصلاحات والتعديلات في النظام الضريبي التي خضعت لها الضرائب بالريف القسنطيني، و التي قام بها كل من صالح باي و الحاج أحمد باي .

أما الفصل الرابع :

فقد تمحور حول النظام الضريبي و نوعية الملكية وطبيعة الإنتاج بالأرياف ، و ذلك من خلال معالجة النقاط التالية :

أ — نوعية ملكية أو حيازة الأرض الزراعية .
ب — طرق الإنتاج و أساليب إستغلال الأرض .
ج — إرتباط الإنتاج الزراعي بالتنظيمات الضرائبية .

فقد كان لنوعية ملكية الأرض الزراعية تأثير على النشاط الإقتصادي وارتباط مباشر بالجهاز الضريبي ، إذ كانت نوعية إمتلاك الأرض و طريقة إستغلالها أساس الحياة الإقتصادية حيث وجدت عدة أصناف للملكية أهمها : أراضي الدولة " البايليك " و أراضي الخواص " ملك " و أراضي المشاع " العرش " و أراضي المؤسسات الدينية " الوقف " و قد وفرت هذه الأراضي بأختلاف أنواعها كميات معتبرة من المحاصيل الزراعية و المقادير النقدية لخزينة البايليك ، إذ أصبحت تشكل المصدر الأساسي لدخل بايليك قسنطينة .

أما النظام الضريبي و البنية الإجتماعية بالأرياف ، فكان موضوع الفصل الخامس : الذى تمّ التعرّض له من خلال النقاط التالية :

أ - القوى الإجتماعية بالأرياف القسنطينية .

ب - علاقة القوى الإجتماعية بالسلطة المحلية للبايليك .

ج - إنعكاس السياسة الجبائية على علاقة البايليك بسكان الأرياف القسنطينية .

فالقوى الإجتماعية الريفية كانت تقوم على مجموعات من القبائل و العشائر الخاضعة للسياسة الجبائية و المتأثرة بالإجراءات المتعلقة بها ، وهي من خلال النظام الجبائي تصنّف الى عدة أقسام متميّزة :

1 - جماعات الرعية الخاضعة مباشرة للسياسة الضرائبية و التي تحملت كل المطالب و التكاليف الجبائية ، بحيث أصبحت تشكل أساس القوى المنتجة بالريف و ركيزة التنظيم الضريبي .

2 - عشائر المخزن المتعاونة مع البايليك ، تمتعت بصلاحيات وامتيازات متنوعة كالإعفاء من الضرائب ، مقابل تقديم خدمات عسكرية مثل إستخلاص الضرائب و إقرار الأمن و إخماد التمردات و المشاركة في الحملات العسكرية " المحلات " .

3 - قبائل ممتنعة عن سلطة البايليك لم تساهم في دفع الضرائب ، و إنما تعاملت مع البايليك بواسطة العائلات المتنفذة " الجواد " و شيوخ الزوايا و المرابطين التي شكلت طبقة إقطاعية محلية كانت بمثابة وصل و وسيلة اتصال بين القبائل الممتنعة و الحكم المركزي ، وهذا لم يحل دون شن حملات تأديبية لإرغام بعض القبائل الممتنعة عن دفع مطالب مخزنية، وهذا ما تسبب في حركات تمرّد و عصيان ، كانت تعبيرا لرفض هذه القبائل للمطالب المالية و الضرائب العينية التي أثقلت كاهلها .

أما الخاتمة :

فهي تقييم و إستنتاج لما تمّ الوصول اليه و ذلك من خلال طرح عدة تساؤلات مع محاولة الإجابة عنها ؛ و هي تتصل خاصة بالصعوبات المالية التي كانت تتخبط فيها الإيالة الجزائرية بصفة عامة و بايليك قسنطينية بصفة خاصة التي أثرت في نظام ضريبي شمل كل القطاعات الإقتصادية كالفلاحة و الرعي و الصناعة و التجارة ؛ بحيث تميّزت الضرائب بتوسعها الى مختلف انواع إنتاج الارض أو ما يتصل به من نشاط .

(1) كانت تنظيمات الجهاز الضريبي في الأرياف القسنطينية تقوم على سلك من الموظفين المكلفين بجمع الضرائب و العوائد والمغارم ، تحدّد صلاحياتهم حسب سلم إداري محدّد يعود النظر فيه الى قائد الجبري (أو العشور) .

هذا وقد شملت التنظيمات الضريبية المطبقة بالأرياف القسنطينية ، عدة أصناف من الضرائب و الرسوم منها ما يتماشى و الاحكام الإسلامية مثل العشور و الزكاة ، و منها ما أستحدث بفعل الحاجة مثل اللزمة و الخطية و الغرامة ، ومنها ما أقر لتجاوبه مع التنظيمات الإدارية المعمول بها و الخدمات الإقتصادية التي ترتبت عنها مثل حقوق التولية و العوائد و الهدايا و الترضيات و رسوم الاسواق و حقوق المبادلات و رسوم الحكور .

(2) كان لنوعية الضرائب و طريقة إستخلاصها تأثير سلبي على تطور الملكية و طرق الإستغلال ، فالمطالب النقدية والعينية الثقيلة أدت الى تجريد الحملات و إستعمال فرسان المخزن لجمع الضرائب ، مما

اضطر مجموعات قبلية هامة التحول عن أراضيها لممارسة الرعي، كما أن كثيرا من هذه الحملات تسبب في حرق المحاصيل الفلاحية وهلاك قطعان المواشي وتشريد السكان، وهذا ما أدى الى تدهور البنية الإجتماعية والى الإضرار بالحياة الإقتصادية بالأرياف.

(3) ساعد النظام الضريبي المطبق على سكان الأرياف على تميز عدة شرائح إجتماعية، بحيث أصبحت هناك :

أ - شريحة إجتماعية خاضعة ومستغلة إستغلالا كاملا، وهي جماعات أو قبائل الرعية التي كانت ملزمة بمختلف المطالب المخزنية دون نيل الإمتيازات أو الحصول على التسهيلات.

ب - وشريحة إجتماعية متنفذة مؤلفة من العائلات الإقطاعية الكبرى والتي عرفت بالأجواد، ومن المرابطين ورجال الدين وقبائل المخزن، وقد تمتعت هذه الشريحة الإجتماعية الريفية بصلاحيات واسعة وإمتيازات متعددة على حساب غيرها من الشرائح الإجتماعية الأخرى، فأعفيت من دفع الضرائب وتمكنت من حيازة الأرض الخصبة والمراعي الملائمة، وأصبح في إمكانها تسخير الفلاحين من جماعات الرعية المعدومين (الخماسين) في خدمة الأرض التي كانت تملكها، في وقت حرص فيه الحاكم على جعل إمتيازاتها قارة وغير قابلة للتغيير، وذلك حتى يتمكن من إستخدامها في التحكم وإخضاع سكان الأرياف الذين عبروا عن رفضهم لهذا الواقع المجحف بإعلان العصيان والقيام بثورات متكررة.

ج - أما الشريحة الإجتماعية الأخرى، فقد كانت تتألف من القبائل المتمتعة أو المستقلة التي كانت تعيش إقتصادا معاشيا مغلقا، بعيدة

من التنظيمات الضرائبية ولا تتعامل مع المايليك إلا من خلال شيوخها وبالتالي، أدى واقع النظام الضريبي الى ظهور علاقات إجتماعية تعتمد على أقلية غنية وقوية أسقطت عنها المطالب وهي متحكمة في استخلاص الضرائب وأغلبية فقيرة وضعيفة، خاضعة للضغط الجبائي .

٤- تميزت السياسة الجبائية المطبقة بأرياف بايليك قسنطينة بكونها بعيدة كل البعد عن تحقيق العدالة الإجتماعية ومساواة السكان في توزيع الضرائب والمساهمات، مما جعل النظام الضريبي يوثر سلبيا في الأوضاع الاقتصادية والعلاقات الاجتماعية لبعض الجماعات ، وهذا ما جعل سكان الأرياف صنفين : أحدهما مستفيد من هذه السياسة الجبائية وهو جامع للضرائب ، والآخر متضرر منها وهو دافع لها .

٥- تميز النظام الضريبي بعدم التوزيع العادل بين سكان الحواضر والمدن والمجموعات السكنية الريفية التي تحملت الضغط المالي والعبء الضريبي ، إذ الريف يدفع أكبر نسبة من المطالب المخزنية، في وقت كانت فيه المدن لا تطالب إلا بتسديد ضرائب محددة وخفيفة، مما أدى الى إختلال التوازن في توزيع الضرائب بين عالم الأرياف وعالم المدن، وهذا ما أدى الى تدهور مستوى معيشة سكان الأرياف الذين كانوا يعانون من الكوارث الطبيعية والأحوال الصحية المتدهورة .

٦- أدى التطبيق الجائر للسياسة الجبائية الى إنكماش إقتصاد الأرياف وعزلة سكانها الذين أصبحوا يتخوفون من السلطة ، وترتب عن تلك العلاقة بين سلطة البايليك وأغلبية سكان الأرياف وهم قبائل الرعية، علاقة إستغلال بفعل الصلاحيات المخولة لعشائر المخزن ، وقد أدخل

الحكام الاتراك النمط الإداري الوحيد الذي يمكنهم من إخضاع السكان و التحكم فيهم ، وهو ذو المبدأ " حكم الجزائري بالجزائري ".

7 — نتج عن علاقة القوى الإجتماعية بالسلطة المحلية ، صلاقات ذات طابع إقطاعي ، معتمدة على عائلات كبرى صاحبة الملكيات الواسعة ، على حساب التجمعات الريفية الخاضعة من الفلاحين و الخماسين و الرعاة المعدمين الذين كانوا يعانون ثقل نظام جبائي و إداري لا يخدم سوى مصالح السلطة المركزية للبايليك والمتعاملين معها من ذوي الثروة و النفوذ .

8 — كان للحملات العسكرية الموجهة لجمع الضرائب " المحلات " تأثير كبير على نوعية علاقة القوى الإجتماعية بالبايليك ، فقد ساعدت على تأكيد مكانة المتعاونين مع البايليك و أشعرت المجتمعات الريفية بقوة السلطة المركزية و قدرتها على تطبيق الإجراءات المعمول بها ، فيما يخص المغارم و الجبايات من المناطق الممتنعة أو التي يصعب التحكم فيها .

9 — أنجر عن تنظيمات الجهاز الضريبي حدوث الكثير من التجاوزات عند جمع الضرائب أو تقييمها أو نقلها لمخازن البايليك لفائدة القائمين بذلك ، و هذا ما سمح لموظفي جهاز البايليك بأكتساب ثروات ضخمة و الحصول على مصادر دخل خاصة ، لا تخضع لنظر ديوان البايليك .

10 — خضع النظام الضريبي بالريف القسنطيني الى تعديلات و إصلاحات جذرية على عهد كل من صالح باي و أحمد باي ، إذ حاول الاول توحيد الجباية على سكان الأرياف و التخفيف من عبء المصاريف ،

وذلك بإنقاص عدد الموظفين المكلفين بأستخلاص الضرائب، وإخضاع كل الأراضي الفلاحية لضريبة موحدة هي مصطلب الجبري السنوي، أما الثاني وهو الحاج أحمد باي، فقد حاول سن سياسة جبائية أساسها العدل والإنصاف ومصدرها الشريعة الإسلامية، فألغيت الضرائب والمغارم المستحدثة كالعقائد والخطية واللزمة والمعونة، ولم يبق سوى الضرائب التي نصت عليها أحكام الدين الإسلامي الحنيف.

11 — اتصف النظام الضريبي للريف القسنطيني، من حيث تطبيقاته بكونه نظاما غير قار وغير محدد وغير موحد، بل هو معقد بسبب تعدد الضرائب وتعسفي بسبب الإجراءات الرادعة المطبقة لاستخلاص المستلزمات.

هذه بعض الإستنتاجات التي تم التوصل اليها بعد عمل شاق وجهد مضن، حاولت أن ألتزم فيه بالأمانة والموضوعية، وهذه النتائج في الواقع ليست أحكاما نهائية، فهي لا تعدو مساهمة متواضعة، عسى أن تتوسع وتتطور بتوافر الجهود في هذا المجال المهم حتى ينال حقه من البحث والإستقصاء، نظرا لأهمية النظام الضريبي وتأثيره على مختلف أوجه الحياة.

وفي نهاية هذه المقدمة، أتوجه بالشكر والعرفان الى الأستاذ المشرف، الدكتور ناصر الدين سعيدوني الذي كان لي خير موجه ومرشد خلال مراحل هذا البحث الذي لم يعرف التحقيق والإنجاز إلا بفضل مساعدته ونصائحه العلمية القيمة.

الجزائر : 1990 فلة القشاعي المولودة موساوي.

قائمة المصطلحات باللغة العربية

- ط .	:	طبعة
- غ .	:	غرام
- ف .	:	فرنك
- كلغ .	:	كيلوغرام
- كلم .	:	كيلومتر
- ل .	:	لتر
- م .	:	متر
- مم .	:	ميليمتر
- سم .	:	سنتيمتر
- ؟ ؟	:	مكان أو تاريخ الطباعة مجهول
- بن قائة .	:	بن قائمة .

ABREVIATIONS

- A. Ch. C.M. : Archives de la Chambre de Commerce de Marseille.
- A.D.N. : Afrique du Nord.
- A.E.S.C. : Annales, Economies, Sociétés, Civilisations.
- A.G.G. : Archives du Gouvernement Général.
- A.H.S. : Annales d'Histoire Sociale.
- A.M.G. : Archives du Ministère de la Guerre à Vincennes (Paris).
- A.N.P. : Archives Nationales de Paris.
- A.O.M. : Archives d'Outre-Mer à Aix-En-Provence (France) .
- B.N.A. : Bibliothèque Nationale d'Alger.
- B.N.P. : Bibliothèque Nationale de Paris.
- C.A. : Compagnie Africaine.
- C.D.S.H. : Centre de Documentation Sociale et Historique.
- Cie. : Compagnie.
- C.N.R.S. : Centre National de la Recherche Scientifique.
- Const. : Constantine.
- C.R.A. : Compagnie Royale d'Afrique.
- C.T. : Cahiers de Tunisie.
- Ed. : Editions.
- Ed. Soc. : Editions Sociales.
- E.N.A.L. : Entreprise Nationale Algérienne du Livre.
- I.H. : Informations Historiques.
- Imp. : Imprimerie.
- M.A.R.A. : Ministère de l'Agriculture et de la Réforme Agraire.
- Mi. : Microfilm.
- O . P . U . : Office des Publications Universitaires.

- Prov. : Province.
- R. A. : Revue Africaine.
- R.A.S.J.E.P. : Revue Algérienne des Sciences Juridiques Economiques et Politiques.
- R.A.T.L.J. : Revue Algérienne et Tunisienne De Législation et de de Jurisprudence.
- R. H. M. : Revue d'Histoire Maghrébine.
- S. : Suite.
- S. N. E. D. : Société Nationale d'Edition et de Diffusion.
- T. : Tome.
- T. E. F. : Tableau de la Situation des Etablissements Français en Algérie.
- Trad. : Traduction.
- Trim. : Trimestre.
- T. S. E. F. : Tableau Statistique des Etablissements Français.
- Vol. : Volume.

الفصل الأول

الأوضاع العامة للشرق الجزائري أواخر العهد العثماني :

عرف الشرق الجزائري عدّة مراحل أو فترات تاريخية طيلة العهد العثماني (1522 ـ 1837) : فالفترة الأولى (1522 ـ 1567) تميّزت بالصراع مع بقايا الإدارة الحفصية (عائلة بن عبد المؤمن) ومحاولة تكوين حلفاء مناصرين للحكّام الأتراك من العائلات ذات النفوذ بقسنطينة (عائلة بن الفكون)، والفترة الثانية (1567 ـ 1771) تمّ فيها وضع أسس بايليك الشرق وتنظيماته العسكرية وقوانينه الإدارية وتمّ فيها القضاء على التمرّدات والثورات المحلية، والفترة الثالثة، وهي الفترة التي تتصل بالموضوع الذي نعالجه، وهي التي تغطي السنوات الأخيرة من الفترة العثمانية، إبتداء من تولّي صالح باي مقاليد الأمور سنة 1771 إلى سقوط مدينة قسنطينة في أيدي الفرنسيين عام 1837، وفي هذه الفترة أستظمت شؤون بايليك الشرق، فعرف حياة إقتصادية وإجتماعية مميّزة أهلته لأنّ يحتل مكانة مرموقة في إطار الدولة الجزائرية قبل الإحتلال الفرنسي .

وسوف نتطرق في بحثنا هذا، إلى إحدى المجالات الحيوية لهذه الحياة الاقتصادية والاجتماعية وذلك بدراسة النظام الضرائبي وما عرفه من تطوّر وما اتصف به من خصائص وما ترتب عنه من نتائج، على أنّ ذلك كله يتطلب منا في هذا الفصل الأول، إلقاء نظرة سريعة على الأوضاع الطبيعية والمميّزات الجغرافية للشرق الجزائري، مع الاشارة إلى نوعية النشاط الاقتصادي بالريف القسنطيني في الفترة المتصلة ببحثنا وهذا ما نتطرق اليه من خلال النقاط التالية :

أ ـ لمحة عن المواصفات الجغرافية للشرق الجزائري.

ب ـ نوعية النشاط الاقتصادي بالريف القسنطيني .

أ- لمحة عن المواصفات الجغرافية للشرق الجزائري:

لقد كانت المواصفات الجغرافية والأوضاع الطبيعية للشرق الجزائري محل إهتمام العديد من الجغرافيين والمؤرخين والرحالة والدبلوماسيين الأجانب(1)، وذلك نظرا للأهمية الاقتصادية لهذا الإقليم وللمكانة الإستراتيجية لهذه المنطقة التي هي أوسع مقاطعات الجزائر وأغناها ثروة وأكثرها سكانا، كما أنها المجال الحيوي الذي تنتهي اليه طرق الصحراء وتنطلق منه المسالك نحو تونس وطرابلس، كما أن ساحله يتوفر على العديد من الموانئ الطبيعية، الصالحة للملاحة والمتفتحة على السواحل الأوربية للحوض الغربي المتوسط.

هذا وقد جعلت الشروط الجغرافية والمواصفات المناخية من الشرق الجزائري إقليما متميزا يتألف من عدة مناطق مختلفة في مناخها وطبيعتها، متكاملة في إقتصادياتها ونشاطها البشري، وهذه المناطق تتألف من حزامات متوازية ابتداء من الشمال، عند ساحل البحر وإنتهاء بالإمتداد الصحراوي الشاسع بالجنوب، وهي كالتالي:

1 - المنطقة الساحلية: تتكون في مجملها من سلاسل جبلية موازية للبحر، ابتداء من نواحي بجاية وإنتهاء بالقالة، وهي في قسمها الغربي أكثر إرتفاعا وقربا من البحر منها في جانبها الشرقي. وهذا ما يظهر في تدرج إنخفاض

---

(1) من أهم الرحالة والجغرافيين والدبلوماسيين الأجانب الذين كتبوا حول مواصفات إقليم الشرق الجزائري، نذكر على سبيل المثال:

- SHALER (W.), Esquisse de l'Etat d'Alger, traduit de l'Anglais et,enrichi de notes par BIANCHI (X.), Ladvocat, Paris. 1830.
- SHAW (Dr.), Voyage dans la Régence d'Alger, traduit de l'Anglais par J. MAC CARTHY. Paris 1839.
- PEYSSONNEL et DESFONTAINES (L.), Voyages dans les Régences de Tunis et d'Alger publiés par DUREAU De la Malle. Paris. 1838.
- DUREAU (De la Malle), La province de Constantine, Recueil de renseignements. Paris. 1837.

سلاسل الجبال من الغرب إلى الشرق : البابور 2004 م ، القل 1183م، ايدوغ 827 م ، بني صالح والقالة 659 م[1] .

وتتخلل هذه الكتل الجبلية الساحلية عدة سهول ضيقة تتشكل أساسا من أحواض الانهار التي تنتهي إلى البحر مثل سهول الصموم ، بالقرب من بجاية ، وجنجن بالقرب من جيجل والصفصاف بالقرب من سكيكدة، بالاضافة الى السهل الواسع الذى يمتد جنوب مدينة عنابة ويخترقه وادي سيبوس ، وأغلب هذه السهول يتوفر على تربة خصبة لتوفر الاملاح (نيترات البوتاس) التي تدخل في تكوينها وتزيد في خصوبتها .

هذا، وقد كان للمناخ السائد في هذه المنطقة الساحلية ، أثرا ايجابيا على الإستقرار البشرى والإنتاج الفلاحي والحيواني . فاعتدال درجات الحرارة وضيق الفوارق الفصلية ، والتي يقدر معدلها السنوى بـ 15 درجة وكذلك الارتفاع السنوى للتساقط الذى يزيد غالبا عن 700 مم ، وقد يصل في المناطق الجبلية الى 1000مم، كما هو عليه الحال بنواحي القل والقالة ومرتفعات البابور، كل ذلك ساعد على التوطن البشرى ، رغم حدوث بعض التذبذب في التساقط والذى قد يؤدي الى كوارث طبيعية في بعض السنوات من جراء الفيضانات والجفاف.[2]

وحتى نأخذ فكرة واضحة على الشروط المناخية بهذه المنطقة ، نثبت متوسطات درجة الحرارة في فصلي الشتاء والصيف مع بيان الفوارق الفصلية في ثلاث محطات على الساحل، أحدها في الغرب (بجاية) والاخرى في الوسط (سكيكدة) والثالثة في الشرق (القالة) :

---

(1) لاأخذ فكرة مجملة عن الشروط الطبيعية والاحوال المناخية للشرق الجزائرى راجع :
- DESPOIS(J.),RAYNAL(R.),Géographie de l'Afrique du Nord-Ouest. P a r i s Payot. 1967.
- DESPOIS(J.),L'Afrique du Nord. Paris, P . U . F . 1964.
- SELTZER(P.), Le climat de l'Algérie, Alger. J. Carbonel. 1946.
- NOUSCHI(A.), Enquête sur le niveau de vie des populations rurales Constantinoises de la conquête jusqu'en 1919. Essai d'Histoire Economique et Sociale. Presses Universitaires de France. Ouvrage publié avec le concours du C.N.R.S. Paris. 1961.
— حليمي (عبد القادر)، جغرافية الجزائر ، (طبيعية ، بشرية ، اقتصادية) ، مطبعة الانشاء ، الطبعة الثانية ، دمشق ، 1968.

- (2) NAIT DJOUDI(O.),Les facteurs d'Evolution Economique dans les monta-

المكان	شهر جانفي	شهر أوت	المدى المتوسط أو الفرق بين فصلي الشتاء والصيف
بجاية	11° 9	26° 3	14° 4
سكيكدة	10° 55	24° 7	14° 15
القالة	12°	26° 7	14° 1

مع الملاحظة أن تساقط الثلوج يكاد يقتصر على المرتفعات الجبلية مثل جبال البابور التي تسجل نسبة مرتفعة من الأيام التي يسقط فيها الثلوج ، تصل الى 156 يوما في السنة ، على أن اعتدال المناخ وارتفاع نسبة التساقط ، هي الميزة الأساسية لمناخ المنطقة مما ساعد الى حد كبير على وجود غطاء نباتي كثيف ، يتشكل خاصة من غابات الفلين ، وعلى ظهور العديد من الأودية التي تتميز بجريانها طيلة السنة مثل : واد الصومام الذي ينبع من جبال البيبان ويصب بخليج بجاية ، ويقدر طوله بـ 210 كم ، وواد آقريون الذي ينحدر الى البحر من جبال البابور ، وواد الرمال [1] ، المعروف بالوادي الكبير بالجهات الساحلية والذي ينبع من الهضاب العليا ويخترق قسنطينة ليصب في البحر ، شرق مدينة جيجل بطول 250 كم ، وواد الصفصاف الذي يصب في خليج سكيكدة ، ويقدر طوله بـ 100 كم ، وواد سيبوز الذي يسقي سهول عنابة ويصب الى الشرق من مدينة عنابة ويصل طوله الى 232 كم ،

---

gnes telliennes et rifaines. Université de Poitiers. Dpt. Géographie, 1981.

(1) Oued Rummel ou Rhumel, in petit Robert : Dictionnaire Universel des noms propres, rédaction dirigée par ALAIN REY. Nouvelle Edition revue, corrigée et mise à jour pour 1 9 8 7 . P. 1 5 7 1 .

و واد مجردة المحادي للجهات الجنوبية من المنطقة الساحلية ويتجه نحو الأراضي التونسية حيث يصب الى الشمال من مدينة تونس [1] .

2 – منطقة الهضاب أو السهول المرتفعة : تؤلف هذه المنطقة مجالا طبيعيا يفصل بين السلاسل الجبلية للمنطقة الساحلية والسلاسل الجبلية في الجنوب التي تتشكل منها كتلة الأوراس – النمامشة – الحضنة ، ومنطقة الهضاب هذه تتشكل من سهول مرتفعة تتخللها سلاسل جبلية متقطعة يتراوح إرتفاعها من 900 الى 1400 م ، مثل جبل يوسف ، جنوب سطيف و جبل شطابة غرب سطيف و جبل مسلولة جنوب عين البيضاء .

ومما يلاحظ أن منطقة الهضاب هذه ، تتألف من إقليمين تفصل بينهما مدينة قسنطينة ، إقليم شرقي يمتدّ حتى حدود تونس ، وغربي يشمل على الجهات الغربية حتى جبال البيبان ، وتشكل مدينة قسنطينة مركز الثقل لكلا الإقليمين ، وتعرف الجهات الشمالية بين هاذين الإقليمين بالتل ، بينما النواحي الجنوبية يطلق عليها إسم بلاد السباخ التي هي في الواقع حيز انتقال حقيقي من الزراعة الكثيفة المتميّزة بارتباط الإنسان بالأرض الى الحياة الرعوية ، المتصفة بالتنقل الموسمي والبحث عن مصادر المياه و مجال الرعي .

هذا ، وقد تتميّز منطقة الهضاب بقلة أمطارها وعدم انتظامها اذا قورنت بالمنطقة الساحلية ، إذ تتراوح نسبة التساقط ما بين 800 و400 مم سنويا في الجهات الشمالية منها ، وقد تقل عن 400 مم في الجهات الجنوبية الغربية و الجنوبية الشرقية ، وهذا ما أدى الى فقر الغطاء النباتي و أضر بالإنتاج الفلاحي نظرا لارتباطه بتغيرات الطقس [2] ، وقد كان لظهور الجليد شتاء

(1) A.N.P. F 80. 1672. Rapport du Sous-Substitut Renaud Le bon.6 Août 1836 Expédition de Constantine. 1837 . PP. 3 . 4 . 5 .

(2) SEBHI (S.), Mutations du Monde rural Algérien : Le Hodna . O . P . U Alger. 1987. PP. 1 à 9.

وهبوب الرياح الحارة القادمة من الجنوب ، و المعروفة برياح السيروكو صيفاء أثار مضرة بالفلاحة ، إذ سجلت الأرصاد الجوية تكرر هذه الظاهرة طيلة فصل الجفاف ، ففي جهات خنشلة قدر عدد أيام السيروكو بستين يوما وفي نواحي عين البيضاء بتسعة و ثلاثين يوما في السنة .

8 — المنطقة الجبلية الجنوبية : تتشكل من سلاسل جبال متصلة تمتد من الغرب الى الشرق ، إبتداء من جبال الحضنة التي تتأثر بالمناخ الصحراوى في سفوحها الجنوبية و تشرف على الهضاب العليا في جهاتها الشرقية ، تليها كتلة جبال الأوراس التي تشكل حاجزا طبيعيا يبعد عن الهضاب المرتفعة الواقعة الى الشمال ، تأثير المناخ الصحراوى ولاسيما و انها تتميز بمعدل مرتفع نسبيا من الأمطار، إذ يتراوح ما بين 500 و 800 مم. ومما قلل من الأضرار الناتجة عن عدم انتظام التساقط وجعل بطون أودية هذه الكتلة الجبلية تتصف بالخصوبة و توفر المياه المستعملة في الري و التي ساعدت على ازدهار زراعة الأشجار المثمرة التي يوجه إنتاجها لأسواق قسنطينة خاصة ، ومن أهم هذه الأودية : واد عبدى و واد الأبيض و واد العرب .

والى الشرق من جبال الأوراس، تتألف المنطقة الجبلية من سلاسل جبال النمامشة و تبسة ، وهي في الواقع ، امتداد طبيعي للأوراس، و هذه السلاسل تتأثر عادة بالمناخ الصحراوى لقلة ارتفاعها الذى لا يتجاوز في الغالب 1.400 م و لانفتاح أوديتها على الرياح القادمة من الصحراء، و لندرة أمطارها التي لا يتعدى متوسط التساقط فيها من 400 مم[1] ، مما اضطر السكان الى التحول الى الحياة الرعوية المعتمدة على تربية المواشي والخيول و الجمال مع ممارسة بعض الزراعات [2] المروية ببطون الأودية التي

---

(1) N O U S C H I (A.) , Enquête ... , P. 9 .

(2) المصدر السابق ، ص ص. 9 . 10 .

تحتفظ بالماء الضروري لسقي الاشجار[1] .

4 — المنطقة الصحراوية : تشتمل على الصحراء الشرقية المعروفة بجفافها و ارتفاع درجة حرارتها التي تصل في بعض الأحيان الى 55° في الظل كما هو الحال في مدينة توقرت التي لم تعرف أكثر من 25 يوما ممطرا في السنة بنسبة تساقط ضعيفة جدا لا تتجاوز 58 مم .

هذا ، و تتميّز هذه المنطقة الصحراوية بقلة أمطارها التي تكاد تنعدم في بعض الجهات وكذلك بهبوب رياح حارة تتسبب في الغالب في اثارة عواصف رملية شديدة ، وهذا ما جعل الغطاء النباتي بهذه المنطقة يكاد يكون منعدما[2] اذا استثنينا بعض الواحات القليلة المرتبطة بأماكن تواجد المياه الجوفية و بعض الأعشاب البرية الفصلية في الجهات القريبة من الأطلس الصحراوي . و تعود حالة الجفاف هذه التي تتميّز بها المنطقة الى عدم تأثرها بالرياح الشمالية الغربية المحملة بالرطوبة والتي تحجزها و تمنع وصولها السلاسل الجبلية المرتفعة التي تتشكل منها كتلة الأوراس الحضنة والنمامشة ، مع خضوع المنطقة في مجملها الى تأثيرات الضغط الجوى المرتفع التي يميّز النطاق الصحراوى عامة .

هذا وقد نتج عن هذا الجفاف ، أن أصبح المناخ جافا قاريا شديد البرودة ليلا في فصل الشتاء و مرتفع الحرارة في أيام فصل الصيف خاصة ، مما جعل الحياة تكاد تنحصر في الواحات الواقعة بمنخفضات الزيبان و واد

---

(1) COTE (C.), SEDRATA, Miroir aux Alouettes ? ou la croissance démographique démesurée d'une ville de l'Est Algérien, Mémoire de maîtrise de géographie. Université de Lyon. Faculté des lettres et sciences humaines. PP. 13 et S.
- A.M.G. H 225, Route de Bône à Constantine dite d'"El-Hagar" suivie par les caravanes, Rapport rédigé en Mai 1832 par le Capitaine d'Etat-Major, F. Hypolite.

(2) GAUTHIER (A.) , L'Algérie : Décolonisation - Socialisme - Industrialisation - Géographie Economique . Bréal , 1976 . P. 23.

ويسخ وجهات سوف وورقلة ، بينما القبائل الصحراوية لم تجد بدا من التحول الى حياة البداوة بحثا عن بعض المراعي الهزيلة ونقاط الماء القليلة والتي تكون عادة بالقرب من المناطق الجبلية في الشمال ، المشرفة على الصحراء.(1)

كل هذه المعطيات الطبيعية والشروط المناخية جعلت من الشرق الجزائري منطقة لها وضع جغرافي مميز دفع الكاتب كاليبير GALIBERT الى القول بأن : " بايليك قسنطينة يؤلف مملكة حقيقية تفوق في أهميتها كل من بايليك التيطرى وبايليك وهران ، وذلك لعدد سكانه المرتفع ولمساحته الشاسعة وثرواته الكثيرة وتربته العميقة ومناخه المعتدل في بعض الجهات وغيرها من الخصائص الايجابية التي يتوفر عليها."(2)

وهذا ما يتضح لنا في النقطة التالية التي نحاول أن نتعرف فيها بايجاز على النشاطات الاقتصادية بأوياف بايليك قسنطينة ، وذلك لأهميتها بالنسبة للنظام الضرائبي .

---

(1) A.M.G. H 227. Reconnaissances faites dans la province de Constantine en 1837 , 1838 et 1839 , Rapport rédigé par Niel le 1er Juillet 1839 intitulé : informations sur la structure sociale des tribus principales, sur les villes et l' administration du B e y l i k.

(2) VAYSSETTES (E.) . Histoire des derniers beys de Constantine, de 1793 jusqu'à la chute de Hadj Ahmed Bey . 1848 . P . 146 et S..

ب – نوعية النشاط الاقتصادي بالريف القسنطيني :

تقوم الحياة الاقتصادية للريف القسنطيني على الفلاحة والرعي أساسا بالإضافة الى المهن التقليدية والتبادل المحلي التي يرتبط بالانتاج الزراعي والحيواني .

1) – الفلاحة :

تحتل الفلاحة مكانة هامة في اقتصاد بايليك الشرق ، وقد ظلت طيلة العهد العثماني ، لاسيما السنوات الأخيرة منه ، تمثل النشاط الرئيسي بالأرياف والمورد الأساسي لغالبية سكانه ، هذا وقد ساعد على ازدهار الفلاحة وتنوع منتوجاتها وكثرة محاصيلها عدّة عوامل في طليعتها الشروط الطبيعية المتمثلة خاصة في الأحوال المناخية الملائمة والتربة الخصبة والمياه الكافية ، مما دفع أحد الفرنسيين الى القول : "لم أتوقع أن أراضي الإيالة وخاصة الشرق الجزائري خصبة لهذه الدرجة، فالحبوب تغطي السهول وخضرة الأشجار الوارفة تور المتعة للمشاهد ...!" (1).

أما أهم المنتوجات الزراعية بالشرق الجزائري فهي :

1 – الحبوب : تعتبر أهم المحاصيل الزراعية ، وقد اشتهرت بها سهول عنابة وسطيف وبجاية ومجانة ونواحي وادي الزناتي وقالمة ، بحيث تكوّن حزاما متصلا يتركز أساسا في منطقة التل من الحدود التونسية شرقا وحتى نواحي برج بوعريريج غربا حيث تختفي زراعة الحبوب الى الغرب منه في منطقة مزيتة التي تعدّ من أفقر الأراضي وأقلها صلاحية لفلاحة الحبوب (2).

---

(1) VENTURE de Paradis, Alger au XVIIIe siècle. Edité par Mr FAGNAN 2e Edition , Edition Bouslama . Tunis . S . D ., P. 278.

(2) NOUSCHI , Enquête ... P. 66 .

ومما يلاحظ أن نوعية القمح تعتبر جيّدة في أغلب جهات التل لاسيما المنطقة المحيطة بقسنطينة التي اشتهرت بنوع جيّد من القمح يقاوم الرطوبة وقد يمكن الاحتفاظ به في المطامر لمدة قد تصل الى خمسين سنة.[1] . هذا ، والى الجنوب من هذا النطاق المتميّز بانتاج القمح خاصة، تمتد أراضي السباخ التي تلائم تربتها وقلة التساقط بها، انتاج الشعير التي اشتهرت به خاصة نواحي الحضنة وجهات الأوراس حيث تمارس أيضا زراعة بعض الحبوب الجافة مثل الذرة والذرة البيضاء التي تنتشر زراعتها في المناطق التلية الخصبة أيضا حيث تمارس كذلك زراعة الأرز في الأراضي التي تتوفر على المياه وقنوات الري مثل جهات واد سيبوز بالغرب من عنابة وناحية الحامة بضواحي قسنطينة .

ونظرا لكون الحبوب تكوّن المصدر الأساسي لتغذية السكان وتشكل المادة الرئيسية للتصدير في الخارج ، فإنها أصبحت مادة استراتيجية يتحكم في زراعتها البايليك ويسيطر على الأراضي التي تزرع بها موظفو الدولة ورؤساء المخزن أو شيوخ الزوايا والطرق الدينية . وللتعرّف على أهمية انتاج الحبوب ببايليك الشرق ، يمكن الاشارة الى أنّ الشركة الافريقية La Compagnie Africaine كانت تصدّر سنويا من ميناء عنابة كميات ضخمة[2] قدرت عام 1787 بحوالي 25.000 قنطار من الحبوب [3] .

---

(1) اسماعيل (العربي)، المقاومة الجزائرية تحت لواء الامير عبد القادر، الجزائر؟ ؟ ص35

(2) EMERIT (M.), L'Algérie à l'époque d'Abdelkader : Couvernement Général de l'Algérie, Collection de documents inédits sur l'histoire de l'Algérie. (2e série).Documents divers. T. IX. Paris Larose. 1951.

(3) V E N T U R E (De Paradis) , Op. cit.. P . 2 7 8 .

2 — الأشجار المثمرة : ارتبطت بالمناطق الجبلية وأراضي الفحوص القريبة من مدن قسنطينة وعنابة وميلة والمسيلة وبجاية وجيجل وسطيف وغيرها(1). فبالنسبة للمناطق الجبلية حيث انتشرت زراعة أشجار التين والزيتون واللوز والبرتقال والليمون والعنب والرمان والتفاح والعناب، فإن الفلاحين يعتمدون في معاشهم عليها ويبادلون فائض انتاجهم منها بما يحتاجونه من الحبوب، وقد اشتهر فلاحو مناطق بجاية وجيجل بتلقيح الأشجار واستصلاحها حتى تصبح منتجة، مما ساعد على استغلال غابات الزيتون البري.

كما تميزت المناطق الصحراوية بزراعة أشجار النخيل التي اشتهرت بها مناطق الزيبان وواد ريغ وواد سوف حيث كانت تتوفر على ما لا يقل عن 150.000 نخلة، أغلبها تعود ملكيتها الى قبيلة الطرود.
أما المناطق الغابية فقد اشتهرت هي الأخرى بانتاج الأخشاب وذلك بمعالجة أشجار الصنوبر والفلين والزان وغيرها والتي تنتشر بالمناطق الجبلية بالساحل أو السفوح الشمالية للأوراس والحضنة.

3 — زراعة الخضار والمزروعات النادرة : اشتهرت بها السهول الساحلية خاصة نواحي بجاية وجيجل والقل وعنابة(2) وكذلك فحوص الحامة خاصة التي انتجت أجود أنواع الخضار التي كانت تسد حاجات مدينة قسنطينة وتوفر المعاش لما لا يقل عن 10.000 نسمة يشتغلون في هذه الزراعة.
هذا وقد انتشرت كذلك زراعة الخضار في بطون الأودية بالأوراس وبعض الواحات الصحراوية، كما عرفت أيضا زراعات نادرة أخرى كالقطن بنواحي الحضنة وسطيف

---

(1) DUREAU , Op. cit. P. 71 et S.
(2) FERAUD (L. Ch.) , " Documents pour servir à l'Histoire de Bône ". in R. A. — N° 32 , Année 1888 , PP. 196 à 229.

و السوف والتبغ بجهات الأوراس والهضاب العليا وعنابة و سوف والزعفران والكمون و الكروية ببطون الأودية بالأوراس وكذلك قصب السكر بنسوا حتى قسنطينة وعنابة و واحات الصحراء[1].

تضاف لهذه المزروعات النادرة ، التي تميزت بضآلة مردودها مزروعات نادرة أخرى هي النيلة ، الخشخاش أو الكيف ، القنب ، الكتان ، وقد عرفت زراعتها بالساحل و منطقة سوف الجنوبية[2].

على أن الانتاج الفلاحي كان يحدّ من تطوره و ارتفاع مردوده عدة عوامل منها :

— الآفات الطبيعية المتمثلة في سنوات الجفاف وفترات الفيضانات و اجتياح الجراد وهبوب العواصف بفعل رياح السيروكو[3] في الصيف و تراكم الثلوج في الشتاء مما يتسبب في بعض الأحيان في حدوث المجاعات وانتشار الأوبئة وهلاك المزارعين[4] ، وهذا ما جعل الانتاج يتذبذب من سنة الى أخرى ، فحسب تقرير دونوفو De Neveu [5] حول الأوضاع في مناطق قبيلة أولاد عبد النور بالهضاب العليا، فإن الانتاج قد يختلف بسبب الآفات الطبيعية من حيث الكمية فقد ينقص الى الثلث في السنوات الجافة ، وقد يصل الى حوالي ثمانية أضعاف ، وفي بعض الحالات النادرة ، اثنى عشر ضعفا عند توفر الأمطار وملائمة الظروف المناخية ، ويضاف الى الآفات الطبيعية ، الأمراض التي كانت تصيب المحاصيل مثل التسوّس والشقران (Rouille) التي غالبا ما تتسبب في الإضرار

---

(1) PELLISSIER De Reynaud, Annales Algériennes 1ere Edition. Vol.I.II.III Muselin et Gautier Laguione. Alger 1836. Tome 2. P. 325 et S.

(2) شلوصر (سندلين) : قسنطينة أيام الحاج أحمد باى (1832 — 1837) ، ترجمة أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ؟؟ ص. 182 .

(3) NOUSCHI (A.), Enquête... P. 11 .

(4) حمدان خوجة، اتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس عن الوباء، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1968 ، ص. 149 .

(5) A.G.G. Archives du Gouvernement Général, tournée chez les Ouled Abd. En. Nour , en date du 10 - 12 - 1844 .

بجهـود الفـلاحـين .

— الأساليب العتيقة المتبعة في الانتاج الفلاحي حدّت هي الأخرى في تطور الزراعة ، فعدم تطوير المحراث الخشبي الثقيل المستعمل وتقنية الري وترك الأراضي بورا لتسترجع خصوبتها و اهمال استصلاح المستنقعات، كلها لم تساعد على زيادة الانتاج وتطويره في المناطق التي لا تتوفر على التربة الغنية بالمواد المخصبة ، زيادة عن إهمال إقتلاع النباتات والأعشاب الضارة مثل البرواق (Asphodelus Ramozus) والشوفان العقيم (Folle Avoine) وغيرها من النباتات الضارة الأخرى المستنتشرة في حقول الحبوب خاصة (1).

— الظروف الصعبة التي كان يعيشها الفلاح بالأرياف القسنطينية والمتمثلة خاصة في تعرّضه للحملات والفرقات الجائرة من موظفي البايليك و شيوخ القبائل و فرسان المخزن ، مما دفع كثيرا من الفلاحين الى إهمال زراعة حقولهم والتحوّل الى تربية المواشي التي تساعدهم على الانتقال والافلات من قبضة رجال البايليك و مهاجمة فرسان المخزن ، وبذلك تقلصت المساحات المزروعة في كثير من الجهات وكادت تنحصر في السهول الساحلية و نواحي التل، بينما تحولت أراضي قابلة للزراعة الى مراعي موسمية جنوب قسنطينة وجهات الحضنة و النمامشة وتبسة وغيرها (2).

هذا ، وقد كان للظروف الاجتماعية الصعبة التي كان يعيشها الفلاح القسنطيني من أمراض وجهل بوسائل الوقاية و سوء التغذية تأثير سلبي على مردوداته و الحدّ من قدرته الانتاجية (3).

(1) DUREAU (De la Malle) ; Op. cit. P. 79 .

(2) سعيدوني (ناصر الدين)، النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني (1792—1830) سلسلة الدراسات الكبرى ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الطبعة الثانية ، الجزائر، 1985 ، ص. 31 .

(3) سعيدوني (ناصرالدين)، " الانسان الأوراسي و بيئته الخاصة "، مقال ورد في مجلة الأصالة ، العدد 60 — 61 — أوت — سبتمبر سنة 1978 ، ص. 144.

كما حالت الثورات العسكرية التي رفع لوائها سكان الأرياف ضد الأتراك دون اهتمام الريفيين بالفلاحة التي أهملت خلال سنوات، حيث سادت الفوضى وعدم الاستقرار، مما أثر سلبيا على الإنتاج الفلاحي [1]. فرغم المشاكل التي كانت تعاني منها الفلاحة، إلا أن هذا القطاع تميز بإنتاج لا بأس به في غالب الأحيان، لاسيما بفضل التنظيمات الاقتصادية التي أدخلها صالح باي والتي جعلت الشرق الجزائري المنطقة الأولى في الانتاج الفلاحي، حيث " استحدثت مزروعات جديدة كالأرز، الذي زرع بسهول الحامة، كما أنه لم يهمل استصلاح السهول التي تغلب عليها المستنقعات بالإضافة للأراضي الواقعة على ضفاف واد سيبوز، حيث أنشأ شبكة من القنوات لصرف المياه الراكدة " [2].

2) – الرعي وتربية الحيوانات :

يشكل المصدر الرئيسي لمعيشة المناطق غير الملائمة للإنتاج الفلاحي، وهذا ما يجعل الرعي في المناطق السهبية من السباخ والجهات الجنوبية يشكل نشاطا إقتصاديا مستقلا بذاته تمارسه عشائر الهضاب العليا وقبائل المناطق المتاخمة للصحراء، بينما ظل يؤلف نشاطا مكملا للزراعة في المناطق الشمالية وبطون الأودية الخصيبة، حيث كان السكان يقومون بتربية المواشي لسد حاجاتهم من الألبسة الصوفية والزرابي والأغطية والخيام واللحوم، بالاضافة الى قيامهم بمزاولة الزراعة مثل قبائل اولاد

---

(1) BERBRUGGER (A.) , " Epoque de l'Etablissement des Turcs à Constantine " in R.A. N° 1 . Années 1856 – 1857 , O.P.U. 1986 . P . 402 .

(2) سعيدوني (ناصرالدين)، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، العهد العثماني، سلسلة الدراسات الكبرى، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1984، ص ص 67–68.

عبد النور وبني ابراهيم وعامر و غيرها .

وللتعرف على أهمية الثروة الحيوانية ، نلاحظ أنه في أوائل عهد الاحتلال ، كان الشرق الجزائري يتوفر على 2310.000 من الأغنام و 311.767 من الماعز و 346.000 من الأبقار و 90.636 من الخيول و 76.723 من البغال و 269.086 من الجمال [1]. وقد اشتهرت بعض القبائل بثروتها الحيوانية مثل قبائل النمامشة والحراكتة [2] و زردازة و اولاد عطية و اولاد يحيى بن طالب وبني عمار و اولاد عبد النور والتلاغمة و عامر ، وهذا ما توضحه القائمة التالية [3] التي تبين ما كانت تملكه كل قبيلة من أغنام وماعز وأبقار وحيوانات حسب التقديرات التالية :

النمامشة	:	116.000
الحراكتة	:	93.000
زردازة	:	12.800
أولاد عطية	:	16.900
أولاد يحيى بن طالب	:	20.000
أولاد عبد النور والتلاغمة و عامر	:	66.580
بني عمار	:	16.320

(1) BENSLIMANE (A.),"Féodalité et paysannerie dans l'Algérie pré-coloniale", in Revue "terre et progrès": Revue du M.A.R.A.Année ?? P.23

(2) A.M.G. H 228. Renseignements sur l'organisation administrative du Beylik de Constantine avant la prise de Constantine par l'armée française, rapport anonyme rédigé en 1840.

(3) A.G.G.K.K. Registre statistique de la province de Constantine. 1845, cité par NOUSCHI , in Enquête ... P. 55 .

— سلسلة الأرشيف التي تحمل عنوان : A.G.G.. تم الرجوع اليها بالاعتماد على نوشي في دراسته : .. Enquête

هذا وأنّ تكرر مواسم الجفاف و انتشار الأمراض وحدة النزاع العشائري و مصادرات البايليك للأراضي حدّ من نمو الثروة الحيوانية وجعل الأرقام التي أوردتها مصادر الفترة الأولى للاحتلال تقريبية وليست دقيقة (1).

ومما يلاحظ أن تربية المواشي لم تقتصر على سكان الأرياف، بل لقد اهتم البايليك بها، لكي تطمئن لتلبية حاجات الجهاز الاداري والعسكري من اللحوم والصوف والزبدة، وأوكل رعايتها لبعض قبائل الرعية وكلف بمراقبتها فرسان المخزن بأراضي البايليك المنتشرة حول مدينة قسنطينة خاصة، وكان يتولى أمر الإشراف عليها موظفون كل واحد منهم يهتم بنوع من الحيوانات، مثل قائد عريب البقر وقائد مهرباشا وقائد الجلاب وقائد عريب المال كما سيتضح لنا عند التعرّض الى الجهاز الاداري لبايليك الشرق.

3 — المهن والصناعات التقليدية :

ارتبطت ببعض المناطق دون غيرها، واشتهرت بها بعض العشائر التي اكتسبت مهارة وحنكة في معالجة المواد الأولية المتوفرة لتغطية الحاجات الضرورية من ملابس وأطعمة وأدوات منزلية وفلاحية بسيطة عكس ما كانت تتميز به الصناعة التقليدية في المدن ولاسيما عاصمة البايليك، حيث عرفت تطورا من حيث الكمية والنوعية، استطاعت أن

---

(1) BERNARD (A.), La CROIX (W.), L'Evolution du nomadisme en Algérie Alger , Jourdan , Paris , A. Challamel 1906 . P . 137 et S.

راجع أيضـا :

- COSTE (M.), L'Elevage dans les Hautes-plaines Constantinoises. S.D.
- COSTE (M.), Mutations rurales en Algérie : le cas des Hautes-plaines de l' Est . Alger . O . P . U . 2e Ed. 1981 . P P . 42 et S.

تتوجه قسما منها الى الاريساف التي كانت في حاجة اليها مثل السروج والاحزمة والاحذية الجلدية والاقمشة والسيوف والبنادق وغيرهما [1].

على أنّ ما يهمنا في هذه المقدمة هو الصناعات اليدوية بالارياف القسنطينية والتي كانت تشتمل على :

– صناعة النسيج التي تميّزت بها بعض الجهات مثل قبائل بني عبّاس بنواحي مجانة التي عرفت بصناعة البرانيس الجيدة ، وقبائل منطقة القرقور (بني ورثيلان وبني عيدل وبني يعلا وزمورة) التي أتقنت صناعة الزرابي والاغطية المتميزة بألوانها الزاهية وأشكالها المتناسقة [2] ، وقبائل الاوراس والنمامشة والحضنة التي أتقنت نسج الزرابي والحصر [3].

– صناعة الادوات الجلدية التي انتشرت هي الاخرى لدى القبائل التي تمارس الرعي وتتوفر على أعداد كبيرة من القطعان مثل النمامشة والحراكتة واولاد عبد النور.

– صناعة الادوات الحديدية ، اختصت بها القبائل الجبلية بمناطق جرجرة والقرقور ووجهت أساسا لتوفير الاواني المنزلية وأدوات الفلاحة من سكة المحراث والقادوم والمنجل والركاب واللجام ، الخ ......

– صناعة الحلي والاسلحة ، اشتهرت بها قبائل بني عبّاس والصومام وجرجرة التي تمكنت من صنع نوع من البنادق مرصّع بالفضة ومزين بالمرجان [4].

---

(1) NOUSCHI , Enquête ... PP. 71 et S.

(2) FERAUD (L. Ch.),"Les corporations des métiers à Constantine avant la conquête française", manuscrit traduit de l'arabe, paru in R.A. Nº 16 , Année 1872 . O . P . U . 1985 . P . 451.

(3) EMERIT (M.),"La situation économique de la régence d'Alger", in I.H Mars - Avril 1952 . P . 170.

(4) CARETTE (E.),Etudes sur la Kabylie proprement dite. Paris 1848. 2e Volume . P . 268.

كما عرفت معالجة البارود المستخرج من بعض المناجم وصنع نوع مزور من العملة يسهل صرفه في الأسواق الريفية في غفلة عن مراقبة موظفي البايليك.

— معالجة الزيت وصناعة الصابون شكلت هي الأخرى نشاطا تقليديا متميزا بالأرياف القسنطينية، وقد اشتهر بها سكان جرجرة ونواحي بجاية الذين تمكنوا من ايجاد نوع من الصابون الأسود المصنوع من زيت الزيتون ورماد نباتات الدفلة[1].

— معالجة الملح والجبس والفحم الخشبي، التي تشكل نوعا من الصناعة التحويلية موجهة أساسا لتلبية طلبات سكان المدن ولإرضاء حاجات سكان الأرياف في آن واحد، فالملح كان يستخرج من التكوينات الملحية ببعض الجبال المشرفة على الصحراء أو البحيرات المالحة بالهضاب العليا والمعروفة بالسباخ[2]، أما الأخشاب، فإن قطعها وتوجيه قسم منها الى بجاية والجزائر وعنابة لتلبية حاجات البايليك لصنع المراكب ومعالجة القسم الآخر منها لتحضير الفحم، فقد أصبحت نشاطا مهما في بعض الجهات التي تتوفر على الغابات الكثيفة مثل نواحي بجاية وجيجل وعنابة والقالة. وقد اضطر البايليك لضمان حصته من الأخشاب التي كان في أشد الحاجة اليها، الى تقديم الهدايا والترضيات لشيوخ القبائل التي يتكفلون بتزويده بالخشب، وقد عرفت هذه العملية بنظام الكراستة الذي اشتهرت بها خاصة عائلة المقراني بنواحي بجاية[3].

---

(1) FERAUD (L. Ch.) , Les corporations des métiers ... P . 454 .

(2) شلوصر، نفس المصدر، ص ص. 96 — 97 .

(3) BOYER (P.), La vie quotidienne à Alger à la veille de l'intervention française. Imp. Nationale. S.A.Monaco.Paris 1964. P.192 et S.

لمزيد من الايضاح حول نظام الكراستة راجع :

— FERAUD (L. Ch.) , " Exploitation des forêts de la Karasta dans la Kabylie orientale sous la Domination Turque . " , in R . A . Nº 13, Année 1869 . P P . 36 à 46 .

هذا ، ونلاحظ أن بايليك الشرق مع توفره على العديد من مناجم الحديد والزنك والكوبالت والرصاص والنحاس وتكوينات الرخام والكبريت ، إلا أن سكان الأرياف لم يتمكنوا من إستغلالها وتطوير صناعة تحويلية ذات الأهمية ، وذلك لجهلهم بالطرق الفنية والأساليب التقنية التي لم يعمل موظفوا البايليك على تلقينها لسكان الأرياف حتى يستطيعوا الإنتفاع بالثروات الطبيعية التي يزخر بها الشرق الجزائري

4) — **التبادل التجاري :**

كان يقوم على مبادلة الانتاج الفلاحي واقتناء الحاجات الضرورية من الأسواق المنتشرة في الأرياف والتي عن طريقها يتزود سكان الأرياف بما يحتاجونه من سلع وبضائع ، فقد انتشرت هذه الأسواق في جميع جهات الشرق الجزائري ، إذ كان لكل قبيلة مهمة سوقها الخاص ، يقام في أحد أيام الأسبوع ويجتمع فيها أفراد القبيلة ويتوجه اليه رجال القبائل المجاورة لتبادل بضائعهم وانتاجهم ، وقد اكتست هذه الأسواق في المناطق المهمة والأماكن الاستراتيجية ، وضعية خاصة ، بحيث أصبحت تحت سلطة البايليك الذي يكلف أحد القواد أو الشيوخ بحراستها واستخلاص الضرائب من القبائل التي تختلف اليها ، مثل الأسواق الواقعة بالقرب من سطيف وقسنطينة وتبسة التي يتوجه اليها أيضا بعض سكان المدن لتصريف صناعاتهم واشتراء ما يحتاجونه من البضائع والسلع المعروضة بها[1] .

هذا ، وقد ازدادت أهمية بعض الأسواق ، فتحولت الى أسواق سنوية تجتمع بها القبائل ويقصدها سكان المدن مثل سوق العثمانية والخروب

(1) AUCAPITAINE (Le Baron Henri),Etude sur la caravane de la mecque et du commerce de l'intérieur de l'Afrique. J. Claye . Paris . P. 4.

و السقبية و الحراكتة و الشوحسة بالمناشة ، و ربما اضطرت الحاجة، سكان الأرياف للتوجه الى أسواق المدن القريبة منهم مثل سوق سطيف[1]، و ميلة و تبسة و بسكرة و زمورة و جيجل و بجاية و القل و عنابة و خاصة أسواق قسنطينة التي تتوفر على كل الحاجات والضروريات و تقدم لهم امكانية تصريف منتوجاتهم[2] ، و هذا ما أوجد علاقات تجارية دائمة بين مركز البايليك و المناطق الريفية القريبة منها، و لعل أهم ما كان يتحصل عليه سكان الأرياف من أسواق قسنطينة ، الأقمشة و الأدوات المنزلية و آلات ممارسة الفلاحة و السروج والأثاث و بعض المواد الغذائية الضرورية مثل السكر و القهوة و الشاى و التوابل وغيرها ، أما أهم ما كان يسوقه أهالي الريف الى قسنطينة فهو الحبوب و الأصواف و الجلود و الشمع و العسل و الزيوت و الخشب و المواشي و البرانيس والأغطية، التي تختلف كميتها حسب الجهة الآتية منها [3] .

و مما ساعد على نمو التبادل التجارى بالأرياف القسنطينية وعمل على تطوره ، تكامل الأقاليم الطبيعية التي يتألف منها بايليك قسنطينة فأصبحت كل منطقة تزود المنطقة الأخرى بما تحتاجه ، فالمناطق الساحلية

---

(1) A.M.G. H 209. 2e Expédition de Constantine. Oct. 1837. Journal du Capitaine du Génie : Prédoutery : sur la position de Sétif lieu d'échanges entre les produits de la plaine....... ceux d'Europe et du Sahara.
راجع أيضا : MAUROY (M.), Du commerce des peuples de l'Afrique septentrionale. Paris 1845.

(2) MERCIER (E.), Constantine avant la conquête française. Constantine.
— WATBLED (E.), "CIRTA - CONSTANTINE : Expéditions et prise de Constantine (1836 - 1837)", in R.A. N°14, Année 1870. PP. 205 et S.

(3) DUREAU (De la Malle), Constantine, rendez-vous des caravanes, SD, P.145

تتوفر الخضار والفواكه و الأخشاب و الزيوت و التين ، وجهات التل تنتج كميات ضخمة من الحبوب على إختلاف أنواعها و إقليم الهضاب يمتلك القطعان الكبيرة من المواشي ، وواحات الصحراء تنتج كميات معتبرة من التمور. هذا، ويرتبط بهذا النشاط التجارى الذى تميز به بايليك قسنطينة ، تصدير بعض المواد الأولية الفلاحية أو الحيوانية من الحبوب والصوف (1) والجلد والعسل والشمع الى البلاد الأوربية أو الأقطار الاسلامية المجاورة مثل تونس، وقد كان يتولى هذا النشاط التجارى موظفو البايليك و المحتكرون الأجانب من يهود و أوربيين الذين اتخذوا مراكزهم بالأسواق الرئيسية والمدن الساحلية و استقر وكلاؤهم بقسنطينة مركز بايليك الشرق (2) .

وقد ساعد هذا التبادل الخارجي، الذى اتخذ صفة التجارة الدولية على تطور الطرق و المسالك التي تربط بايليك قسنطينة بإقليم الصحراء و ايالة تونس و مقاطعة دار السلطان ، وقد شكلت بعض مدن الصحراء مثل بسكرة و توقرت و ورقلة ، محطات رئيسية لقوافل الصحراء (3) كما أصبحت مدن الساحل وهي القالة وعنابة وسطورة و القل و جيجل و بجاية

---

(1) A. Ch. C.M. Compagnie Royale d'Afrique : Liasse 1777 à 1794 : Livre de vente " Corail , cuirs , laines , cires , blé " .
— A. Ch. C.M. Série L III. N° 1221 : Compagnie Royale d'Afrique : Journal de Bône faisant état des concessions de la C . R . A . dans le Beylik de Constantine en date du 16 Mars 1791 .

(2) الزبيرى (محمد العربي) ، التجارة الخارجية للشرق الجزائرى الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1972 . ص ص ، 65 ، 66 .

(3) CARETTE (E.), Du commerce de l'Algérie avec l'Afrique centrale et les états Barbaresques . Guyot , Paris. 1844 . P . 26 .

مراكز لتجميع الانتاج المعدّ للتصدير الى البلاد الأوربية (1) والتي أصبحت تحتكر قسما منه الشركة الافريقية الفرنسية (2) La compagnie Africaine française ويتصرف في قسمه الآخر التجار اليهود وعلى رأسهم عائلتي بكري وبوشناق، بينما اكتسبت قسنطينة ، مركز البايليك ، وضعا خاصا أهلها بأن تصبح منطلقا لكل الطرق وسوقا رئيسية لكل البضائع التي تحمل اليها من مختلف جهات البايليك والتي كانت تعرض في الأسواق والدكاكين المنتشرة بها ، مما ساعد على تجمع الثروات في يد تجارها واستقطاب النشاط التجاري بها ، مما زاد في تأكيد سلطة البايليك على سكان الأرياف وساعد الى حد كبير على محاولة تشديد المراقبة عليهم وإحباط كل محاولة تهدف الى الحدّ من سلطة البايات عليهم (3) .

---

(1) CHAUVET (A.),"Une écriture de la géographie régionale du Maghreb". in "L'Espace géographique"N°4.Université de Nantes 1987.PP.251 à 258 .

(2) بوعزيز (يحيى) ، علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوربا ، (1500 — 1830) ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1980، ص ص 59 — 60 و 107 الى 126.

— حول إحتكار تجارة الشرق الجزائري من طرف التجار المرسيليين راجع :

GJEGHLOUL (A.),"La formation sociale Algérienne à la veille de la colonisation", in revue des cahiers du C.D.S.H. Université d'Oran. N° 7 . 1981 . P. 21.

(3) JULIEN (Ch.A.), Histoire de l'Algérie contemporaine, la conquête et les débuts de la colonisation.(1827-1871).P.U.F. Paris. 1964. P. 17.

— لمزيد من التفاصيل حول نوعية النشاط الاقتصادي بالريف القسنطيني راجع : القشاعي ، موساوي (فلة)، الريف القسنطيني ، اقتصاديا واجتماعيا ، أواخر العهد العثماني (1792 — 1837) ، شهادة لنيل دبلوم الدراسات المعمقة ، جامعة الجزائر ، معهد التاريخ والآثار ، جوان 1983 .

أ — الوضعية الديمغرافية بالأرياف القسنطينية :

تتميز بكون أغلب السكان بالشرق الجزائري كانوا يتركزون في الأرياف ، وقد تصل نسبتهم حسب بعض التقديرات الى 95 % ، وهم يشكلوا نسبة مرتفعة بالمقارنة الى باقي سكان الجزائر في العهد العثماني ، إذ أغلب المراجع تميل الى إعتبار بايليك قسنطينة كان يضم $\frac{2}{5}$ سكان البلاد الجزائرية أواخر العهد العثماني [1] ، إذ يقدرون حسب ما ذهب اليه ياكونو (YACONO) بـ 1.200.000 نسمة من مجموع السكان ، البالغ عددهم حوالي ثلاثة ملايين [2] ومع أن هذه الأرقام بعيدة عن كل إحصاء دقيق ، فهي إحتمالات معتمدة على ملاحظات الرحالة وتقارير الضباط الفرنسيين أوائل عهد الاحتلال ، مثل تقرير نيال (NIEL) [3] ، مع العلم بأن إنعدام التقديرات المبنية على الطرق الاحصائية ، وإهمال سلطات البايليك لكل إحصاء ، رغم محاولتها ضبط مداخيل أرياف قسنطينة نظرا لوجود جهات منعزلة وقبائل مستسعة ، كل ذلك ينقص من قيمة أي تقديرة ، بحيث لا تتجاوز الفائدة منه إعطاء فكرة عامة ونظرة شاملة على عدد السكان ، وفي هذا الإطار ، يمكن تحديد عدد سكان أرياف قسنطينة بـ 1.156.716 نسمة حسب بعض التقارير [4] ، كما يمكن القول بأن بعض القبائل كانت تتميز خاصة بكثرة سكانها مثل القبائل التالية :

---

(1) VAYSSETTES (E.), Histoire des derniers Beys de Constantine... P.166

(2) YACONO (X.), " Peut-on évaluer la population de l'Algérie en 1830 ?", in Revue Africaine.N°98. Année 1955. 3ième et 4ième Trimestre.P.277.

(3) A.M.G. H 227, Rapport Niel : Reconnaissances faites dans la province de Constantine en 1837 - 1838 - 1839 . Rapport Op. cit.

(4) NOUSCHI , Enquête ... P. 22 .

ـ قبيلـة وسوغـة :	20.000 نسمة
ـ قبيلـة بني عباس :	10.000 نسمة
ـ قبيلـة بني عيد ل :	15.000 نسمة
ـ قبائل ساحل بجاية :	50.000 نسمة
ـ قبائل ساحل القل وجيجل :	80.000 نسمة
ـ قبائل غـرب الأوراس :	15.000 نسمة

وهذا ما دفع أحد الضباط الفرنسيين وهو الجنرال ماك كارتي Général Mac Carthy . الى التأكيد في تقريره على " أنّ هذا التعداد الذي أشير اليه لم يشتمل كل سكان بايليك قسنطينة " (1) .
فإذا أخذنا بعين الاعتبار الظروف المناخية والطبيعية التي جعلت من بعض المناطق بيئات طاردة ، واعتمدنا بتحفظ مثل هذه الاحصائيات ، فإن متوسط الكثافة البشرية ببايليك قسنطينة بالمناطق الصالحة للإستقرار والإستغلال الفلاحي ، والتي كان يتركز بها السكان ، تقدر ب 17,5 نسمة في الكلم المربّع ، مثل مناطق الشمال القسنطيني ونواحي بجاية وجهات التل الخصبة ، بينما تقل هذه الكثافة كثيرا ، وقد تنخفض بست مرات في المناطق السهبية بالهضاب وأطراف الصحراء ، وتكاد تنعدم في المناطق القاحلة حيث لا تزيد الكثافة عن نسمة فرد واحد في الكلم المربّع ، وتشكل نسبة متوسطة في المناطق الجبلية بالأوراس والهضاب العليا والنواحي الشرقية للبايليك حيث يسود أسلوب معيشة ، قوامه الفلاحة والرعي ، أو أساسه خدمة الأرض كما هو الحال ببعض الواحات الصحراوية التي عرفت تجمعا سكانيا مهما ، مثل منطقتي

---

(1) A . G . G . I . H . 6 , Rapport du Général Commandant la division de Constantine au Gouvernement général . 25 Février 1849 : Rapport cité par NOUSCHI , in Enquête ... P . 23 .

و يتضح لنا مدى تأثير الحالة الصحية و المعاشية في الوضع الديمغرافي في إثبات قائمة بأهم الاقفات الطبيعية التي عرفها الريف القسنطيني ، منذ أواخر القرن الثامن عشر و هي كالتالي :

— 1778 — 1779 : جفاف أعقبه إجتياح الجراد وقد تسبب في مجاعة مهلكة .

— 1785 — 1786 : قلّة المحاصيل تسببت في مجاعة أعقبها انتشار الوباء

— 1793 — 1794 : مسغبة و غلاء أسعار الحبوب حتى بلغ صاع القمح 15 فرنكا بينما كان لا يتجاوز فرنكا واحدا أو إثنان قبل المجاعات [1] .

— 1794 — 1798 : قلت الاقوات في كامل البايليك و أرتفعت الاسعار ووضع البايليك حدّا لتصدير الحبوب نحو فرنسا، حيث اضطرّ صالح باي الى التصرّح الى الشركة الملكية لإفريقيا (La Compagnie Royale d'Afrique) بأنّ بايليك قسنطينة مضطّر الى إيقاف تصدير الحبوب الى الشركة الملكية لإفريقيا نتيجة لشدّة الاوبئة و المجاعات والكوارث الطبيعية التي يعاني منها السكان والتي أهلكت قطعان المواشي [2] .

— 1800 : قلّت و أختفت الاقوات و اضطرت الدولة الى استيراد الحبوب من الاقطار الاوروبية .

— 1805 — 1808 : عمّ الجفاف و انقطعت الفلاحة في كامل البايليك وأستهلك المخزون من الحبوب ، فعمت المجاعة و أشرف الناس على الهلاك، فقد أشار الى ذلك صالح العنترى بقوله : " تسببت المجاعة في قحط مهول أضر

---

(1) حمدان ، بن عثمان خوجة الجزائري ، أتحاف المنصفين والادباء في الإحتراس الوباء، تقديم و تحقيق محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1968، ص 149 .

(2) A.Ch. C.M. Compagnie Royale d'Afrique : Bône. Journal (1791-1794). Lettre du 31.10.1792 rédigée par GUIBERT adressée à la Compagnie d'Afrique : " Refus de Salah - Bey de livrer du Blé à la C . R . A .

بأهل قسنطينة ، حيث دام الحال كذلك 3 سنوات متوالية ، حيث اضطر بعض السكان الى أكل لحم بعضهم البعض لا شتداد الجوع و انقطاع الطعام"(1).

و مع تحسن الأحوال نسبيا سنة 1807 بسقوط الأمطار ، إلاّ أن الجفاف أضر ببعض النواحي مثل جهات جيجل سنة 1808 ؛ حيث عانت الأرياف من المجاعات التي زادت في بؤس و شقاء الفلاحين .

— 1813 — 1815 : انتشار الجراد الذى اتلف المزروعات و تسبب في قلة الأقوات ، فارتفعت الأسعار في بعض النواحي عشرة أضعاف ما كانت عليه .

— 1819 — 1822 : اختفت الأقوات وعمت المجاعة بايليك الشرق الذى عانى من البؤس والتعاسة والحرمان ، فاضطر البايليك الى شراء كميات من الأقوات لتزويد مدينة قسنطينة التي تضرّرت كثيرا من هذه المجاعة . وقد أدت هذه الأوضاع الصحية المتردية والتي حدّت من نمو السكان وانقصت بلا شك من متوسط الأعمار الى ارتفاع نسبة الشباب بالنسبة لمجموع السكان ، وهذا ما تؤكده الاستنتاجات المستخلصة من تعداد عام 1843 الذى أثبت بالرجوع الى الحالة المدنية أن 40 % من السكان كانت أعمارهم تقل عن 18 سنة بالشرق الجزائرى (2) .

وهذا ما يدفعنا الى محاولة التعرّف على مدى الأضرار التي ألحقتها الأوبئة أو تسببت فيها الأمراض بالرجوع الى الأرشيفات و الوثائق التي تضمنت معلومات حول الحالة الصحيّة لبايليك قسنطينة ، فأغلب المصادر تكاد

---

(1) العنترى ، محمد الصالح ، سنين القحط والمسغبة ببلد قسنطينة ، مخطوط رقم 2330 وضع بتاريخ 17 مارس 1870 بالمكتبة الوطنية الجزائرية .

(2) N O U S C H I , Enquête ... P. 36 .

تتفق على تردى الأحوال الصحية منذ العقد الأخير من القرن الثامن عشر والربع الأول من القرن التاسع عشر ، والتي نتجت أساسا عن انتقال الوباء عن طريق الحجاج والمسافرين عبر الصحراء أو بواسطة السفن ، وبسبب المجاعات المهلكة وسوء التغذية الناتج عنها من جراء القحط والجراد والفتن والاضطرابات والحملات العسكرية .

وقد ارتبطت المجاعات التي عانت منها الأرياف القسنطينية بانتشار الأوبئة والأمراض الفتاكة مثل طاعون سنة 1793 الذى أهلك الكثير من سكان الشرق الجزائرى ، ووصل عدد الضحايا يوميا الى 100 وفاة في بعض الجهات ، فأضطرت سلطات البايليك الى غلق الموانئ ، ووقف الاتصالات مع الخارج بسبب ازدياد شدة وباء الطاعون الذى ألحق بايليك الشرق بخسائر كبيرة ، وأشتدت وطأته الى غاية منطقة الزيبان حيث وصل عدد الضحايا يوميا الى 120 وفاة (1) .

هذا ، وقد أسفر طاعون سنة 1837 عن هلك العديد من سكان الأرياف ، فبلغ عدد الأموات في بعض النواحي 115 وفاة يوميا وذلك خلال 3 أيام متتالية(2) . وهكذا ، كان مرض الطاعون ، أكثر الأمراض إنتشارا في بايليك قسنطينة لاسيما خلال السنوات الممتدة ما بين 1817 و 1822 ، وقد أهلك هذا المرض أعدادا هائلة من سكان الأرياف والمدن .

هذا ، وقد انتشر مرض الحمى المهلكة عام 1839 التي تسببت فيها المياه الملوثة والمستنقعات ، وقد أدت مثل هذه الأمراض والأوبئة الى هلاك العديد

---

(1) MARCHIKA (J.), La peste en Afrique septentrionale. Histoire de la peste en Algérie de 1363 à 1830. Thèse pour le Doctorat en médecine, soutenue le 20. 5. 1927. Jules Carbonel, Alger 1927 . P . 149.

(2) العنترى ، سنين القحط والمسغبة ....

من الدواوير والتجمعات السكانية بالأرياف و اتلاف الكثير من قطعان المواشي و انعدام اليد العاملة بالحقول بنواحي قسنطينة و عنابة و ميلة و زواغة و فرجيوة و الحراكتة[1] .

و مما زاد الحالة الصحيّة سوء وساعد على انتشار الكثير من الأمراض المهلكة مثل الكوليرا[2] (الهواء الأصفر) و الحمى الصفراء (التيفوس) و الإلتهابات الرئوية و وباء البرسام الجاف و مرض الزهري والدفتيريا ، والرمد المتقيّح و إلتهاب العيون والعمى ، جهل غالبية السكان بوسائل الوقاية والعلاج ، و اعتبار ما حلّ بهم بأنّه " قدر هو الله لا يقوى الطبيب على علاجه ! "[3] .

يضاف الى هذا انعدام الاجراءات الوقائية من طرف سلطات البايليك بالأرياف خاصة ، و اقتصارهم على العلاج التقليدي الذي يقوم به ذوى التجربة والذى يعرف عادة بالطالب أو المداوى أو العشّاب ، و عدم تفطنهم الى تطبيق نظام الحجز الصحي " الكارانتينة " La quarantaine. بالموانئ ، و نقاط العبور المؤدية الى بايليك قسنطينة والتي لا يلتجأ اليها إلاّ في الحالات النادرة و بإلحاح من الوكلاء الأجانب خاصة[4] ، أو بمبادرة

---

(1) A.G.G. I.H.6, Rapport Op. cit.par NOUSCHI in Enquête..PP.38.39.

(2) A.M.G. H 209 . Etat Major de l'armée . 2ième Expédition de Constantine. Octobre 1837 . Journal du capitaine du Génie Prédoutery : le choléra fait des ravages.

(3) حمدان ، بن عثمان خوجة الجزائرى ، أتحاف المنصفين والأدباء في الإحتراس عن الوباء ، تقديم و تحقيق محمد بن عبد الكريم ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1968 ، ص. 149 .

(4) سعيدوني ، النظام المالي ... ص. 54 .

من بعض البايات مثل صالح باي الذي أمر بفرض حزام صحيّ حول عنابة ومنطقتها سنة 1787 لمنع إنتقال وتسرّب العدوى والأوبئة الخطيرة المختلفة(1). هذا في الوقت الذي كانت الاغلبيّة الساحقة من الحكام والموظفين لا يهتمون إلاّ برعاية صحتهم فقط، وقد وضعوا تحت خدمتهم طبيبا أو جرّاحا أجنبيا للسهر على حالتهم الصحيّة(2). وقد صاحب هذه الآفات الطبيعية، تعرّض أرياف قسنطينة للعديد من الحملات العسكرية التي أعتاد الحكام القيام بها من أجل استخلاص الضرائب، وشيوع الفتن والاضطرابات من جراء الصراع القبلي والتنافس العشائرى الذى كانت له إنعكاسات خطيرة على الحالة الديمغرافية لتسببه في إتلاف المحاصيل وهلاك مجموعات كثيرة من السكان، وقد أشار العنترى الى تأثير إنعدام الأمن بالأرياف على حالة السكان ووضعية الزراعة بقوله: " تزاد فى الافتان والأحوال التي لا تطمئن نفوس الناس للحراثة معها"(3).

هذا، وقد نتج عن هذه الأوضاع المتردية والآفات الطبيعية المتكررة تدنى مستوى المعيشة بالأرياف، في الوقت الذى أرتفعت فيه الأسعار وأصبحت الحياة صعبة بالنسبة لغالبية الناس الذين لم يعد يتوفرون سواء على ضروريات العيش، وأصبحوا في بعض الفترات المتأزمة عاجزين على شراء ما يحتاجون من حبوب، بعد أن أصبح صاع القمح يباع بـ 15 ف، بينما كان ثمنه في الحالات العادية لا يتعدى فرنكين إثنين، وهذا ما دعى أحد الشعراء الشعبيين بقسنطينة، الشيخ بلقاسم الرحموني الحدّاد، الى وصف حالة المعيشة المتردية بالأرياف بقوله: عام مكبره هاني سيدى * بالكساد وغلات النعما(4).

---

(1) سعيدوني، الأحوال الصحية والوضع الديمغرافي في الجزائر أثناء العهد العثماني، راجع دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، الجزء الثاني، ص. 125.

(2) صالح (نور)، مساهمة في دراسة بعض الجوانب التاريخية للعهد العثماني بقسنطينة من سنة 1517م الى 1837م، ترجمة ودراسة نقدية لكتاب فايسات، دبلوم الدراسات المعمقة في التاريخ بالترجمة، جامعة الجزائر، 1978.

(3) العنترى، سنين القحط ... ص. 10 — 11.

(4) COUR(A.),"Constantine en 1802,d'après une chanson populaire

بعضهـا في خدمة الدولة ، بمنحهم صلاحيات قبائل المخزن أو إخضاعهم وتحويلهم الى عشائر الرعية المسيّرة من طرف موظفي البايليك .

3 — السكان الرحل :

بالنواحي الجنوبية الشرقية للبايليك والأقاليم الجنوبية المتاخمة للصحراء ، ومن أهم القبائل التي تؤلف هذا الصنف من السكان ، قبائل النمامشة التي اشتهرت بقوة شكيمتها وكثرة قطعانها وأصبحت لها السيادة على المناطق الشرقية للأوراس والجهات الجنوبية من تبسة ، وقد حاول البايليك أن يوكل أمورها الى القياد المتعاطفين معه (1) والذين لهم اتصال بمجموع عشائر النمامشة ، مقابل حصوله على مبلغ مالي سنوي يقدر بـ 2.000 بوجو فضة .

وكذلك قبائل الحنانشة بالجهات الجنوبية من سوق اهراس والنواحي الشمالية لتبسة ، وقبائل الحراكتة بنواحي عين البيضاء وجبل سيدي رغيس ، كما يلحق بهذا الصنف ، العشائر البدوية بالصحراء التي اعتادت التنقل نحو الشمال في فصل الصيف ، بحثا عن المراعي لقطعانها من المواشي والجمال ، في مجموعات مؤلفة في أغلب الأحيان من مائة خيمة كما هو الحال بالنسبة لقبائل الزيبان ، التي اشتهرت منها قبيلة الذواودة التي لعبت دورا مهما في تاريخ الشرق الجزائري منذ عهد زعيمها صخري بن يعقوب بن علي ، الذي شمل نفوذه في الفترات الأولى من الحكم العثماني ، ثلث بايليك الشرق ، وأحمد بن علي الذي كان له النفوذ الفعلي بالزيبان بفضل تحالف

(1) NOUSCHI (A.) , PRENANT (B.) , LACOSTE (Y.) , L'Algérie, passé et présent : le cadre et les étapes de la constitution de l'Algérie actuelle . Ed . Sociales . Paris 1960 . PP . 144 à 149 .

قبائل الزعاطشة و النهاد تحت زعامته (1) .

و من زعماء القبائل البدوية بالصحراء الشرقية ، نذكر آخر زعيمين في المنطقة و هما علي بوعكاز الذي تولى مشيخة العرب وكان له الكلمة المسموعة على المناطق الممتدة من واد سوف الى جبال الأوراس ، وكانت قواته تتألف من قبائل الشرفاء و أولاد عقاب والصحاري و بني ابراهيم و بني علي و النهمان والسلمية ، و الحاج محمد بن قانة الذى شمل نفوذه منطقة الصحراء الشرقية حتى مواطن الشعانبة و واحة توقرت . كما تندرج ضمن هذه العائلات الإقطاعية الكبرى التي تحكمت في أرياف بايليك قسنطينة ، أسرة بن جلاب في توقرت وورقلة ، حيث مارست نفوذا قويا على سكان الصحراء (2) .

(1) الحاج أحمد مبارك الميلي ، تاريخ حاضرة قسنطينة ، تصحيح وتعليق نور الدين عبد القادر ، الجزائر 1952 .

(2) FERAUD (L. Ch.), " Les Ben-Djellab, sultans de TOUGGOURT, notes historiques sur la province de Constantine " . Article paru in Revue Africaine, N° 23. Année 1879. O.P.U. 1985 . P . 54 .

ج — تصرفات الحكام وتوجيهة السياسة التي كانوا ينتهجونها مع أهالي الأرياف:

عرف بايليك قسنطينة كثيرة من مقاطعات الجزائر في أواخر العهد العثماني ، حكاما " بايات " ، منهم من تميّز بحسن السلوك وكفاءة التسيير ، فحاول المحافظة على مصالح الدولة والتكفل برعاية السكان والتخفيف من شقائهم بما اتخذه من إجراءات ملائمة ، وما أقره من تنظيمات مفيدة ، مثل صالح باي (1771 — 1792) وحسين بن حسين بوحنك باي[1] (1792 — 1795) والحاج مصطفى انجليز بـاي [2]، (1798 — 1803) وأحمد طوبال باي (1808 — 1811) ونعمان باي (1811 — 1814) وابراهيم بـاي الكريتلي (1822 — 1824) وأحمد باي (1826 — 1837) . ومنهم من عرف بالقهر والإستبداد والبطش وسوء التسيير ، فأضر بسكان المدن والبوادي على حد سواء ، وكان سببا في إفقار الخزينة والإضرار بعلاقة أهالي الريف بموظفي البايليك مثل مصطفى بـاي الوزناجي المتحامل مع المحتكرين اليهود (1795—1798) وأحمد شاوش القبائلي (1808 — 1811) الذي اتلف الثروات وأضر بالرعية، وأفلس خزينة البايليك بانتهاجه سياسة مالية سيئة ، وبارتكابه سلسلة من

---

(1) كان متصفا بروح التسامح والعدل ، فأبقى في مناصبهم كل الموظفين الذين عينهم صالح باي ، واظهر قدرة وكفاءة في التسيير الاداري ، من مآثره ، إتمام جسر القسنطرة الذي شرع في تشييده صالح باي وبناء قصر دار الباي

(2) لقب بإنجليز باي لانه كان أسيرا بأنجلترا مدة 12 عاما ، شبه حكمه بحكم صالح باي ، انتهج سياسة مالية حسنة ، انخفضت الاسعار وأصبحت المعيشة رخيصة في أيامه .

الاعمال الإجرامية حتى لقب ب " باى رأسه و باى ذراعه و باى روحه ". (1)

و يندرج في هذا الصنف من البايات ، محمد شاكر باى (1814—1817) الذى شنّ حملات إنتقامية متواصلة على الأرياف ، كما عرف كل من قارة مصطفى (جانفي 1818) و محمد باى الميلي (2) (1818 — 1819) و ابراهيم باى الغربي (1819 — 1820) و محمد مناني باى (1824 — 1826) بسوء التسيير و إهمال أمور الأرياف و فرض الضرائب الثقيلة على سكانها لفائدتهم الشخصية ، (3) و هذا ما دفع العنترى الى وصف تصرفاتهم بأنها " أعمال ناتجة عن تصرفات غير إنسانية ، فأشتهر هولاء البايات بالظلم و القتل و التدمير و تبذير الأموال و إشباع الرغبات والإهتمام بالمصالح الخاصة و إهمال شوءون الرعايا ، و تميز هذا النوع من البايات بضعف الارادة و انعدام الخبرة في تسيير شوءون البايليك نتيجة لجهلهم . . ." (4)

---

(1) VAYSSETTES , Histoire des derniers Beys ... Op. cit. P. 209.

(2) أحمد باى الميلي ، شغل منصب آغا النوبة بالميلة ، سمي الميلي ، لقب ب " بوشطابة " (L'homme à la pioche) لأنه عوّض السيف بالفأس الحاد أثناء تنفيذ حكم الإعدام .

(3) GAID (M.), Chronique des Beys de Constantine.OPU.SD. PP.79. 80.

(4) العنترى ، محمد الصالح ،" الأخبار المبينة في تاريخ بايات قسنطينة " و يعرف هذا المخطوط أيضا تحت عنوان : الفريدة المؤنسة والأعجوبة المؤسسة في حال دخول الترك الى بلد قسنطينة و استيلائهم على أوطانها ، و ذكر شيء مستفاد من سيرة باياتها الى إنقضاء دولتهم واستحواذ الفرنسيين على مملكتهم ". مخطوط رقم 2320 ، وضع بتاريخ 17 مارس 1870 بالمكتبة الوطنية الجزائرية .

ترجم هذا المخطوط من طرف فايسات VAYSSETTES تحت عنوان : Histoire des derniers Beys de Constantine .

ولأخذ فكرة عن مدى إنعكاس تصرفات بايات قسنطينة على أوضاع الأرياف وما ينتج عن ذلك من تأثير على الجهاز الضرائبي سلبا أو ايجابا ؛ نحاول أن نقارن بين أعمال أحد البايات الذين عرفوا بكفاءة في ادارة البايليك وحسن تصريف الأمور ، وهو صالح باي ، وبين تصرفات أحد البايات الذين عرفوا بسوء التسيير وإلحاق الأضرار بأهالي الأرياف ، وهو محمد شاكر باي .

فصالح باي (1185 — 1207 هـ) (1771 — 1792 م) ، من أشهر البايات الذين حكموا قسنطينة وكان لهم تأثير على الشرق الجزائري . عرف بسداد الرأي وحسن التسيير والاعتناء بشؤون الرعية ورعاية أمور البايليك منذ أن تولى منصب خليفة الباي أحمد القلي وأوكل اليه أمر قيادة الحراكتة سنة 1765 ، قال عنه العنتري : "كان صالح باي رجلا عاقلا ، سيرته مليحة وسياسته مستحسنة حميدة ، يسمع كلام الشاكين وينصر المظلومين ، يحب فعل الخير ويرتضيه ويسعى في صلاح العباد ويعتني بأمورهم ، أجرى الصدقات على الفقراء والمفلسين ، فكانت أحوالهم في غاية الاستقامة والرعية مطيعة له منقادة ، فنال من الخيرات ما لم ينله أحد من البايات قبله ولا بعده "(1) . فأعماله التي قام بها لتنظيم ادارة البايليك في الأرياف وإصلاح أحوال الرعية ومحاولته رفع الانتاج الفلاحي باستصلاح الأراضي واستخراج المياه وتنظيم الري وتشجيع تسويق المنتوجات الزراعية الى المدن والمراسي التابعة للبايليك وحفظ فائض الانتاج في المخازن ومطامير البايليك لاستعماله أو توزيعه وقت الحاجة ، كل ذلك ساعد إزدهار التجارة وتحسين أحوال أهالي الأرياف والتخفيف من الضرائب والمطالب المالية بعد أن تحسنت مداخل البايليك وأصبحت تغطي حاجة الموظفين ومطالب الحكومة العسكرية بالجزائر .

---

(1) العنتري ، المصدر السابق .

ومن الاصلاحات التي أحدثها في بايليك قسنطينة فيما يخص تطوير الانتاج الفلاحي وزيادة الانتاج وتنويعه ، إستحداثه مزروعات جديدة مثل الأرز الذى حاول زراعته بسهول الحامة مستعينا في ذلك بنظام رى دائم ، معتمد على تشغيل عدد من الدوريات لرفع الماء الى مستوى مشاتل الأرز، كما أنه شجع زراعة الزياتين بالنواحي القريبة من قسنطينة ، وحتى يعطي مثلا يقتدى به فلاحو تلك النواحي ، بادر بزراعة أشجار الزيتون بمنزله الريفي ، المعروف اليوم بسيدى محمد الغراب (1) ، ولم يهمل في عمله هذا إستصلاح السهول التي تغلب عليها المستنقعات والتي تقع على ضفاف نهر سيبوز بنواحي عنابة وقد أنشأ لهذا الغرض شبكة من القنوات لصرف المياه الراكدة في مجرى النهر (2) .

ولعلّ أهم مشروع زراعي حققه صالح باى هو إستغلال السهول الخصبة القريبة من عين مليلة ، حيث أقطع فرسان المخزن المعروفين بالزمول الأراضي الواسعة لاستغلالها لحسابه الخاص ، كما أقرّ قبيلة السقنيسة بالأراضي الخصبة بنواحي الفزقية وعين كوشة قصد استغلالها زراعيا وجعل منها حضيرة لتهجين خيول البايليك ومكانا ملائما تحفظ به تلك الخيول لوقت الحاجة (3) .

ومن مآثر صالح باى ، تأسيسه للمساجد والمدارس في عنابة وقسنطينة سنة 1775 حيث يدرس فيها النحو والفقه والتوحيد وتفسير القرآن وعلوم أخرى وهذا ما دفع فايسات V A Y S S E T T E S الى القول الآتي :

---

(1) G A I D (M.) , Op. cit. P. 41 .

(2) سعيدوني (ناصر الدين) ، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر " العهد العثماني " ، الجزء الأول . ص. 68 .

— BADJADJA(A.), La bataille de Constantine.(1836-37).Constantine 1982.

(3) سعيدوني ، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر ... ص. 68 .

" النظام المصحح في عهد صالح باي ، على مستوى المؤسسات التعليمية لا يقل قيمة من حيث النوعية إذا قارناه بالتعليم الموجود في ثانويات فرنسا ! ..."(1).

هذا وقد أهدى صالح باي مجموعة هامة من الكتب والمخطوطات العربية والتركية تحمل خاصة الى مكتبات مدارس ومساجد قسنطينة، ومن بينها مكتبة السيد حمودة بن الفقون التي كانت تحتوي على 500 . 2 مجلد ومكتبة البشتارزي التي كانت تضم 500 مجلد (2) .
ومن مفاتنه الحميدة ، حبه لرعاياه وتصميمه على تحسين أوضاع الباليك الاقتصادية والاجتماعية ، حيث دفعه إخلاصه الى مواجهة مصاريف الإنشاءات العمومية بأمواله الشخصية (3) .
بمثل هذه الأعمال ، أشتهر صالح باي(4) حتى وصفه مؤرخ قسنطينة العنتري بقوله : "وملك الأملاك في كل البلاد وعم الخير في كل العباد ... " (5)
طيلة حكمه لبايليك قسنطينة الذي أستمد قرابة إثنين وعشرين سنة أنهيت بالقضاء عليه نتيجة مكيدة دبرت له وأنهيت بقطعه ستة

---

(1) نور (صالح) ، نفس المصدر ، ... ص 13.

(2) LALOË (F.), " A propos des manuscrits arabes de Constantine." in R.A. N° 66 , Année 1925 . ... 1926 . PP. 106 - 107 .

(3) G A I D (M.) , Chronique des Beys .... P . 42 .

(4) لمزيد من الايضاح حول مساهمة صالح باي في تشجيع التعليم والعلم راجع :

— CHERBONNEAU (A .) , " Inscription Arabe de la Médersa de Sidi L. AKHDAR à Constantine. " , in R . A . N° 3 , Années 1858 -1859. PP.469 à 474.

(5) العنتري ، نفس المصدر .

1792 ، وشارك فيها منافسوه والناقمون عليه ، ومن جملتهم المحتكرين اليهود من عائلتي بكري وبوشناق والذين حدّ صالح باي من تجارتهم وأوقف صفقات تصدير الحبوب الى أوروبا التي كانوا يشرفون عليها بالتواطئ مع الخزناجي بالجزائر وبتساهل من داي الجزائر حسن (وكيل الخرج سابقا) (1) .

ومما يهمنا هنا مدى تمسك سكان بايليك قسنطينة بصالح باي وشدة إعجابهم به ، تلك المرثية التي تضمنت ، تعبيرا عن مدى تعاطف الشعب معه وتنويها بفضله وتخليدا لذكره ، مطلعها الأبيات التالية :

قالوا العرب قالوا
لا نعطيو صالح ولا ماله
ولا نقاتلوه حتى يطيحوا
الرقاب على الرقاب.

أما محمد تشاكر باي (1814 ـ 1817) ، فرغم المدة القصيرة التي قضاها بايا على قسنطينة ، إلا أنه ترك آثارا سلبية على مجموع سكان البايليك ، فقد عرف بالبطش وسفك الدماء وإلحاق الأذى بالسكان ومصادرة أملاك الأهالي والإستحواذ على ثرواتهم ، منذ أن كان قائدا على عامر الشراقة وطيلة توليه منصب الباي ، فقد قال عنه العنتري : " جاقر (شاكر) باي رجل ذو بطش ، تغلب عليه صلابة العجم ، يسفك الدماء بالباطل ويأخذ أرزاق الناس بالغزو ولا يبالي بمن هو طايح

(1) A.Ch.C.M. Compagnie royale d'Afrique. Bône-Journal 1761 - 1793. Lettre du 28 Avril 1791 rédigée par Guibert adressée à la compagnie d'Afrique : Pourparlers avec Salah - Bey relatifs au prix du blé.

د — وضعية التنظيم الإداري بالأرياف القسنطينية :

اكتمل التنظيم الإداري للأرياف القسنطينية بالإجراءات التي سنّها صالح باى (1771 — 1792) و التعديلات التي أحدثها الحاج أحمد باى (1826 — 1837) لتلافي بوادر الضعف و الإضطراب التي عرفتها الفترة التي أعقبت حكم صالح باى (1792 — 1826).

فصالح باى ، أستفاد من سنوات الهدوء والإستقرار التي تميّز بها بايليك الشرق قبل توليه أمور قسنطينة وبادر بعد توليه لحكم الى تطوير النظام الإداري للبايليك بالأرياف القسنطينية ، بحيث قسّم البايليك الى قسمين : أحدهما شرقي وآخر غربي ، يفصل بينهما وادى الحمام ، كل قسم يشرف عليه قائد رئيسي ، يعرف عادة بقائد العشور ، مهمته حفظ الأمن و استخلاص الضرائب ، مقرّه قسنطينة [1] ، وتحت نظره مجموعة من القياد و الشيوخ الذين يتصرفون في القبائل الخاضعة " الرعية " ومنهم من يعود مباشرة الى الباى نظرا للمكانة التي كانوا يحظون بها و لعدد القبائل الذين كانوا يشرفون عليها ، مثل قائد الحراكتة ، المرّشح عادة لتولي منصب خليفة الباى ، و هذا ما يدفعنا الى القول بأنّ التنظيمات الادارية التي أدخلها صالح باى على شؤون الأرياف كانت السبب الرئيسي في ذلك الإزدهار الاقتصادي و الاستقرار السياسي الذى تميّز به بايليك الشرق .

---

(1) A.O.M. F 80.522 ou F 80.1822. Rapport relatif au résumé des recherches sur l'Impôt, particulièrement dans le Tell oriental et dans le Tell occidental, rédigé par Mr WARNIER (Membre de la commission scientifique de l'Algérie) . 1841 .

أما أحمد باي (1826 ـ 1837) ، فقد عرف هو الآخر كيف يستفيد من شعور السكان بالحاجة الى النظام والهدوء إثر فترة الاضطرابات التي أعقبت القضاء على صالح باي والتي تعاقب أثناءها على بايلك قسنطينة سبعة عشر بايا ، انتهى أغلبهم بالقتل وتعرض الكثير منهم الى التنكيل من طرف الحامية العسكرية وبأوامر من السلطة المركزية بالجزائر، فسارع الى تنظيم البايليك الى قيادات ، على رأسها قياد ، ومشيخات يتصرفون في شؤونها شيوخ ، بحيث أصبح الجهاز الاداري[1] بالأرياف القسنطينية على عهد أحمد باي ، يضم 35 ممثلا لسلطة البايليك ، منهم 11 شيخا و 24 قائدا .

وقد اختلفت هذه القيادات من حيث الأهمية ، نظرا لاختلاف قوة تلك القبائل التي تتألف منها ، وإن كان أهمها جنوب قسنطينة ، قيادة الحنانشة (12 قبيلة) ومشيخة العرب بالزيبان (11 قبيلة) ، وقيادة الحراكتة (32 قبيلة) ، قيادة الزمول (مجموعة عشائر عسكرية بالهضاب العليا) وقيادة الأوراس (12 قبيلة) ، أما منطقة شمال قسنطينة ، فأهمها قيادة سكيكدة وقيادة الزرادزة ومشيخة زواغة ومشيخة أولاد مقران[2] .

هذا ويمكن التعرف على الجهاز الاداري وانعكاسه على النظام الضرائبي بأرياف قسنطينة بالتعرض لهيئة الموظفين والإشارة الى التقسيمات الادارية التي كانت تنظم ادارة البايليك :

---

(1) لأخذ فكرة على التنظيم الاداري بالايالة الجزائرية راجع:

— MANTRAN (R.) , " Le Statut de l'Algérie de la Tunisie et de la Tripolitaine dans l'Empire ottoman " . Estratto dal Volume : Atti del I Congresso internazionale di Studi Nord - Africani . Cagliari. 22 - 25 Gennaio . 1 9 6 5 - P P . 4 - 5 - 12 - 13 .

(2) V A Y S S E T T E S , Histoire des derniers-Beys,op.cit,P.118-119.

فهيئة الموظفين بالأرياف ، كان يشرف عليها الباي بأعتباره الحاكم الفعلي والمتصرف المطلق الصلاحية لبايليك قسنطينة ، فهو يعيّن أو يختار أو يعزل من طرف حاكم الجزائر " الداى " ، ويتسلم الخلعة أو قفطان التولية الذى يخول له سلطة تشريعية و تنفيذية في البايليك[1] باستثناء حق الاتصال أو إعلان الحرب على الدول الأجنبية دون الرجوع في ذلك الى أوامر باشا الجزائر .

ولقد جرت العادة على أن يتولى منصب الباى أحد الضباط العاملين أو الموظفين السامين بالبايليك ، وهم في جلهم أتراك أو كراغلة يعتمدون في إقرار سلطتهم و فرض مكانتهم على القوة العسكرية المرابطة بمركز البايليك بقيادة آغا الدائرة .

ومما يلاحظ أن التنظيمات التي كانت تحدّد سلطة البايات ، كانت تتصف بالفاعلية و الكفاءة ، مما حال دون نجاح أية محاولة لإعلان التمرّد أو الإستقلال أو الإنفراد بالسلطة بالبايليك ، فكان الباى يراقب من طرف قائد الحامية " أغا الدائرة " الباش آغا ، الذى له حق الاتصال مباشرة بداى الجزائر ، و تلقى التعليمات منه دون الرجوع في ذلك الى الباى ، وهذا ما سهل خلع العديد من البايات أو إيقاع العقاب بهم على يد قائد الحامية الذى يسلم الباى المنحى قرار خلعه ، و يتولى نزع بسيفه الشرفي و مصادرة أملاكه و تنصيب الباى الجديد ويشرف على مبايعته من طرف كبار الموظفين وأعيان البلد.

---

(1) للتعرّف على مهام و صلاحيات البايات راجع :
— سعيدوني (ن .) ، موظفو الايالة الجزائرية ، مهامهم الادارية و صلاحياتهم الاقتصادية و الاجتماعية .
— VENTURE DE PARADIS , Op . cit . P . 79 .
— BOYER (P.) , Op . cit . PP . 100 et S .
— A.M.G. H 228 : Renseignements sur l'organisation et l'administration de la province de Constantine avant la prise de la ville par l'armée Française: Rapport rédigé en 1840; sans nom d'auteur. 46 P.

ولعل أهم ما يكلف به الولايات ، هو إقرار النظام بالبايليك وجمع الضرائب وتوجيهها ما يتوجب منه الى الخزينة المركزية بالجزائر العاصمة في شكل نقود أو منتوجات تعرف عادة بالدنوش الفصلية أو السنوية ، كما سوف نشير اليه عند التعرض للضرائب المستخلصة من بايلك الشرق .

هذا ، وتتألف مجموعة الموظفين بالأرياف القسنطينية من القياد والشيوخ والحكام وبعض الموظفين الساميين بالبايليك والذين لهم اتصالا بأمور الأرياف أو تصرف في شؤون سكانها مثل الخليفة وقائد الدار وقائد العواسي والخزندار والباشحمبة والباش كاتب وآغا الدائرة ، وهذا ما يسمح لنا بتصنيفهم الى موظفين يقومون بشؤون الريف (قياد ، شيوخ ، حكام) وموظفين يتصرفون ويمارسون نفوذا على الأرياف (مثل الخليفة وآغا الدائرة) .

أ — الموظفون الذين يقومون بشؤون الأرياف :

1 — القياد [1] : يعينون من طرف الباي ويختارون في أغلب الأحيان من الذين سبق لهم العمل العسكري من الأتراك والكراغلة ، وتوكل لهم ادارة الأوطان التي تتألف من مجموعة القبائل والأعراش ، يقومون بمراقبة الشيوخ وتصريف شؤون السكان ، وعادة ما ينصب اهتمامهم على إقرار

---

(1) للتعرف على مهام القياد راجع :

— BOYERIS (C.), Op. cit. P. 58.
— TEMIMI (A.), Le Beylik de Constantine et Hadj Ahmed Bey. (1830-1837). Publications de la Rev. d'Histoire Maghrébine. Vol. 1. Tunis 1978. P. 68.
— BOYER (P.), L'Evolution de l'Algérie Médiane. Paris 1960 . P . 35.

النظام و جمع الضرائب و مراقبة الأسواق و فض النزاعات بين القبائل و إقرار الإمتيازات لبعض المرابطين و الأعيان و العائلات المتنفذة، وتختلف أهميتهم بأختلاف أهمية و مكانة الجهات أو القبائل التي يشرفون عليها، و هذا ما جعل قياد الحراكتة و النمامشة و الحنانشة من أهم موظفي بايليك الشرق .

و مما يلاحظ أن القياد، غالبا ما يفضلون الإقامة بمركز البايليك، قسنطينة، أو مراكز الحاميات العسكرية بالمدن الأخرى، تاركين التصرف المباشر في شؤون القبائل والعشائر الى الشيوخ الخاضعين لهم، كما أنّ سلطة القياد كانت تختلف من جهة الى أخرى، ففي الجهات السهلية و المناطق الغربية من قسنطينة، كانت فعلية و مباشرة، مثل قياد أولاد عبد النور وقصر الطير و العلمة، و في النواحي الجبلية و الأقاليم الممتنعة، كانت غير مباشرة أو إسمية مثل قيادة بلزمة و الأوراس و النمامشة [1].

2 — الحكام : يتصرفون في المدن و المناطق المحيطة بها أو التابعة لها، مما يجعلهم على صلة بشؤون الأرياف وتماثل مهامهم الأعمال التي كانت توكل الى القياد، زيادة على إشرافهم على النشاط التجاري و تنظيم الحرف في شكل نقابات في المدن التي كانوا يحكمونها، و عادة ما يساعدهم في أداء مهامهم، مجموعة من الشواش و بعض الموظفين التابعين لهم، مثل الكاهية، المتصرف في الحامية المقيمة بالمدينة و أمين العيون المكلف بتوفير المياه، و المزوار الذى يقوم بدور الشرطي و مراقبة الأسواق و المحافظة على الأخلاق العامة [2].

---

(1) سعيدوني (ن.)، دراسات وأبحاث ... ص. 275 .
(2) للتعرّف على صلاحيات الحكّام، راجع :

3 – <u>المشـيوخ</u> : يوضعـون على رأس القبائل ، ويختصـون بمراقبة القياد ، ويكلفون عادة بجمع الضرائب والسهر على الأمن والإشراف على أمور الأهالي وتنظيم المعاملات في نطاق القبيلة (1) ، سواء منها ما يتصل بالمسائل والمشكلات الاجتماعية أو النشاط الاقتصادي أو الأحكام القضائية ، وهم بحكم وظيفتهم هذه يشكلون واسطة بين البايليك ومجموع سكان الأرياف ، ولهذا كانوا عادة ما يختارون من العائلات المتنفذة التي عرفت بموالاتها للبايليك وتأثيرها على السكان ، مثل عائلة بن قانة و بوعكاز و المقراني ، وهذا ما جعل وظيفة المشيخ تكاد تكون وراثية في بعض العائلات التي ظلت تتمسك بمكانتها الاجتماعية وتقاليدها العريقة ، ونظرا لوظيفة الشيوخ ومكانتهم الاجتماعية في وسطهم الريفي ، فإن أغلب البايات كانوا يعتمدون أساسا في حكمهم للبايليك على هؤلاء الشيوخ الذين كانوا اليد المنفذة والأداة الفعالة للسلطة بالأرياف ، فبفضل الاعتماد على جهود الشيوخ ، تمكن صالح باي مثلا من إقرار الهدوء وفرض سلطته على جميع جهات بايليك الشرق لمدة تزيد عن العشرين سنة ، كما أن البايات الذين تولوا من بعده ، لم يجدوا مفرا من الاعتماد على الشيوخ لفرض سلطتهم على سكان الأرياف .

ب – الموظفون الذين لهم اتصال بشؤون الأرياف :

هم في معظمهم موظفون يساعدون الباي بقسنطينة أو يكلفون بشؤون المدن الرئيسية بالبايليك ، ولهم بحكم صلاحياتهم اتصال بالأرياف مثل :

-- BAUDICOURT (L. DE) , La guerre et le Gouvernement de l'Algérie , SAGNIER et BRAY , Paris, 1853 , P . 29 .

(1) A . G . G . Série H . AFFAIRES indigènes : A . G . G . 6.H.Chefs Indigènes du Constantinois, 1845 .

1 — الخليفة : ينوب الباى أثناء غيابه ويقوم بحمل الضرائب الفصلية الى الجزائر (الدنوش الصغرى ، أو ضرائب الربيع والخريف) ويكلّف في بعض الأحيان بقيادة الحملة لاستخلاص الضرائب " المحلة " وإيقاع العقاب بالثائرين وإخضاع المتمردين ، ونظرا لأهمية وظيفته وخطورة مهامه ، فقد كان يعيّن مباشرة من طرف الداى ، لاسيما وأنّه في الغالب ، الشخص الذى يتولى منصب الباى في حالة تنحية أو موت الباى .

2 — آغا الدائرة : يعرف عادة بالباش آغا وهو قائد الحامية العسكرية بمركز البايليك يعيّن مباشرة من طرف الداى بالجزائر ، ويوكل له عادة تنفيذ قرار تنحية أو إعدام البايات بأمر من داى الجزائر ، يشرف على فرسان المخزن وفرق الحامية الموجّهة لجمع الضرائب والتي توضع موقتا تحت تصرّف الباى ، وهذا ما اكسبه نفوذا حقيقيا (الآ ريباق) وكلمة مسموعة لدى الباى في آن واحد .

3 — قائد العواسي : أصبحت هذه الوظيفة في عهد الحاج أحمد باى من إختصاص قرابته ، فيتولاها الحاج حسين قريبه ، وكلف بها إبنه محمد بن الحاج أحمد باى ، وعمره لا يتجاوز 15 عاما [1] .

4 — الباش المكاحلي : أو باش مكحلجي ، المكلّف بتوفير السلاح والإشراف على الحرس بمقر إقامة الباى ، وأزدادت أهميته للحاجة الى تنظيم الدفاع والقيام بالحملات [2] ، وهذا ما خوّل له حق تولي

---

(1) T E M I M I , Op. cit. P. 68 .
(2) A . M . G . H 228 , Rapport . Op. cit.

الإشراف على ستة قبائل خارج قسنطينة ، مقابل دفع 1.000 بوجو كحق للتنصيب وتسرّح في خطة القبائل .

5 — الباش سواح : المكلف بخيول واسطبلات الباي ، أوكل له قيادة خمسة قبائل وكان يخضع لإدارته ويتلقى أوامره ستة عشر موظفا يدعون بالسراجين ، وأصبحت له أهمية متزايدة ، نظرا للحاجة الى الخيل في الحملات داخل البايليك وللإنتقال الى مركز السلطة بالجزائر ، وقد كان آخر من تولى باش سراج بالبايليك ، مسعود بن الهراسيم الذي أقره في هذا المنصب الحاج أحمد باي (1) .

6 — ناظر الأوقاف : المكلف برعاية الأوقاف أو أراضي الحبس بالأوقاف ، مما جعله على صلة مباشرة بسكان الأوقاف ، مع العلم بأن الأوقاف كانت تشتمل على أراضي واسعة ، لاسيما بجوار مدن قسنطينة وعنابة وميلة ، حيث كان السكان يقومون بخدمتها تحت نظر الشواش الذين يستخلصون منهم نائبي الانتاج وعائد الأوقاف ، بإشراف وكيل الأوقاف أو ناظر الحبس بقسنطينة ، وقد كان آخر من تولى نظر الأوقاف مصطفى بن العربي الذي أقره أحمد باي في هذه الوظيفة .

7 — الباش كاتب : أو كاتب سر الباي المكلف بوضع طابع الباي وخاتمه على القضايا الرسمية والمراسلات الادارية داخل البايليك وخارجه ، كما أوكل له المحافظة على السجلات المالية ودفاتر حسابات البايليك (2) وهذا ما أكسبه نفوذا وتأثيرا على الباي وسمح له بالتدخل في

---

(1) TEMIMI, Op. cit. P. 70.
(2) BOUROUIBA (R.), Constantine, collection "Art et culture". Alger 1978. P. 86.

شؤون الأوقاف والتصرف في أمورها وتعيين الموظفين المشرفين عليها .

8 — الباشسايجي : وظيفة أستحدثها الحاج أحمد باي في نطاق التنظيمات التي أدخلها على إدارة البايليك ، متأثرا في ذلك بما هو جار به العمل بالايالة التونسية [1]، وقد أعطى المكلف بهذه الوظيفة حق الإشراف على خزينة البايليك وخول له صلاحيات واسعة فيما يتصل بالجمارك والرسوم وقيادة الحملات وايقاع العقاب بالقضاة والمتمردين ومصادرة أملاكهم وثرواتهم ، وقد قام بهذه المهمة ، أيام حكم الحاج أحمد باي ، بن عيسى الحملاوي ، الذى أصبح الشخصية الثانية بالبايليك نظرا للصلاحيات التي خولها له هذا المنصب الذى أصبح بمثابة منصب خليفة الباي [2] .

ويلي هؤلاء الموظفين ذوى المهام المتعلقة بشؤون الأوقاف ، مجموعة كبيرة من الموظفين كانوا يعتمدون في حياتهم على مردود الزراعة ومنتوج الأوقاف دون أن يكون لهم اتصال مباشر أو سلطة فعلية على سكانه مثل موظفي ديوان البايليك الذين يشكلون حاشية الباي وهم :

— قائد الدار : المتصرف في شؤون المدينة والواسطة بين سكانها وموظفي البايليك [3] ، يكلف بأستقبال الشخصيات السياسية ، يوفر الخدمات الضرورية للحامية التركية وكان آخر من تولى هذه المهمة بأمر من الحاج أحمد باي ، قائد الدار بن بجاوي .

---

(1) NOUSCHI (A.) , " Constantine à la veille de la conquête Française " . , in C . T . N° 11 . 3e trimestre , 1955 . PP.307 et S.

(2) T E M I M I , Op. cit. P. 67.

(3) VAYSSETTES " Organisation Administrative du Beylik de Constantine ". in R.A. N° 3. Années 1858 - 1859 . P. 197 et S.

- الخزندار : المكلّف بخزينة الباليك والمشرف على المحافظة على ودائع الخزينة وصرفها بأمر من الباي.

- الباش فراش : المكلّف بإقامة الباي والمشرف على الخيام التي يتطلبها لإستقباله خارج قسنطينة.

- قائد المقصورة : أو الحاجب المشرف على الشؤون الشخصية للباي.(1)

- قائد الدريبة : المكلّف بمراقبة أبواب قصر الباي والإشراف على حراسة خدمه.

- قائد الجبيرة : هو حامل محفظة الباي.

- قائد السيوانة : هو حامل مظلة الباي.

- قائد السبسي : هو حامل غليون الباي.

- قائد الطاسة : هو حامل الأواني التي يستعملها الباي خلال السفر

- الباش علام : هو المشرف على حاملي الرايات والأعلام عند خروج الباي

- الباش طبال : هو المشرف على المكلفين بالموسيقى التي تصاحب

---

(1) A. N. G. H. 228. Rapport. Op. cit.

الباي عند خروجه .

— الباش قهواجي : هو المكلّف بخدمة الباي وتقديم القهوة له .

هذا بالإضافة الى هذه المجموعة ، هناك العديد من الشواش الموضوعين في خدمة الباي وتنفيذ الأحكام الصادرة عنه ، وعلى رأسهم موظفين مساعدين يعرف كل واحد منهما بشاوش الباي[1].

وهذه النظرة الاجمالية على موظفي البايليك ، تؤكد لنا التنظيم المحكم الذي كان يتميّز به بايليك قسنطينة والجهاز المنفذ الذي كان يشرف على شؤون الأرياف ، والذي يقوم على التنسيق بين سلطة الباي ومهام القائد وصلاحيات الشيخ التي تطورت بفعل الاصلاحات والتعديلات الادارية التي أدخلها الحاج أحمد باي ، وبفضل إحداث وظائف ومناصب حكم جديدة أقتضتها ضرورة التنظيم الاداري للأرياف القسنطينية ، بحيث أصبح يؤخذ بعين الاعتبار آراء أعضاء الديوان دون أن يقلل ذلك من صلاحيات الباي وبعض الموظفين الساميين الذين احتكروا السلطة ، وأصبحت الكلمة الأخيرة تعود اليهم بعد إستشارة أعضاء الديوان الذي يضم غالبية الموظفين[2] .

هذا وفي ختام هذا الفصل ، نلاحظ أنّ العوامل المختلفة التي كان لها تأثير على النظام الضريبي بأرياف بايليك قسنطينة ، من أوضاع ديمغرافية واجتماعية وأنظمة ادارية وسياسات متميّزة للحكام في تعاملهم مع أهالي الأرياف وما أنجزّ عنها من نوعية خاصة في تنظيم السلك الاداري بالشرق الجزائري ، كل ذلك يشكل الإطار العام والأرضية المتميّزة لتطبيق نظام ضريبي بأجهزته الخاصة وتنظيماته المتعارف عليها ، وهذا ما سوف نتعرف عليه في الفصل الثالث .

---

(1) لقد حدث في تاريخ بايليك قسنطينة أن يرتقى بعض الشوّاش الى مناصب بايات ، مثل أحمد شاوش القبائلي الذى كان شاوشا قبل أن يصبح باياسنة 1807 ، لمزيد من الايضاح راجع :

— B O U R O U I B A , Op. cit. P. 81 .

— G A I D , Chronique des Beys.... PP. 20 et S.

(2) T E M I M I , Op. cit. PP . 64 - 65.

الفصل الثالث

تنظيمات الجهاز الضريبي في الريف القسنطيني :

تشتمل التنظيمات الخاصة بالجهاز الضريبي بالريف القسنطيني على سلك موظفي الجهاز الضريبي وعلى مجموعة من الضرائب المستخلصة من أهالي الريف ، خضعت لدوافع وعوامل ساهمت في فرض وإحداث إصلاحات وتعديلات خضعت لها السياسة الجبائية المطبقة ببايليك قسنطينة ، وهذا ما نحاول التعرّض له في هذا الفصل من خلال النقاط التالية :

أ - موظفو الجهاز الضريبي بالريف القسنطيني.

ب - أصناف الضرائب ونوعية الرسوم المستخلصة.

ج - الدوافع والعوامل المتحكمة في فرض الضرائب على سكان الأرياف القسنطينية.

د - الإصلاحات والتعديلات التي خضعت لها الضرائب بالريف القسنطيني.

أ - موظفو الجهاز الضريبي بالريف القسنطيني :

يقوم النظام الإداري لبايليك قسنطينة ، كباقي البايليكات ، على توفر الأمن و إستخلاص الضرائب الكفيلة بتغطية حاجات الجهاز الإداري للبايليك ، وهذا ما جعل أغلب الموظفين بمركز البايليك " قسنطينة " لهم إتصال مباشر بالضرائب سواء منها ما يستخلص بالمدن أو ما يجمع بالأرياف ؛ ولهذا كان للباي ومساعديه مثل الخليفة وقائد الدار والخزناجي (الجزائر) و الباش كاتب و آغا الدائرة و الباشحامبة ووكيل الأوقاف وغيرهم ، إهتمام بقضايا الضرائب بالريف ، وقد تم التعريف ببعضهم سابقا ، ولا داعي لإعادة الكلام عليهم لأنهم موظفون مستقرون بقسنطينة و ليست لهم صلة بشؤون الريف ، إلا عن طريق موظفين آخرين مكلفين بإستخلاص الضرائب بالأرياف القسنطينية ، وعلى كل فإننا سوف نحاول الإشارة الى أهم هؤلاء الموظفين الذين لهم نظر في ضرائب الأرياف سواء كانوا مرتبطين بالادارة الحضرية بقسنطينة ، أو لهم إشراف فعلي على الضرائب بالأرياف القسنطينية (1) .

فمن هؤلاء الموظفين الذين لهم نظر في قضايا الضرائب بالريف : الباي ، الحاكم الرسمي للبايليك الذي يحرص بدوره على إستخلاص ما يمكن إستخلاصه من أهالي الريف ، وكذلك الباشحامبة الذي أصبح موظفا

---

(1) لمزيد من الإيضاح حول الموظفين المكلفين بجمع الضرائب راجع :

- DHINA (A.) , " Aspects de l'ancienne société musulmane : Institutions Fiscales en Andalousie " : Article paru in "El - Moudjahid" du 28 Mai 1987. P. 12.

أساسيا في عهد أحمد باي ، يتولى مساعدة الباي في القضايا المتصلة بجميع الوظائف ومنها إدارة الجمارك والنظر في شؤون الأرياف ومراقبة مداخيلها ، كما كان عليه الحال عند تولي بن عيسى الحملاوي هذه الوظيفة ، وأما الدائرة الذي يماثل مهام خوجة الخيل بالجزائر ، وقد يقوم بمهام حفظ الأمن والنظر في شؤون الأرياف والتحكم في سكانها واستخلاص ما يتوجب على بعض القبائل من المطالب .

أما الموظفون الأساسيون المكلفون بالجبايات بالأرياف واستخلاص ما يتوجب على سكانها من مغارم وضرائب وعوائد فهم جماعة القياد والشيوخ :
— القياد : وهم الحكام المكلفون بالإشراف على المجموعات القبلية بالأرياف ويهتمون مباشرة بالنظر في شؤون القبائل وإقرار الأمن بالأرياف وجمع الضرائب المتوجبة على سكانها بالرجوع الى شيوخ وزعماء القبائل.

وفي ما يخص الضرائب ، كان من صلاحيات القياد أو الحكام الذين لهم نفوذ بالأرياف أن يحددوا مبلغ الضرائب التي تدفعها القبائل والإشراف على جمعها[1] ومنهم من تخصص في ذلك وأصبحت إهتماماته تتركز أساسا على خدمات الجهاز الضرائبي ، مثل قائد جبرى أو قائد العشور ، وقد تطور هذا النظام في عهد صالح باي (1771 — 1792) الذي أحدث تنظيمات خاصة بأستخلاص الضرائب ، فأصبح بايليك الشرق مقسم الى قسمين ، أحدهما شرقي والآخر غربي ، يفصلهما وادي الحمام ، كل واحد يخضع لقائد جبرى أو قائد عشور[2] كما كان يعرف قبل أحمد باي ، وكل قائد ، كان يقوم بجولتين ، إحداهما

---

(1) WARNIER , Recherches sur l'Impôt ... Rapport op. cit.

(2) تعرف الأراضي التي يستخلص منها العشور (الجبرى) بأراضي الجوابرية ، لمزيد من الايضاح راجع : سعيدوني ، النظام المالي... ص. 89.

في الخريف والأخرى في بعد الحصاد من كل عام حسب الجهة التي يشرف عليها ، بحيث يهتم أحدهما بالنواحي الشرقية لابايليك والآخر يختص بالجهات الغربية ، ويساعدهما في ذلك شيوخ الدواوير وقياد النواحي وفرسان المخزن ، وعادة ما تكون جولة فصل الخريف بقصد تقييم عملية الحرث وتقدير ما يمكن إستخلاصه بعد الحصاد ، بطريقة جزافية (Forfaitaire .)(1) وجولة فصل الصيف تكون بعد الحصاد ، بغرض إستخلاص ضريبة العشر المعروفة أيضا بضريبة الجبري قبل عهد أحمد باي ، ويكون ذلك عادة بحضور قائد القبيلة وشيخ الدوار ومجموع الفلاحين ، ويضبط في شأنها قائمة " جريدة " يلزم بها الشيوخ ويتولى حفظها القياد ، كما يرسل منها نسخة ثانية الى الباى بقسنطينة ويكون تحديد تلك الضريبة من إختصاص قائد جبرى ، فهو الذى يحرص على تسجيل أسماء القبائل وأنواع المحاصيل وما يتوجب عليها من ضرائب (2).

وبجانب هاذين القائدين " قائدى العشور أو جبرى " ، كان هناك العديد من القياد الاداريين المنتشرين على رأس المجموعات القبلية بأرياف قسنطينة ، يقومون بأستخلاص الضرائب التي لم تسدد بعد ويراقبون الأسواق ويسهرون على أمنها ، فيضعون حدا للمنازعات والمشاجرات بين أفراد القبائل ويتسلمون حقوق عرض الانتاج الزراعي والحيواني كما يتقاضون رسوم بيع السلع والبضائع المعروضة بها في شكل رسوم ومكوس عينية ونقدية متعارف عليها كما يتضح لنا عند تعريفها

---

(1) N O U S C H I , Enquête ... P . 97 .

(2) U R B A I N et W A R N I E R , Organisation et Situation de la province de Constantine à l'époque de l'occupation. Oct. 1837 ; Tableau 1840 : Revenus de la province P. 341.

وتحديد نوعيتها . هذا ، وقد كان يتلقى كل من قائدي العشور مقابل القيام بمهامه بالأرياف ، عائدا يعرف بحق الزمام ، سنشير اليه في أنواع الضرائب ، مع علاوة مالية من خزينة البايليك تقدر بثلاثمائة ريال بوجو سنويا وبعض الخدمات ، وهذا ما مكن كل من اشتغل بهذا الوظيف من إشتراء بعض الأراضي والأملاك بقسنطينة وضواحيها مثل بن دالي ومسعود القبائلي الذين توليا منصب قائد العشور ، الأول للناحية الشرقية والثاني للجهة الغربية من البايليك في عهد أحمد باي.(1)

— الشيوخ : يتولون شؤون القبائل الجبلية والعشائر البدوية ، ويختص كل واحد منهم بدوار أو عرش أو دشرة حيث يعيش عدد محدود من العائلات في الخيام أو الأكواخ أو المنازل الريفية البسيطة ، وإذا زاد سلطة أحد الشيوخ عن قبيلة وأصبح له نفوذ على العديد من القبائل المجاورة وأصبحت له مكانة خاصة وامكن له التعامل مباشرة مع الباي أو خليفته ولم يعد ملزم بالرجوع مباشرة الى القائد أو الحاكم الذي يتولى مسؤولية الجهة التي له نفوذ بها .

وعلى كل فوظائف الشيوخ فيما يتصل بالضرائب تشبه الى حد ما صلاحيات القياد فيما يخص تحديد مقدار الضرائب وإستخلاصها ومراقبة المحاصيل وعدد القطعان ، وإن كانت هذه الصلاحيات لا تصل

---

(1) A.M.G. H 226. Rapport Rousseau sur le système monétaire de Constantine 29 Septembre 1832 : Organisation financière, administrative et politique du Beylik de Constantine. Les Redevances périodiques à titre d'investiture, les contributions payées par les tribus. Rapport rédigé par Rousseau et soumis à Mr Blondel, directeur des Finances à Alger le 29 Septembre 1838.

الى مستوى نفوذ القياد على النواحي و إنما تظل في نطاق القبيلة ، و إضافة الى ذلك فإن الشيوخ الذين يعتمدون في فرض نفوذهم وسلطتهم على القياد الذين يقرّونهم في مهامهم و يقفون معهم عند تعرض مكانتهم للخطر من جراء المنافسة و الصراع القبلي ، فإنهم يكونون الوسيلة الفعّالة للجهاز الضريبي بالأرياف القسنطينية ، فهي مساعدي القياد و موظفي البايليك في تقدير ما يتوجب من ضرائب و في إستخلاص ما يفرض منها على أفراد القبيلة، فهم بحق يد السلطة وعينها على سكان الأرياف ، وقد يقدمون البديل للبايليك في حالة عجز القوة الحربية و تقاعس الموظفين واستخلاص حقوق الدولة على سكان الأرياف لما لهم من ارتباط بالأهالي و ما لديهم من سمعة و مكانة و نفوذ للعائلات التي ينتسبون اليها والتي أصبحت بفضل التقاليد و ادعاء النسب و التمسك بالعادات ، سلطة إخلاقية و معنوية بالوسط الريفي (1) .

---

(1) لمزيد من الإيضاح حول التنظيمات الادارية و العسكرية المطبّقة في إيالات الامبراطورية العثمانية راجع :

— BENOIST – MECHIN , MUSTAPHA KAMEL ou la mort d'un empire . Editions Albin Michel . Paris 1 9 5 4 .

— COLOMBE (M.), "L'Algérie Turque", in Initiation à l'Algérie . Paris 1 9 5 7 .

ب — أصنـاف الضرائب و نوعية الرسوم المستخلصة :

لقد شكلت الضرائب و المستلزمات المالية المستخلصة من سكان أرياف قسنطينة مصدرا إقتصاديا رئيسيا و موردا ماليا أساسيا للجهاز الإداري و العسكري لبايليك قسنطينة ، و هي في مجملها تنقسم الى ثلاثة أصناف أو أنواع حسب طبيعتها القانونية و طريقة استخلاصها (1). فهي إما ضرائب إعتيادية أو شرعية كالعشور و الزكاة و ضرائب غير إعتيادية أو مستحدثة و هي مغارم في مجملها مثل اللزمة و الغرامة و المعونة و الخطية و مهرباشا ، و ضرائب إدارية مقابل حقوق التولية و رسوم الأسواق و هدايا و عوائد ترضية .

(1) سوف لا نتطرق الى الضرائب ذات الطابع الحضري نظرًا لأنّ بحثنا يقتصر على النظام الضريبي بالأرياف ، مع العلم بأن الضرائب بالمدن كانت تشكل مصدرا مهما ولكن ليس أساسي ، وهي متنوعة،منها : الجزية المفروضة على اليهود والتي قدرت ما بين 25.000 و 50.000 فرنك بالنسبة ليهود قسنطينة الذين تمتعوا بحق ممارسة طقوسهم الدينية والتمتع بحماية الدولة مقابل تسديد ضريبة الجزية كل يوم خميس بمعدل قرش واحد على كل فرد يشكل الطائفة اليهودية، بالاضافة الى تقديم مواد غذائية متمثلة في السكر، القهوة ، التبغ ، اللحم والزيتون ، كانت تخصّص لتموين فرسان المحلة. كما تحتوى ضرائب المدن على رسوم أبواب المدن و أسواقها التي يستخلصها قائد الباب و قائد السوق عادة و حقوق النقابات المهنية و المحلات التجارية التي يساهم بها أمناء الخبازين و الجزارين و العطارين و الحواكة " النساجين" و السقايين و السراريين (يصنعون خشب الأسلحة) والجزازيين والخياطين و الجلايين و الخضاريين و السراجين والسماريين و غيرهم. لمزيد من المعلومات على ضرائب المدن راجع :

— FERAUD (L. Ch.), Les corporations des métiers... PP.451 à 454 .

1 — الضرائب الإقتصادية أو الشرعية :

هي الضرائب التي سنتها الشريعة الاسلامية و ألزم بها المسلم طبقا لتعليمات الدين الحنيف ، و هي إما تتصل بالحبوب وتعرف بالعشور أو تخص الحيوانات و المواشي و تعرف بالزكاة .

— العشور :

يستخلص من الانتاج الفلاحي من قمح و شعير و تبن و غيره عملا بأحكام الشرع ، و هي في أصولها تعود الى الفترة الاسلامية السابقة لوجود العثمانيين بالجزائر ، و قد أصبحت مع الوقت ، تحدّد حسب المساحة ، فكان يؤخذ على كل جابدة [1] صاع [2] من القمح و صاع من الشعير و حمولة من التبن ، هذا وقد كانت هذه الضريبة تعرف بضريبة الجبرى الذى يحدّدها عادة قائد العشور الذى كان يعرف أيضا منذ عهد صالح باى "بقائد جبرى" و ذلك حسب عدد الجابدات و خصوبة التربة و جودة المواسم ، ولهذا فهي تختلف من منطقة الى منطقة أخرى مع إعطاء مرونة في فرضها تمكن الفلاح من الحصول على فوائد من خدمة أرضه في المواسم الجيّدة قد يفقدها في فترات الجفاف و القحط ، وهي في حجمها تقدر عادة بإثني عشر صاعا و نصف صاع من القمح و مثلها من الشعير مع عشر شبكات " حمولات من التبن " بالنسبة للجابدة في المواسم الخصبة ، مما يجعلها ضريبة ثابتة و محدّدة .

---

(1) مساحة من الأرض الزراعية يقوم بحرثها ثوران " جابدة " و هي تختلف في سعتها حسب طبيعة الأرض بحيث يصل الى 12 هكتارات في الأراضي السهلية ولا تتجاوز 8 هكتارات في المناطق الجبلية .

(2) الوحدة التقليدية للكيل و هي تعادل في المتوسط حوالي خمسين لترا (48,80 ل) و هي تنقسم الى النصف ، الربع والثمن .

هذا ، وقد كانت ضريبة العشور تؤلف مدخولا أساسيا للبايليك نظرا لأن ثلثي الأراضي الزراعية الخصبة بالبايليك كانت تعتبر ملكيات خاصة، يتوجب عليها دفع ضريبة العشور[1] ، وهذا ما يجعل من ضريبة العشور الجباية الأساسية في بايليك قسنطينة ، فهي توفر للبايليك ما لا يقل من 396480 ف. ، إذا اعتبرنا أن ما يتوجب على الجابدة 12 ف. وأخذنا أقل الإحصاءات لعدد الجابدات المفروضة عليها العشور، والتي حددت بـ 33040 وهو الإحصاء الذى انتهت إليه لجنة السيناتوس كونسولت Senatus consulte لـ 22 أفريل سنة 1825 التي اعتبرت أن ما يؤخذ من العشور، هو $\frac{1}{6}$ الأراضي التي تملكها القبائل الخاضعة لقائد العشور[2] ، هذا مع العلم بأن عدد الجابدات تختلف من تقرير الى آخر، منها من ذكر أنها تصل الى 15.000 جابدة ، ومنها من رفعها الى 20.000 وحتى الى 25.000 جابدة ، وربما هذه الأرقام الأخيرة المرتفعة التي لم تأخذ بها ، تتضمن مساحة كل الأراضي الزراعية بما فيها أراضي المستخلص عنها العشور[3] ، وهذا ما يجعلنا نؤكد بأن هذه الإحصائيات هي تقريبية فقط ، فهي تدل عن أهمية ضريبة العشور وليس على الكمية والمساحة الحقيقية بالضبط . ولعل أقرب هذه الإحصاءات الى الواقع الذى كان عليه الريف القسنطيني هو ما كل ما أورده كل من أربان (Urbain) و وارنيي (Warnier) في تقريرهما في السنوات الأولى للإحتلال ، فقد انتهيا

---

(1) URBAIN et WARNIER, op. cit.

(2) A.N.P. F 80. 1807. SENATUS CONSULTE du 22 Avril 1865. Statistiques au 1er Janvier 1867. "Azels de la province de Constantine".

(3) 15 Mi 53 - Vol. 13/90. A.O.M. Aix. En. provence : Fiscalité - Impôts en nature de l'Achour sur les Tribus de la Régence d'Alger .

بعد تحريات إلى أنّ مجموع عدد الجابدات المستخلص من العشور في بايليك الشرق يصل الى 17.527 موزعة كالتالي :

4.800 جابدة لقبائل غرب البايلبيك .

3.500 جابدة لقبائل شرق البايلبيك .

2.515 جابدة لأراضي البايليك الخاصة بالموظفين وبعض الشخصيات.

5.212 جابدة لأراضي العزل التي يؤخذ منها الحكور بالاضافة الى العشور

1.500 جابدة للملكيات الخاصة بالموظفين ورجال الدولة بالخصوص[1] .

- الـزكـاة :

تؤخذ على قطعان المواشي من أغنام وماعز وجمال وأبقار كما نصت على ذلك الأحكام الاسلامية التي أسست لها في عهود الدول الاسلامية الدواوين وخصص لها موظفين ، ومع أن الزكاة لم تفرض في الشكل المتعارف عليه على سكان الأرياف ، بل أتخذت نظرا لأوضاع بايليك الشرق، تطبيقات محلية، فاستخلصت في شكل مطالب محددة ، وهذا ما جعلها تتدرج في ما كان يحصل عليه البايليك من حيوانات من أهالي الأرياف دون إطلاق تسمية الزكاة عليها ، وهذا ما دفع بعض الدارسين الأوربيين الى القول بعدم وجود ضريبة زكاة ببايليك الشرق ، دون محاولة التعرف على الأوجه المختلفة التي اتخذتها لطبيعة الجهاز الضريبي ببايليك الشرق [2] .

---

(1) URBAIN et WARNIER , op. cit.

(2) لمزيد من المعلومات راجع : - محمد بن عبد المنعم ، جمال ، الضرائب

2 — الضرائب غير الإعتيادية أو المستحدثة :

هي الضرائب الطارئة لظروف اقتصادية و سياسية خاصة و يتطلب الحصول عليها عند الضرورة تجريد المحلات واستعمال القوة ، وهي متنوعة وتختلف من مكان الى آخر في أرياف قسنطينة ، ومن أهمها :

— اللزمة :

هي ضريبة عينية أو نقدية [1] تفرض بغرض تعويض الحامية و تزويد النوبة و المساهمة في الدنوش، وقد تفرض عادة على قبائل الرعية الخاضعة والتي غالبا ما تعيش على أراضي العرش، وقد تلزم بها بعض القبائل بالمناطق الصحراوية (الصحارى) ، أو الجهات الجبلية (الجبايلية)[2]، وتكون في هذه الحالة ، مقابل حق الاختلاف الى الأسّواق و التعامل مع البايليك ، وفي هذه الحالة ، تعوّض ضريبة العشور والزكاة التي يتعذر دفعها في تلك المناطق البعيدة ، ولهذا أصبحت تشكل مداخل عينية و نقدية و فيرة للخزينة في بعض الجهات التي لم يطبق فيها نظم الحكور والجبرى " العشور " مثل نواحي بجاية و منطقة البابور و فرجيوة و ميلة التي كانت اللزمة المفروضة عليها تقدر إجماليا بـ 122055 ريال بوجو أو 98101،80 ف . موزعة كما يلي [3] :

=== ... العقارية والمحلية (دون تاريخ ومكان النشر) ص ص . 14 — 15 .
— TYAN (E.), Institutions du Droit Public musulman. Tome 1 : Le Califat. Recueil Sirey. Paris V. Ouvrage publié par le concours du CNRS. Paris 1954. PP. 207 et S.
— NOUSCHI, Enquête ... P. 99.
— BONTEMS ; op. cit. P. 67.

(1) ROBE (E.), De l'Impôt en Algérie, Alger Typographie. Bastide 1871.P.6

(2) LAROUI (A.), L'Histoire du Maghreb, un essai de synthèse, petite collection François Maspéro. Paris 1976. Tome 2 . P . 45 .

(3) A . M . G . H . 226 . Rapport ROUSSEAU . op. cit.

قبائل بجاية	21.360 بوجو	أي	384.48 ف
قبائل ساحل البابور	7566 بوجو	أي	13510,80 ف
قبائل فرجيوة و ميلة	25635 بوجو	أي	461.43 ف
المجموع :	122.055 بوجو	أي	98101,80 ف.

بمثل هذه المبالغ المالية ، أصبحت اللزمة من أهم مصادر الدخل لبايليك الشرق ، بحيث قدرت عشية الإحتلال الفرنسي لقسنطينة سنة 1837 حسب تقرير روسو (ROUSSEAU) ، بما لا يقل عن 389.85 ف [1]، وأوصلها وارنيي (WARNIER) في تقريره الى حوالي 600.000 ف ، وهو مبلغ مهم بالنسبة لمجموع مصادر الدخل الاجمالية للشرق الجزائري [2]. هذا ، وتدفع ضريبة اللزمة عادة مرتين في السنة : إحداهما في الصيف والأخرى في الربيع ، وهي في الغالب ، تحدد نقدا و تختلف من قبيلة الى أخرى ، فهي مثلا بنواحي مجانة " برج بوعريريج " تصل الى 20 ف . ، وفي جهات سطيف ترتفع الى 22,5 ف [3]، رغم كون المنطقة واحدة وذات قدرة انتاجية متماثلة ، وقد تدفع مقابل عدد أشجار الزيتون و النخيل ، ففي نواحي الزيبان كانت اللزمة المفروضة على كل شجرة تتراوح ما بين 0,25 و 0,50 ف على كل نخلة مثمرة .

(1) Idem.
(2) A.N.P. F.80. 522, Rapport WARNIER ... op. cit.
(3) A.G.G. Archives du Gouvernement Général Civil de l'Algérie : Etude sur les impôts Arabes en Algérie. Alger, Imprimerie GOJOSSO et Cie. 1879 . PP.16 et S.

وعلى كلّ، فإن ضريبة اللزمة ،كانت تستخلص بصفة منتظمة ومستمرة من قبائل الرعية في الجهات السهلية ، بينما اضطرّ حكام البايليك الى تجريد الحملات وشن الغارات لاستخلاصها من المناطق الجبلية أو الصحراوية، وفي هذه الحالة ،غالبا ما تفرض جزافاء بحيث يطلب مبلغ معين من المال ، يغطي مستلزمات عدة سنوات ،وقد يصل في هذه الحالة الى 300.000 ريال بسيط مع العديد من الخيل و مجموعة من العبيد، كما هو الحال بالنسبة للشيخ فرحات بن جلاب بمنطقة وادى ريغ ، ولهذا فإنّه غالبا ما يكون دفع اللزمة بمثابة إعلان الخضوع والدخول تحت سلطة البايليك ولذلك كان يمانع زعماء القبائل القوية الإلتزام بدفعها إلاّ تحت التهديد والإغراءات ، مثل آل المقراني بمجانة و قبائل ساحل البابور وشيوخ الذواودة بالزيبان و الحنانشة بجهات سوق أهراس [1].

— الغـــرامـــة :

هي ضريبة تفرض على القبائل الممتنعة أو البعيدة عن نفوذ البايليك ، و هي غالبا ما تكون بأطراف بايليك الشرق و الجهات الجبلية خاصة ، وبعض نواحي الهضاب العليا التي يعتمد سكانها أساسا على الرعي وكذلك جهات الصحراء المتاخمة لجبال أوراس و مواطن النمامشة والحراكتة و منطقة الحنانشة وبني صالح . وهي تؤخذ في أغلب الأحيان من المنتوجات المحلية ، وعند الضرورة تسدّد نقدا، و تتنوع بتنوع إنتاج القبائل التي تلزم بدفعها مثل الحيوانات ، كالماعز والأغنام و الأبقار والجمال و الخيل و البغال و المواد الأولية المتوفرة كالعسل و الشمع و الزبدة والملح

---

(1) G A I D , Chronique des Beys ... PP. 14 à 19 .

والجلود و القطران و الحصر الخ ...

فقبائل الساحل بجهات سكيكدة والبابور و القرقور و زمورة (ما بين جيجل وسطيف والصومام) غالبا ما تلزم عند دفع الغرامة بتقديم الأبقار و البغال والخشب ، وقبائل شطابة والهضاب العليا بجهات السقنية وأولاد سلام تغرم خاصة بكميات من العسل والزبدة ، و تعرف الضريبة الأخيرة بغرامة البقراج (1) ، مع شيء من الخشب والفحم، يوجه لتلبية طلب قصر الباي من أجل الطهي والتسخين خاصة ، و بنواحي السباخ ، حيث بحيرات الملح ، كانت قبائل الزمول تساهم بكمية من الملح هي عشر ما كانت تستخرجه من الترسبات الملحية ، أما جهات تبسة ، فكانت تؤخذ غرامتها في الغالب من الحيوانات والجلود خاصة التي كانت تقدمها قبائل الحمامرة و المواشي والجمال من أولاد سيدي يحيى بوطالب و عشائر الحنانشة والنمامشة خاصة التي كانت غرامتها تقدر عادة ب 3.000 خروف سنويا (2) . و مثلما الحراكتة التي تسدد في شكل غرامة 1.000 خروف سنويا، مما جعل غرامة عشائر الحراكتة المفروضة على مجمل الخيام ، تقدر في عهد أحمد باي بما لا يقل عن 250.000 ف، سنويا (3) .

هذا ، ولعل أهم القبائل التي كانت ملزمة بالمساهمة بضريبة الغرامة السنوية ، وكانت تحت تهديد المحلات في حالة الإمتناع عن المساهمة بها في الجهات الشرقية و الجنوبية الشرقية : عشائر الحنانشة ، و أولاد سيدي يحى بوطالب و النمامشة و الحراكتة ، و في الجهات الشمالية والشمالية الغربية :

---

(1) A . N . P . F 80 . 522 , Rapport op. cit.

(2) Tableau des Etablissements Français. 1840. Revenus de la province de Constantine.

(3) A . N . P . F 80 . 522 , " Sur l'impôt " , op. cit.

زردازة وفرجيوة والبابور والقرقور وأولاد عبد النور، وفي الجهات الجنوبية والجنوبية الغربية : قبائل الصحراء التلاغمة وأولاد عبد النور والمسيلة والأوراس والزيبان .

وبالتالي ، تكون ضريبة الغرامة من أهم مصادر الدخل لبايليك قسنطينة ، حيث حددها السيد روسو (ROUSSEAU) عشية الإحتلال الفرنسي بـ 85 • 389 فرنك [1] ، وهذا ما دفع السيد وارني (WARNIER) في تقريره الى القول بأن : " ضريبة الغرامة تشكل أهم مصدر دخل لباي قسنطينة" [2] .

- الخطية والضرائب الخاصة :

وهي تفرض ظرفيا على بعض القبائل ، كدليل على خضوع تلك القبائل لسلطة الباي ، وهي عادة ما تلزم بها القبائل الثائرة أو المتمردة عند إخضاعها أو طلبها الأمان عوضا عما صدر عنها من مخالفة وعصيان ، وقد تفرض على بعض الأشخاص في شكل عقاب للمخالفين للقانون أو دية للذين ارتكبوا جرائم أو مخالفات في حق بعض الأفراد [3] ، وفي حالة عدم التعرّف على الجاني ، فإن شيخ الدوار أو قائد القبيلة يلتجىء عادة الى فرض خطية جزافية على مجموع أفراد العشيرة لعدم التعرّف على مرتكب المخالفة [4] .

هذا ، وقد كانت الخطية تشكل إحدى مصادر الدخل المهمة ببايليك الشرق ، بحيث قدرت بخمس $\frac{1}{5}$ موارد الخزينة في عهد الحاج أحمد باي حسب ما أفادت به بعض التقارير [5] .

---

(1) A . M . G . H 226 , Rapport ROUSSEAU , op. cit.
(2) A . N . P . F 80 . 522 , Rapport WARNIER déjà cité.
(3) BOCHARD (A.), " Impôts Arabes en Algérie " , Extrait du Journal des Economistes. Nov. Déc. 1892. Paris GUILLAUMIN et Cie. 1893. P. 6.
(4) ROBE (E.), op. cit. P. 7.
(5) A . O . M . F 80 . 522 , Rapport déjà cité sur l'impôt.

هذا و يلحق بالخطية ، ضرائب خاصة تفرض على بعض القبائل مثل :

— حق العسة :

و هي ضريبة ألزمت بها بعض القبائل الصحراوية مقابل إقامتها موءقتا ببعض المراعي و تموّدهما على أسواق الجهات الشمالية " التل " لإقتناء الحبوب و مبادلة إنتاجها من التمر والمواشي (1) .

— التويزة :

و هي بمثابة أعمال سخرة مجانية بأتم معنى الكلمة ، تفرض على القبائل الخاضعة (الرعية) التي تكلف بخدمة أراضي البايليك (العزل) في شكل القيام بأعمال الحرث و البذر و الحصاد ، بجانب الخماسين العاملين بتلك المزارع ، و هذا ما يوفّر مبالغ ضخمة لخزينة البايليك .

— مهر باشا :

و هي ضريبة في شكل إعانة إلزامية توءخذ على الخيل بغرض المساهمة في الدنوش الفصلية أو السنوية التي يلتزم بها بايليك الشرق لحكومة الجزائر المركزية ، و يتولى إستخلاص هذه الضريبة قائد مهرباشا في فصل الشتاء من بعض القبائل الملزمة بها ، و هي توفّر للبايليك ما بين 600 و 700 حصان سنويا ، بحيث أمكن بفضلها ، تجديد خيل فرسان المخزن التي تهلك أو تصبح غير ملائمة للإستعمال في الحملات العسكرية ، أو لنقل الدنوش الى الجزائر (2) .

— المعونة :

و هي مساهمة طارئة في شكل ضريبة خاصة غير محدّدة من حيث الوقت

---

(1) A . G . G . Etude sur les impôts Arabes ... P. 11 .
(2) A . O . M . F 80.522. Résumé des recherches sur l'impôt...op.cit.

أو الكمية ، يتعهد شيوخ القبائل جمعها في فصل الصيف غالباء بغرض تموين الحاميات العسكرية بالمدن وفرق النوبة المستقلة عبر الأرياف [1] ، وهي تقدر عادة بـ 600 ، 600 كيلة من الشعير [2] ، وفي بعض الأحيان تكون بالنسبة لسكان بلاد القبائل الصغرى " البابور والصومام " في شكل كميات من التين والزيتون والأغنام والحبوب ومقادير من الفضة المعالجة محليا .

هذا ومما يلاحظ أنّ هذه الضريبة الخاصة المتمثلة في المعونة ، عادة ما تنخفض في حالات الهدنة والسلم ، كما أنّها من النادر أن تسدّد نقدا [3] ، بل تؤخذ غالبا من الانتاج المتوفر لدى القبائل الملزمين بها .

3 — الضرائب ذات الطابع الاداري والصبغة الاقتصادية :

هذه الضرائب منها ما أوجبته الاجراءات المتعلقة بتولي المناصب الادارية بالأرياف بغرض الإعراب عن الروابط والتعاون مع موظفي البايليك ، مثل حقوق التولية وهدايا المواسم ، ومنها ما أنجرّ عن الاجراءات الاقتصادية المتعلقة بكراء الأرض مثل الحكور ، أو المبادلات بالأسواق والرسوم والعكوس وحقوق الأسواق وغيرها ، ويمكن إجمالها فيما يلي :

(1) Tableau des Etablissements Français : Des Impôts et Revenus de la Régence : Le Beylik de Constantine.(1830-1837) PP. 372 et S.

(2) GOURGEOT (F.), Les Sept plaies de l'Algérie, Alger, Imprimerie. Pierre Fontaine . 1891 . P . 73 .

(3) Idem . P. 78 .

– حقوق التولية :

ومن أهمها حق البرنوس الذى يدفعه القائد أو شيخ القبيلة، عند تولية منصبه، للباى وهو بدوره يخبر أفراد قبيلته بالمساهمة بتغطية نفقات هذه الضريبة التي هي في الواقع حقوق إلتزام أو إسناد المناصب[1] ، Droit d'investiture وقد جرت العادة على أن يطلب من أفراد القبيلة تقديم مساهمتهم التي كانت تعرف بحق الفرح ، وهي ريال بسيطة واحدا (حوالي 1,80 ف) ،عن كل أسرة أو خيمة أو دوار، عند صدور قرار التعيين أو الإبقاء للشيخ أو القائد ، وذلك كتعبير عن سرورهم وإبتهاجهم لذلك ، مع تخصيص مقدار معيّن لحامل الخبر أو المرسل ، وهذا المبلغ يعرف بحق البشارة[2]. وعادة ما يتسارع أفراد القبيلة بتقديم ما يطلب منهم لأنّ التقاعس عن دفع حق البرنوس يجرّ عليهم غضب القائد ويعرّضهم لأعمال المحلة الانتقامية.

وفي بعض الجهات ،كان حق البرنوس، يعرف بالمشيخ ويتراوح مقداره حسب أهمية الوظيفة ومكانة الموظّف ، فهو ريال بوجو بسيطة بالنسبة للشيخ وإثنين ريال بوجو بالنسبة للقائد ، بالإضافة الى حصان يشارك في تقديمه للشيخ أو القائد كل أفراد القبيلة بهذه المناسبة، لأنّ العادة جرت على

(1) A.M.G. H 228. 1840-1843, Rapport sans nom d'auteur intitulé : Contributions diverses des populations de la province de Constantine.

(2) 1 Mi - 65 à 1 Mi 70 = Microfilms disponibles aux Archives d'outre-mer à Aix - En - provence : Zérie Z = registres contenant des renseignements sur les impôts, leur répartition, leur perception selon les richesses des tribus et l'importance de leur population.

أنّ القائد أو الشيخ ، عند تسلمه لبرنوس التولية ، يقدم مع حق البرنوس الإعتيادي ، حصانا للباي ، و بالتالي ، فإنه كان مضطرا الى تعويض ما أنفقه من جراء ذلك أو إسترجاع قيمته من أفراد قبيلته أو من مجموع القبائل التي يتولى الإشراف عليها[1] .

هذا ، و نظرا لقصر مدة التولية التي لا تتعدى غالبا سنتين و لتعدّد قرارات العزل و إسناد المناصب ، فإنّ حقوق التولية من البرنوس و البشارة و المشيخ و غيرها ، أصبحت تشكل مطالب مالية ثقيلة لأهالي الأرياف ، لا سيما بالنسبة لبعض القبائل الكبرى مثل الحراكتة و الحنانشة والذواودة ، فقد قدر حق البرنوس بالنسبة لهذه القبائل الصحراوية الأخيرة " الذواودة " التي كانت ملزمة بدفعه لشيخ العرب بما لا يقل عن 110,600 ريال بوجو حسب تقرير روسو[2] ، في الوقت الذي كانت تتزوّد فيه الخزينة بمبالغ مهمة من النقود ، و تساهم بجزء كبير من الدنوش التي كانت تقدم الى الجزائر و التي قدرت بما يزيد عن 60.000 قرشا في بعض الأحيان ، أي ما يعادل 264.000 فرنكا[3] .

و يضاف الى هذا الصنف من الضرائب ، ما كان يتقضاه قائد جبرى " قائد العشور " لفائدته الشخصية مقابل ما يقوم به من عمل و نشاط من أجل جمع ضريبة العشور (حق الخدمة) فقد كان يستخلص لنفسه من كل

---

(1) A . O . M. F 80 . 522 , Résumé des recherches sur l' impôt dans la province de Constantine .
(2) A . M . G. H 226 : Rapport financier de ROUSSEAU soumis à Mr BLONDEL.
(3) SHALER (W.), L'Algérie pittoresque : Tableau des recettes pour 1822. Imp. CLAUSOLLES . Toulouse . 1843 . PP . 77 - 78 .

* القرش هو La piastre و يساوي ما يقرب من 5 ف و 40 سنتيم .

سنة ريالا واحدا على جابدة ، وهذا المبلغ لا يدخل في ضريبة العشور وإنّما يساهم به مباشرة أفراد القبائل الملزمين بدفع العشور[1] .

— العوائد و الهدايا و الترضيات :

هي ضرائب متنوعة تقدم عادة بمناسبة حدث هام قد يطرأ بعائلة الباى أو يمسّ حاشيته و محاوريه مثل الولادة و الزواج و الترقية ، ثم توسع في هذه العوائد فيما بعد ، فأصبحت المطالب المالية الإعتيادية تقدم كذلك في المواسم الدينية و في بعض الفصول الفلاحية مثل حق الكسبهو أو هدية الحيد التي تسدّد يوم عيد الاضحى و تساهم به كل أسرة أو خيمة ، وقد يدفع نقدا عند الحاجة ، بقيمة إثنين بوجو (أى 60ر3 ف)[2] ، و البشارة أو حق الفرح ، وهي ضريبة نقدية تساهم بها القبائل أثناء المناسبات المهمة مثل تنصيب الباى أو إقراره في منصبه أو عند تحقيقه إنتصارا أو عملا عسكريا مهما ، و هو بالنسبة للباى ، بمثابة حق البرنوس بالنسبة للقياد والشيوخ ، و هو يشكل مصدرا مهما لخزينة البايليك بحد أن تحايل البايات على إستخلاصه[3] كل سنة تحت مختلف التبريرات و الحجج ، فأصبح يقدر بما لا يقل عن 20.000 ف .

و يضاف الى هذه العوائد : ضيفة العادة و ضيفة الدنوش ، فالأولى كانت مساهمة من أهالي الأرياف للباى ، إعترافا بسلطته و خضوعا لأوامره[4] ، و الثانية ضريبة فصلية ، الهدف منها ، المساهمة في الدنوش الفصلية والسنوية

---

(1) A.M.G. H 226 ; Rapport ROUSSEAU sur le système financier .
(2) T.E.F. (1830 - 1837) Des Impôts et Revenus de la Régence.
(3) A.M.G. H 2 2 6 . Rapport op. cit.
(4) A.O.M. F 80 . 522 . Rapport op. cit.

التي ترسل الى الجزائر من قسنطينة و التي كثيرا ما عجزت خزينة البايلك على توفيرهما ، و لهذا توجب الإلتجاء الى أهالي الأرياف للمساهمة بها تحت إسم ضيفة الدنوش التي قدرت عشية الإحتلال بـ 800.000 فرنك ، كان يقدمها الحاج أحمد باى لداى الجزائر[1] ، إضافة الى هدايا متنوعة ملحقة بها أو مكملة لها ، تشتمل على : 1.500 بقرة ، 6.000 خروف ، 71 حصان ، برانس تونسية و حياك و أغطية صوفية ، بالإضافة الى كماليات متعددة متمثلة في ساعات ذهبية ، عطور مختلفة ، جلود ، 700 سلّة من التمر ، 150 سلّة من الزيتون ، أقمشة متنوعة ، 20 حمولة من الزبدة و 20 حمولة من الكسكس و مواد غذائية أخرى[2] .

و يضاف الى هذه الهدايا و الترضيات حق الشبير الذى تساهم به قبائل المخزن (الدواوير و الزمول) في شكل ضريبة على رؤوس المواشي مقابل قطعان الحيوانات التي كانت تملكها ، فتدفع على كل رأس من الجمال أو الأبقار و حتى من الماعز و الغنم ، رسم إعتيادى بسيط ، لا يتجاوز 10 سنتيم على كل رأس[3] .

---

(1) Notice sur le mode de Gouvernement établi dans le Royaume d'Alger (Sans nom d'auteur ; S . D .) .

(2) A.M.G. H 228 , Rapport op. cit.

(3) TROUSSEL (L . M .), Les Impôts Arabes en Algérie, leur suppression , leur remplacement. Alger 1912 . Thèse de Droit – Alger Bastide Jourdan . 1922 . P . 25 .

- رسوم الأسواق وحقوق المبادلات بالأرياف :

يشرف على إستخلاصها القياد الذين يتولون هذا النشاط مقابل تقديم مبالغ مالية ويحق لهم الإحتفاظ بجزء مما يستخلصونه من الرسوم التي كانت تفرض على كل المواد والسلع والبضائع التي يحملها أفراد القبائل الى الأسواق الموسمية أو الأسبوعية المنتشرة بالريف القسنطيني، أو التي يتوجهون بها الى أسواق المدن ولا سيما قسنطينة حيث تخضع لقائد السوق، أو خوجة الرحبة [1]، وأغلب رسوم الأسواق بالأرياف، تدفع نقدا، لكن لظروف المبادلات في الوسط الزراعي وكانت تؤخذ في بعض الأحيان عيناء في شكل مقدار من الحبوب وبعض الحيوانات ليؤخذ مقابل رسوم الأسواق، وفي بعض الأحيان، تؤخذ الجلود عوضا عن تلك الحيوانات، ولهذا أصبحت الأسواق توفر للبايليك جزءا مهما من المحاصيل الزراعية والانتاج الحيواني مع كميات كبيرة من السلع الأخرى مثل الملح والخشب وغيره.

هكذا وقد أضطرت القبائل الصحراوية التي كانت تتردد على جهات التل، طلبا للمراعي وسعيا لتبادل انتاجها من التمور والحبوب، لدفع ضريبة خاصة عرفت بحق الحسة التي حرص شيوخ القبائل على استخلاصها منها، وعادة ما يكافئهم البايليك بتخصيص مدخول خاص بهم عرف بحق الجزرة [2]، يحق لهم الإحتفاظ به لأنفسهم مقابل تمكنهم من استخلاص رسوم الإنتقال الى التل على القبائل الصحراوية.

---

(1) DUPUY (A . H .) , Les Impôts indigènes en Algérie, Alger, Imprimerie GOJOSSO. 1910. PP. 16 et S.

(2) A.G.G. Etude sur les impôts Arabes en Algérie ..... P. 11.

— حكور الأراضي الزراعية :

يشكل مصادر دخل مهمة ، وهي عبارة عن رسوم مالية تسدد مقابل كراء الأراضي التابعة للبايليك[1] و إستغلالها من طرف بعض القبائل، بحيث تشكل نوعا من الكراء الطويل الأجل و المتعارف عليه ، وقد أحدث هذا النوع من المداخيل صالح باي وبقي مطبقا بالخصوص في الأراضي التي استحوذ عليها البايليك عن طريق المصادرة من القبائل المتمردة [2] أو التي لم تسدد ما كان مفروضا عليها من الضرائب ، وقد أصبحت تؤلف مساحات معتبرة في الهضاب العليا، و حول قسنطينة ، وهي تعرف عادة " بالعزل " ، و من أهم عمليات المصادرة و حيازة الأراضي التي ساهمت في توسيع الأراضي الخاضعة للحكور ، ما قام به محمد تشاكر باي الذي وضع يده على الأراضي الواسعة لعائلة ابن السايح [3] ، و الأملاك الريفية للقائد عمر بن حملاوي و محمد بن مكي بن ساسي الباشكاتب ، و الشيخ أحمد الحلمي القاضي الحنفي ، و غيرهم[4]، وكذلك ما قام به الحاج أحمد باي الذي استحوذ بدوره على قسم من أراضي

---

(1) A . N . P . F 80 . 1672 : " De l' Achour et de l'Hockor " , Rapport rédigé par E. Deuilley.

(2) تاريخيا، ظهرت المصادرات Confiscations لأول مرة في العالم الاسلامي أيام الخلفاء الأمويين والعباسيين الذين قاموا بمصادرة بعض الأراضي الخصبة لصالحهم الخاص وبسبب تعويض عجز خزينة الدولة . لمزيد من الايضاح حول المصادرات راجع :

TYAN (E.) Institutions du Droit Public Musulman. Tome 1. Le Califat. Recueil Sirey. Paris V . 1954 . PP . 418 à 422 .

(3) VAYSSETTES , Histoire des derniers Beys .... PP . 113 - 114 .

(4) G A I D , Chronique des Beys .... P . 72 .

قبيلة أولاد عبد النور بالهضاب العليا، وحاول تعميم ضريبة الحكور على كل الأراضي التي تعيش عليها قبائل الرعية " أراضي العرش "، وقد تعرف تحت تسمية " الأراضي الجوابرية " لأنها أخضعت لتصرف قائد الجبري قبل أن تصبح تحت نظر قائد العشور سنة 1830، وتحت إشراف قائد الدار.

هذا وقد فرض الحكور "كراء أراضي البايليك " على كل متسلم للأراضي لخدمتها، وفي الكثير من الأحيان أبقى البايليك عليها مالكيها الأصليين وطلب منهم تسديد الحكور على اعتبار أنهم لا يملكون الأرض، وإنما يتصرفون في حق الإستغلال Usufruit، مقابل ضريبة الحكور التي كانت تحدد عادة بمبلغ مالي يقدر بـ 10 ريال بسيطة، أي ما يعادل ما بين 25 الى 30 ف على الجابدة الواحدة، مع تخفيض لهذا المقدار بالنسبة لبعض القبائل المتعاونة مع البايليك، بحيث لا تدفع سوى ثلثي الضريبة كما هو الحال بالنسبة لزمالة القائد ومزارقية الآغا، إن لم تسقط نهائيا على بعض قبائل المخزن مثل الزمول التي أعفيت من مثل هذه الضريبة على الأراضي التي أعطيت إستغلالها مقابل الخدمات العسكرية المكلفة بها.

ونظرا لارتباط ضريبة الحكور بقيمة الريال المستعمل آنذاك، فإنها كثيرا ما عرفت تذبذبا، بحيث انخفضت في بعض الأحيان الى 14 ريال على الجابدة (حوالي 26 ف)، كما كان الوضع عليه عشية إحتلال الفرنسيين على قسنطينة سنة 1837[1]، وهذا ما دفع وارنيي (WARNIER) في تقريره الى القول بأن " مبالغ رسوم الحكور قد عرف تغيرا بتغيير قيمة النقود، فانخفضت قيمتها أو ارتفعت في العديد من المناسبات " [2].

---

(1) COSTE (H.), Les impôts Achour et Hockor dans le département de Constantine, Alger. A. Jourdan. 1911. PP. 22 et S.

(2) WARNIER, Rapport sur l' impôt dans le Beylik de Constantine..

هذا وعلى كلّ ، فإنّ الحكور كان يوفر لخزينة البايليك مدخولا ماليا معتبرا ، فحسب وارنيي ، كان الحكور يعادل بالجملة ثلاث مرات سعر صاع القمح ، أي ما يقدر بـ 20,85 الى 26,04 ف للجابدة ، وبالرجوع الى تقرير روسو (ROUSSEAU) فلا يقل هذا المبلغ الموظف على الحكور عن 23,85 ف ، وهذا ما يجعل المبلغ الاجمالي للحكور المستخلص من القبائل التي أوكل لها استغلال أراضي البايليك حوالي 171.247 ريال بوجو [1] سنويا ، أي ما يعادل 308.245 ف [2] موظفة على 12.726 جابدة ، بمتوسط حكور قدر بـ 24,22 ف. للجابدة الواحدة ، مع العلم بأنّ 35.700 ريال بوجو من القيمة الاجمالية للحكور ، كانت تساهم بها القبائل المقيمة على أراضي العزل ، و 135.547 ريال بوجو كانت تدفعها 151 قبيلة أو دشرة ، أقرت على أراضيها التي انتزعت منها وفرض عليها الحكور حسب ما نستخلصه من الاحصائيات المتوفرة في السنوات الأخيرة لحكم أحمد باي (3) .

---

(1) على أساس قيمة ريال البوجو آنذاك ، وهي 180 ف لكل ريال بوجو.
(2) هناك مصادر أخرى ترفع هذه القيمة الى 360.000 ف حسبما ذهب اليه COSTE ، ص 27 .

(3)_A . M . G . H . 226 . Rapport ROUSSEAU .
_A . M . G . H . 228 . Rapport op . cit .

الظروف السياسية وأقتضتها الحالة الاقتصادية والوضعية الاجتماعية بالأرياف القسنطينية ، وهذا ما يتضح في النقاط التالية :

1 — الحالة الاقتصادية لبلاد الجزائر أواخر العهد العثماني :

تميّزت بندرة غنائم البحر وشح مصادر الجهاد البحري وتناقص ثروات سكان المدن ، في وقت تزايدت فيه مطالب الموظفين وأفراد الجيش والمتعاملين مع البايليك ، لاسيما في الثلاثين سنة التي سبقت الإحتلال وهذا ما جعل مصادر الدخل من الضرائب بالأرياف تشكل المورد الأساسي لخزينة بايليك قسنطينة ، ولهذا السبب ، أصبح الريف يشكل المصدر الأساسي لخزينة البايليك [1] ، وعلى كاهل سكانه يقع العبء الأكبر في تغطية نفقات الجهاز الاداري والمؤسسة العسكرية للبايليك ، ولعل إسهامات ما كانت تساهم به بعض القبائل الخاضعة للباي بقسنطينة ، أو المتعاملة معه [2] والتي كانت تقيم بمناطق متوسطة الخصوبة ، بين منطقتي التل والسباخ ، وتتوزع حول مدينة قسنطينة ، يؤكد لنا أن أهالي الأرياف ،

---

(1) ADDI (L.). De l'Algérie pré-coloniale à l'Algérie coloniale.

ولاسيما الخاضعين منهم ، قد وقع إستغلالهم إستغلالا كاملا مما تسبب في شقائهم و حرمانهم ، و دفع بعضهم الى إعلان التمرّد و العصيان على سلطة البايات ، ومن هذه القبائل التي نأخذها على سبيل المثال نذكر كل من :

قبائل أولاد دكباب التي كانت ملزمة بدفع ما قيمته				4320.00 ف
"	أولاد عمريان	"	"	2880.60 ف
"	التلاغمة	"	"	14399.40ف
"	السغنية	"	"	28860.00ف
"	السلاوة	"	"	7200.60 ف(1)

2 — تبذير الحكّام لعوائد الضريبة و سوء تصرفهم في الشؤون المالية :

نقد عرف بايليك الشرق عجزا ماليا في بعض الفترات نتيجة سوء تصرّف بعض البايات الذين اشتهروا بتبذير كميات كبيرة من الأموال تلبية لرغباتهم الشخصية وإرضاءً للمقربين من حاشيتهم و المتحالفين معهم ، وقد دفعهم هذا الوضع الى محاولة سد عجز خزينة البايليك و تغطية المستلزمات المالية و العينية التي كانوا يرسلونها الى الجزائر (الدنوش الكبرى و الصغرى) ، الى فرض المغارم و رفع ما يتوجب على السكان من الضرائب ، وقد اشتهر بهذه الإجراءات كل من أحمد شاوش القبائلي ومحمد باي الميلي ومحمد باي منامانى الذى أدى بها العجز المالي الى التقاعس عن تسديد مصاريف الحامية التركية و دفع مرتبات موظفي

---

(1) NOUSCHI ; Enquête... P.114.

الديوان سنة 1824 [1]، ولعل شح هذه المصادر، يعود أيضا الى حدوث إختلاس وتهريب الثروات من بعض البايات مثل تشاكسر بساي (— 1818) الذي عرف عنه السكان أنه أخفى إثنتي عشر قلة وكيس كبير مملوءة بالذهب والفضة والاشياء الثمينة بالقرب من قسنطينة عند وادي الرمال لتكون بعيدة عن أنظار الموظفين ورجال الحاشية [2]، وكذلك الباي ابراهيم خوجة التونسي (1819 — 1820) الذي فرض غرامة ثقيلة على السكان وكان جزء كبير منها يعود اليه شخصيا مما سمح له بأن يكدس أموالا طائلة على حساب خزينة البايليك [3].

3 — مطالب الحكم المركزي بالجزائر وحاجة الموظفين وأفراد الحاشية لمداخيل نقدية وعينية كافية :

كانت هي الأخرى من العوامل التي دفعت البايات الى رفع قيمة الضرائب والبحث عن أساليب جديدة تمكنهم من زيادة الداخل العام لخزينة البايليك. وقد اشتهر بذلك كل من الداي الحاج علي والداي عمر باشا (1815 — 1817) الذين تميز عهدهما بأزمة اقتصادية حادة من جراء الآفات الطبيعية " وقلة الغنائم التي لم يعد يصل منها الى ميناء الجزائر إلا القليل مع بداية القرن التاسع عشر "[4].

(1) T E M I M I (A.) , op. cit . P . 49 .
(2) G A I D , Chronique ... P . 75 .
(3) I d e m . P . 75 .
(4) BELHAMISSI (M.) , Histoire de la marine Algérienne.(1516-1830). Entreprise nationale du livre. N° d'Edition 1374 / 83 . Alger , 1983 . P . 108 .

(1) ذكرت في بعض المصادر أن دنوش بايليك الشرق بلغت في عهد أحمد بساي حوالي 100.000 ريال بوجو إن لم تبلغ حسب روسو 155.155 بوجو، وهذا مبلغ يؤكده لنا كل من :
— SHALER , Tableau de recettes ... PP. 77 et S.
— VENTURE DE PARADIS ... op. cit. PP. 95-96 .
— T.S.E.F. 1830-1837. P. 372 et S.
(2) — Notice sur le mode de Gouvernement établi dans le royaume d'Alger... sans date. — NOUSCHI , Enquête... P. 110.

في غالب الأحيان [1] ، وقد عبّر السكان عن رفضهم لتلك السياسة الجبائية بسلسلة من التمردات كما سبقت الإشارة الى ذلك ، كما كان لتلك الأوضاع تأثير في تحوّل نظرة الحكّام الى الأرياف التي اعتبروها مجرد مصادر دخل ، فأصبحت العلاقة في أساسها علاقة دافع للضرائب " الرعية " ومحصل للجبايات " البايليك " مما ترك آثارا سلبية على طبيعة حكم البايات بالأرياف القسنطينية ، ولاسيما في السنوات الأولى للقرن التاسع عشر الذى تميّز بسياسة ضرائبية ثقيلة لبعض البايات ، أضرت بسكان الأرياف القسنطينية خاصة الذين لم يجدوا العون من البايليك في فترات المجاعة و انقطاع الأقوات ، عكس سكان المدن الذين كانوا يحظون في بعض الأحيان بتدخل السلطات لصالحهم ، عن طريق جلب الأقوات و خفض سعرها وتوزيع الفائض منها على المحتاجين .

ونتيجة لتلك الأوضاع ، كان سكان الأرياف دوما مرغمين على دفع مقدار معيّن من الضرائب بغض النظر على أوضاعهم التي كثيرا ما ساءت بسبب النزاع العشائرى و التمردات و هجمات المحلات وتكرر الأوبئة وسنوات الجفاف ، و إذا أخذنا على سبيل المثال ، إحدى قبائل الحويسة ببايليك الشرق ، بمنطقة الهضاب العليا ، نجدها تساهم سنويا بما لا يقل عن 127 فرنكا موزّعة على مختلف الضرائب على الشكل التالي :

(1) " La conjoncture agraire dans l'Algérois de 1791 à 1830 ": Indice de la vie rurale de l'Algérie ottomane, communication présentée par Mr Nacer-Eddine SAIDOUNI, institut d'histoire-Université d'Alger au colloque : International committee of pré-ottoman and ottoman Studies Seven Symposium . 7 . 11 . Septembre 1986 .

ضيفة المعادة		2 ف
حق البرنوس		2 ف
المجموع	:	127ف

و إذا أخذنا على سبيل التحديد المجموعة القبلية الخاضعة للبايليك ، والمعروفة بأولاد عبد النور فإننا نجد أن هذه القبائل كانت ملزمة سنويا تحت تهديد تجريد الحملات الفصلية عليها " المحلة " ، على دفع 600 صاع قمح و شعير و600 حمولة تبن و 8.000 ريال بوجو[1] ، وهو مساهمة معتبرة ، كثيرا ما عجزت هذه القبائل عن أدائها ، فتسبّب ذلك في تعرّضها لحملات البايات المتكررة عليها[2] .

(1) متوسط سعر الصاع من القمح 7,50 ف والشعير 8ر50 ف وحمولة التبن 1ر50 ف لمزيد من الايضاح راجع : NOUSCHI , Enquête ... P. 1 1 4 .

(2) F E R A U D (L. Ch.) ," Revenus de la province " in R.A. N° 3. Années 1858 - 1859 , O . P . U . 1985 , PP . 115 - 116 .

د – الإصلاحات و التعديلات التي خضعت لها الضرائب بالريف القسنطيني :

ظلت الضرائب بأرياف قسنطينة تخضع للتنظيمات التي عرفتها الدولة الحفصية و التي هي ، في أساسها ، تعود الى الدولة الموحدية ، قبل أن تتطور وضعية الضرائب الى الشكل الذي أصبحت عليه بعد تغلغل نفوذ البايليك بالأرياف و تحوله الى الإعتماد على مصادر الدخل المحلية ، وبعد أن اضطر الباى أحمد بن علي الملقب بالقلي (1756 – 1771) الى إدخال تنظيمات في مجال الضرائب و النظام الاداري لبايليك قسنطينة لتكون أساسا للإصلاحات التي أدخلها فيما بعد على ادارة المالية و الضرائب كل من صالح باى و أحمد باى [1] .

هذا ، وقد تطورت الإصلاحات و التنظيمات في عالم الريف على يد صالح باى ، حتى أصبحت تؤلف نظاما محكما موجها لمراقبة الفلاحين و استخلاص ما يتوجب عليهم من ضرائب ، يقوم أساسا على خلق وظائف و مناصب ادارية في إطار تطبيق النظام الضرائبي ابتداء من الشيوخ و القياد ، و إنتهاء بقائد العشور " قائد جبرى " و مرورا بقائد الدار و المرابطين و شيوخ الزوايا و زعماء القبائل و آغا المخازنية " قائد المحلة " [2] .

---

(1) GAID(M.), Chronique des Beys ... PP. 37 - 38.

(2) ROBE(E.), op. cit. P.9.

وعلى كلّ فإنّ إصلاحات صالح باي تعتبر حقا أكثر الإجراءات ملائمة وفاعلية في مجال السياسة الضريبية ، وهي تعتمد على تقسيم بايليك الشرق الى قسمين أحدهما شرقي والآخر غربي ، كما سبقت الإشارة الى ذلك ، وعلى رأس كل واحد منهما قائد جبري ، تحت تصرّفه مجموعة من الموظفين وبعض الأعوان المسلحين " المخازنية " الذين يصاحبونه أثناء تجوّله إثر عملية الحرث وفي بداية موسم الحصاد في الأرياف ، بمعيّة شيخ العشيرة وقائد القبيلة بقصد تقييم أهمية المحصول وما يمكن أن يؤخذ منه في شكل ضريبة جبري " العشور والحكور " إعتمادا على عدد الجابدات ونوعية الأرض ومما يلاحظ أنّ أثناء هذه العملية ، يكلّف القائد برفقة أحد الكتاب وبمعية شيوخ الدواوير والفرق والأعراش بوضع قائمة أولية " جريدة " لكل قبيلة تشتمل على عدد الجابدات وأسماء الفلاحين المتوجبة عليهم الضرائب ، وتصبح معتمدة بعد أن تحمل توقيع الباي أو أحد أعوانه ، وعادة ما تستهل هذه القائمة بمثل هذه العبارة : " الى القبيلة الفلانية ، بعد السلام ، بناء على أمرنا هذا ، تدفعون على كل جابدة صاع قمح وصاع شعير وعشر ريالات كحكور ، وسوف يتعرض كل معاند أو معارض لهذه الأوامر الى عقاب شديد ! ... " (2) .

بعد هذه الاجراءات ، وإثر جمع ما يستخلص في شكل ضريبة العشور والحكور ، يتوجه المحصول من الحبوب الى مخازن البايليك المنتشرة بالمراكز العسكرية أو القريبة من قسنطينة ، وقد يوضع جزء منه في مطامير

---

(1) نموذج مترجم لافتتاحية إحدى الجرائد ، أخذ من :

URBAIN et WARNIER, Organisation et situation de la province de Constantine ... P. 3 4 1 .

القبائل لفائدة البايليك ، بعد أن يقوم أحد الموظفين " الكيّال " بالإشراف على ذلك مقابل الحصول على نسبة بسيطة قد يتقاضاها من الفلاحين مباشرة ، وقد يأخذها من المحصول وهي عادة لا تتعدى نسبة $\frac{1}{16}$ من المحصول بمجمله (1) .

أما الحكور ، باعتبارها ضريبة نقدية في أساسها ، فإن نسبة يقدمها القائد بمحضر الموظفين الى قائد المقصورة الذى يضعها في الخزينة بأمر من الباي ، أما فيما يخص الحيوانات التي يتحصل عليها البايليك ، باعتبارها زكاة ، فإنها توجه للإعتناء بها لإسطبلات البايليك ، بالقرب من قسنطينة أو توزع على بعض القبائل المكلفة بذلك لتقديمها لموظفي البايليك عند الحاجة .

أما الإصلاحات التي أدخلها الحاج أحمد باي ، باى قسنطينة (1826 — 1837) ، وهي في الواقع تعديل لتنظيمات صالح باي ، فرضتها ظروف وأوضاع بايليك الشرق ، بعد تعرض الجزائر للإحتلال الفرنسي سنة 1830 ، وهذه الاصلاحات تقوم على اعتبار ضريبة العشور هي أساس النظام الجبائي ، باعتبارها ضريبة موحدة على الدخل وليست مغرم ومساهمة عقارية فريدة تطبق على الملكيات الخاصة وأنها تؤخذ كذلك على ملكيات الدولة " أراضي البايليك " التي كانت تقدر مساحتها بثلث $\frac{1}{3}$ الأراضي الزراعية ، وأغلبها من أجود الأراضي التي تنتشر حول عاصمة البايليك ، قسنطينة ، وهذا ما جعل ضريبة العشور تعتبر المصدر الأساسي للدخل للبايليك ، بمفردها ، إزاء الضرائب الأخرى الإعتيادية أو الطارئة ، التي لم

---

(1) COSTE (H.) , Les Impôts Achour et Hockor ... PP . 23 et S .

العشـور منـذ سنـة 1830 ، تعرف بالأراضي الخوانـريـة ، بدل (التجوابزية) حسب تسميتهـا القديمـة ، كما كانت تعرف منـذ عهد صالح باى ، و أصبـح قائـدى جـبرى لمنطقـة الشرق و الغرب الذين أخذ تهمـا صـالـح بـسـاى ، يعرفـان بدورهمـا بقائـدى العشـور فقط ، كما حذفت ضـريـبـة جـبرى ، تدريجيـا في أراضي أغلب القبائـل و الأعـراش ، و عـوّضـت بضريـبـة العشور ، بينما الأراضـي التي كان يتولى القياد الإشراف عليها و استخـلاص ضرائبـهـا عن طريـق ضريبـة الحكـور ، بأعتـبارها أراضي "عزل "(1) ، أصبحت هـي الأخرى تساهـم بضريـبـة العشـور و تخضع مباشرة لتصرّف قائد الدار بقسنطينة المتعامل مع قائد العشور فيما يخصّ مداخيلهـا ، و الإشـراف علـيـهـا .

أما الأهداف التي حاول أحمد باى الوصول اليها عن طريق التنظيمـات الخاصـة بالضرائـب ، و التي تطـورت في ضريـبة العشـور فهي :

— محاولـة تطويـر طـرق استخـلاص الضـرائـب بعدم الإلتجـاء الـى استعمـال العنف و تجريـد الحملات ، و ذلك بربـط ضريـبـة العشـــور بالواعـز الإسـلامـي و الواجـب الديـني بأعتـبارهـا ضريـبـة موجّـهـة أساسـا الى بيـت مـال المسلمـين (2) .

---

(1) سـنـتـعـرض الى هذا النـوع من الأراضـي في الفـصـل الرابـع :

(2) DAUMAS (Le Colonel) , " Exposé de l'Etat actuel de la Société Arabe, du Gouvernement et de la législation qui la régit " . Imprimerie du Gouvernement. Novembre 1844 : Sur l'assiette de l'impôt en Algérie et sur la recherche des immeubles et biens de toute nature provenant de l'ancien Beylik .

— جعل الضريبة في أغلب جهاتها ثابتة وقارة ، فهي ليست جزافية، ولا إصطلاحية من حيث تحديدها وتحديد كميتها، فهي تخضع أساسا لمساحة متعارف عليها هي الجابدة التي أصبح يستخلص عليها في الغالب صاع من القمح وصاع من الشعير وحمولة (حزمة أو شبكة) التبن[1]، مع العلم بأنّ أختلاف طبيعة الأرض من حيث التضاريس والخصوبة ، جعل مساحة الجابدة ، تختلف من جهة الى أخرى ، وإن كان متوسطها يقدر بحوالي 10 هكتارات .

— أخذت الظروف الطبيعية والأحوال الإقتصادية بعين الإعتبار، فالعشور أصبح يتأثر الى حدّ كبير بحالة الإنتاج ، فقد يقل بفعل الكوارث الطبيعية والآفات الزراعية ، لكنّه يرتفع في سنوات الخصب ووفرة الإنتاج ، ممّا لا يضرّ بالفلاحين ولا يمسّ بمصالح البايليك ، وهذا ما ينفي ما ذهب اليه بعض التقارير الى القول بأنّ النظام الضريبي لبايليك الشرق ، لا يأخذ بعين الإعتبار نوعية الإنتاج وطبيعة الأرض وحالة الفلاحين[2] ، فقد أعطت معطيات حلا ملائما لذلك ، بتنظيمها لضريبة العشور ، ولا يمكن القول بأنّ ضريبة العشور غير موحّدة ، لأنّ مساحة الجابدة قد تختلف من جهة الى أخرى ، لأنّ في ذلك تجاهل للواقع المعاش الذي جعل تقدير الجابدة مرتبط بمدى إنتاج الأرض والقدرة على خدمتها ، مما سمح بالأخذ بعين الإعتبار وضعية بعض الجهات التي عرفت بإنتاجها الضعيف ، لسوء خدمة الأرض وقلّة خصوبتها ،

---

(1) صاع القمح بالشرق الجزائري يقدر بحوالي 106 كلغ وصاع الشعير بـ 80 كلغ وحمولة التبن (الحزمة) بـ 50 كلغ في المتوسط .

(2) A . G . G . Etude sur les Impôts Arabes en Algérie .... P . 16 .

و الوضعية السياسية التي عرفت في بعض الأحيان و سوء تصرّف الحكّام و تبذيرهم لأموال الخزينة و إستحواذهم على جزء منها و تزايد طلبات الجهاز المركزي للحكم بالجزائر،كل ذلك أدى الى الإعتماد مباشرة على موارد الريف القسنطيني رغم الكوارث و الآفات الطبيعية التي تسببت في شح مصادر الدخل[1] ، الأمر الذي اضطرّ بعض الحكّام ببايليك الشرق الى إدخال إصلاحات وتعديلات على طبيعة الجهاز الضرائبي بالأرياف ،كما فعل كل من صالح باي و أحمد باي ،بخصوص تنظيم هذا القطاع الحيوى ،المتمثل في النظام الضريبي الذي يقوم عليه الجهاز الإدارى لبايليك الشرق ،وبذلك يمكن أن نؤكد في ختام هذا الفصل ،بأنّ التنظيمات التي ميّزت الجهاز الضرائبي بالشرق الجزائرى ،رغم ما يلاحظ عليها ،كما سبقت الإشارة ، إلاّ أنّها كانت في مجملها ملائمة للشروط الطبيعية و نوعية النشاط الفلاحي و وضعية المجتمع الريفي ،و هذا ما يتضّح لنا في الفصل التالي من خلال معالجة انعكاسات هذه التنظيمات على الحياة الاقتصادية .

---

(1) MANTRAN (R.) et SAUVAGET (J.) , Réglements fiscaux ottomans : Les Provinces Syriennes. Librairie d'Amérique et d'Orient. Adrien. Maisonneuve . Paris . 1 9 5 1 . P . IX .

الفصل الرابع

النظام الضريبي ونوعية الملكية وطبيعة

الإنتاج بالأرياف :

كان للتنظيمات الضرائبية تأثير مباشر على نوعية الملكية وطبيعة الإنتاج ، وذلك لتحكمها في طريقة حيازة الأرض وإستغلالها وتأثيرها على أساليب وطرق الإنتاج، وهذا ما يظهر لنا في هذا الفصل من خلال معالجة النقاط التالية :

أ — نوعية ملكية أو حيازة الأرض الزراعية.
ب — طرق الإنتاج وأساليب إستغلال الأرض.
ج — إرتباط الإنتاج الزراعي بالتنظيمات الضرائبية.

أ ـ خصوصية ملكية الأرض الزراعية :

اكتسبت أهمية كبرى لما لها من تأثير على النشاط الإقتصادى وارتباط مباشر بالجهاز الضريبي وذلك نظرا لكون الأغلبية الساحقة من سكان بايليك قسنطينة ،كانت تقطن بالأرياف وتعيش على إستغلال الأرض، فقد أجمعت أغلب المصادر على أن نسبة 95 % من سكان الأرياف القسنطينية كانوا يمارسون نشاطا فلاحيا ـ رعويا مما جعل نوعية إستلاك الأرض وطريقة إستغلالها أساس الحياة الاقتصادية[1]، على أن إختلاف أشكال الملكية وتنوع طرق خدمة الأرض وتباين المطالب المخزنية المترتبة عليهما، جعل التقارير الفرنسية التي تعرضت لها، وهي المصدر الأساسي في هذا الموضوع تتصف بالغموض والتناقض، ففي رسالة بعث بها الماريشال بيجو BUGEAUD الى الضابط بيدو BUDEAU بتاريخ 9 أفريل 1946 ورد أن : " قبائل وأعراش بايليك قسنطينة لها الحق في خدمة الأرض وإستغلالها دون إمتلاكها والتصرف فيها ... "(2).

وقد ذهبت أغلب تلك التقارير، الصادرة عن ضباط عسكريين الى إنكار وجود الملكية الخاصة للأراضي ببايليك قسنطينة، وعدم إعتبار حق ملكية أصحابها رغم ثبوت ذلك بحكم العادة وبالعقود الشرعية وذلك

---

(1) FANNY (Colonna) , Savants paysans , Eléments d' Histoire Sociale sur l'Algérie Rurale. O.P.U. Alger. 1987 . P . 32 .

(2) NOUSCHI (A .) , Enquête ... P . 78 .

حتى يسهل عليهم الإستحواذ عليها و مصادرتها لفائدة المعمرين الفرنسيين ، على أن بعض التقارير المفصلة و التي وضعت بغرض التعرّف على واقع حيازة الأرض بالشرق القسنطيني ، أشارت الى وجود عدة أنواع للملكية و حاولت إدراجها في خمسة أصناف و هي :

1 — أراضي الدولة " البايليك "
2 — أراضي الخواص " الملك "
3 — أراضي المشاع " العرش "
4 — أراضي المؤسسات الدينية " الوقف ".
5 — أراضي المخزن .

و لعلّ أهم تلك التقارير التي سجلت لنا واقع الملكية ببايليك الشرق قبل أن يتعرض للتغييرات التي أدخلها الاستعمار ، تقارير كل من روسو ROUSSEAU و وارنيي WARNIER[1] و لجنة السيناتوس كونسيلت (SENATUS CONSULTE) ل 22 أفريل 1863.

هذا و سوف نحاول التعرّف على واقع الملكية و طرق حيازة الأرض من خلال التعرّض الى هذه الأصناف الرئيسية للملكية السائدة بالشرق القسنطيني ، و هي أراضي البايليك و الملكيات الخاصة و الأراضي المشاع والأراضي الموقوفة .

1 — أراضي البايليك أو ملكيات الدولة المعروفة عادة بالعزل :

وهي تشتمل على مساحات شاسعة ، فهي بالاضافة الى أراضي الموات

---

(1) A.N.P. F 80.522, Rapport WARNIER en date du 15.2.1841 relatif à la situation de la propriété dans le Beylik de C o n s t a n t i n e..

من مراعي وغابات وأراضي قابلة للإستصلاح ، تشتمل أيضا على أخصب الأراضي وأكثرها ملائمة للفلاحة وهي تنتشر حول مدينة قسنطينة في شكل حزام متصل من الأراضي بحيث تغطي مساحة تقدر بـ 351 . 112 هكتارا وقد أستحوذ عليها البايات عن طريق الشراء أو الحيازة في حالة الشغور أو إستيفاء الورثة أو عند ترحيل السكان عنها أو اضطرارهم لمغادرتها عند عجزهم عن الإيفاء بالتزاماتهم لدى البايليك ، ولعلّ أهم هذه الأساليب هو المصادرة أو وضع اليد عملا بالصلاحيات المخولة لهم بأعتبارهم حكاما للإقليم ، وهذا ما سمح لهم بأن يحولوا جزءا من أراضي القبائل الخاضعة الى ملكيات البايليك ، عملا بالتقاليد العثمانية المعتمدة على العرف والمستندة الى الشريعة الاسلامية التي كانت تخوّل للحكّام هذا الحق ، وذلك بأعتبار أنّ الباى ممثل الباشا وأحد عمال الباب العالي تعود اليه شرعية ملكية الأراضي ، بأعتباره حاكما اسلاميا وصاحب بيت المال عملا بالقاعدة الشرعية التي تقتضي بأن ملكية الأرض تعود للخلافة الاسلامية عن طريق ممثلها الباى الذى أصبح بحق الوصي الذى يسيطر على نظام القوى المنتجة وعلى نظام علاقات الانتاج حسب أراء بعض الكتاب الذين حاولوا معالجة هذا الوضع الناتج عن الصلاحيات المخولة للبايات [1] ، وقد أشتهر بهذا الأسلوب في حيازة الأراضي كل من صالح باى وأحمد باى اللذين تمكنا من توسيع أراضي البايليك حول قسنطينة والهضاب العليا خاصة التي تحول أصحابها من جماعات

---

(1) ابن آشنهو (عبد اللطيف) ، تكوين التخلّف في الجزائر ، محاولة لدراسة حدود التنمية الرأسمالية في الجزائر بين 1830 و 1962 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1979 ، ص. 26.

الرعيـة الى مستخـدمـين بها لفائـدة البايليـك بعد أن نزعت منهم ملكيـة أراضيهـم و أقر أغلبهـم على تلك الأراضـي التي كانوا يمتلكونهـا ، وقد قـدر عدد العائـلات التي ظلت تعيـش فوق الأراضي التي صودرت أو حولت الى ملكيـة البايليـك بـ 15.000 أسـرة ، أي ما يناهـز على أقل التقـديـرات إحتمـالا ، 90.000 نسمـة و هي تشتمـل على أعراش كثـيرة تـنـتمـي الى قبائـل عديـدة تـنـتـشـر خاصـة حول مدينـة قسنطينـة منها : السراوات ، الزناتيـة ، أولاد دراج ، دريـد ، أولاد بن خـلـوف ، عامـر الشراقة ، أولاد عزيز ، أولاد معـوش ، السقنيـة ، الزمـول ، أولاد كبـاش ، أولاد عـمـريا ن ، أولاد رحمـون ، بني قشـة ، بـني مـروان ، بـني زيـاد ، أولاد سـلا م[1].

هذا وقد عرفـت ملكيـات البايليـك بأسماء مختلفـة حسب نـوعيـة التصرّف فيها و طريقـة الانـتاج بهاء فهناك أراضي العزل و هي متـنـوعـة حسب أساليـب الانـتاج الذى خضعت لهـا و تـتـفـرع الـى :

1) عـزل الخمـاسـة :

و هي الأراضي التي تعود ملكيتهـا للبايليـك و يقوم بخدمتها فلاحون من الرعيـة مقابـل الحصول على خمس ($\frac{1}{5}$) الانـتاج [2] ، ولهذا عرفوا بالخماسـة ، و هي تشمل أجود و أخصب الأراضي ، يتولى الإشراف عليهـا عـن طريـق الشيـوخ و القياد قائد الدار بصفتـه مقـتصـدا لقصر الباي و مكلـف

---

(1) NOUSCHI , Enquête .... P. 82.

(2) TENGOUR (H.), Les Mots et les Choses : note sur la signification de quelques termes courants : " Le Khammessat " article publié in CIRTA, Revue Historique et Sociologique de l'Institut des Sciences Sociales de l'Université de Constantine. 3e Année. N° 5. Mai 1981. PP. 25 - 26 .

بجمع المحاصيل في مخازن البايليك وبيع الفائض منها عند المتابعة، والناظر على توزيع ما يحتاجه الفلاحون " الخماسون " من أدوات وحيوانات وبذور وغيرها من الأشياء الضرورية لخدمة الأرض، وقد أشتهر بخدمة هذه الأراضي خماسون يعملون مؤقتا في الأرض لمدة قد تتجاوز ثلاث سنوات وهي المدة التي اعتاد الخماسون التعهد بها للبايليك ، وينتسبون الى قبائل الصراويه والزنانيه وأولاد دراج وأولاد غرمة ودريد وأولاد خلوف وأولاد رحمون وبني قشة وبني مروان وبني زياد وأولاد سلام وعامر الشراقة وأولاد عزيز ، أولاد معوش والمطارفة وأولاد كباش وأولاد عمربان وإن قسم من هذه القبائل يعيش على أراضي العرش ويمارس فيها زراعة متوسطة بالرعي .

2) أصول جبرى :

أو الأراضي الجوابرية وهي تشتمل على الجزء الأكبر من أراضي البايليك وقد عمل على توسيع مساحتها كل من صالح باى وأحمد باى، ويستغلها الفلاحون مقابل كراء سنوى يعرف بالجبرى ، يقدر بـ 10 ريالات وصاع من القمح وآخر من الشعير للجابدة الواحدة أى حوالي 20 ريالا وهو ما يعادل تقريبا نسبة 50 % من كمية المحصول (1) ، وبذلك حافظ البايليك على إمتلاكه للأرض ولم يتنازل إلا على إستغلالها للفلاحين مقابل الكراء (جبرى) ودفع ضريبة العشور والزكاة الإعتيادية .

3) أصول العزيب :

أو أملاك البايليك التي أعطت لبعض القبائل بغرض تربية قطعان

---

(1) A . N . P . F 80. 522 : Azels Beylik ; Rapport op . cit .

العواشـي (عزيـب) لفائـدة البايليـك (1) ، والتي قدر عـدد ها أيام أحمد باى بما لا يقل عن 3.000 بقـرة و 3.000 بغـل وعدة آلاف من الماشية، وخـوّل لها إستـغلا لها مقابل التكفـل بهذه المهمـة مع دفع الضـريبـة الشرعيـة (العشـر والزكـاة) ورسم اضافيـة في شكل حكور تـقـدر بـ 10 ريالات ، مع التعهـد بإمـداد الباى وموظفـي البايليك بكميـات كافيـة من الزبـدة واللحوم ، ومن أهم القبائـل التي أقرت على عزل العزيب، أولاد سيدى يحيى بوطالـب (2) .

هذا وقد توسـع بعض البايـات في منح عزل العزيـب لبعض الخواص والموظفـين الذين يلتجـؤون الى تسخـير قبائـل الرعيـة ، الرافية في خدمة الأرض وتربيـة العواشـي وحراستهـا (3) .

4) عـزل متـاع الجـبـل :

وهي الملكيـات التي انـتزعـت من القبائـل الجبليـة إثر تمـردها أو عصيانهـا على البايليـك ولم يستطيـع الإحتفاظ فأوكل إستـغلا لهـا لبعض العائـلات المتنفـذة من مرابطـين ورجال الدين مقابل خدماتهم للبايليـك مثل عائلـة الشيخ الفـقـون التي كانت تسند لها أهم الوظـائف الدينيـة مثل شيخ الاسلام، فقد أعطيـت لهـا أراضـي أولاد جـبـارة التي حـوّلـت الى عـزل متـاع الجبـل لاستـقـلا لهـا باسـم البايـليك (4) .

---

(1) A.N.P. F 80. 1807. Senatus consulte du 22 Avril 1863. Statistiques du 1er Janvier 1867: Azels de la province de Constantine
(2) N O U S C H I , Enquête ... P. 81 .
(3) W A R N I E R , Rapport relatif à la propriété . op . cit .
(4) I d e m .

5) أراضي المخزن :

وهي ملكيات تابعة للبايليك تحت مقابل خدمات معيّنة لعشائر المخزن ، فقد أوكل لفرسان المخزن مقابل إستخلاص الضرائب والمشاركة في الحملات العسكرية والسهر على الأمن وإخماد تحركات جماعات الرعية ، إستغلال أراضي البايليك في الزراعة وتربية المواشي[1] مع إسقاط المطالب المخزنية والإكتفاء في أغلب الأحيان بتقديم العشر والزكاة مع دفع مساهمة محدودة تعرف بحق الشبير[2] ، وغالبا ما تكون هذه الأراضي التابعة للبايليك والتي أوكلت لعشائر المخزن ، في أصلها أراضي قبائل الرعية التي نزعت منها بسبب أو آخر أو أراضي موات أصبحت من أملاك الدولة بعد إحيائها وهذا ما جعل بعض هذه الأراضي يشتمل على مراعي أو غابات وأراضي بور ، بحيث أصبحت عشية الإحتلال الفرنسي تشمل مساحات واسعة يعيش عليها عشائر المخزن ويقيم بعض أجزائها جماعات الرعية المسخرة لخدمة فرسان المخزن في بعض الأحيان .

2 — الملكيات الخاصة وهي أراضي الملك :

هي مرتبطة بقدرة أصحابها ممارسة الزراعة والتعهد بدفع المطالب المخزنية المتوجبة عليها ويتميّز هذا النوع من الملكيات بكونه يخضع للمعاملات والبيع والشراء ولأحكام الوراثة والهبة والشفاعة

---

(1) سعيدوني ، وضعية عشائر المخزن ... ص 65 .
(2) راجع أنواع الضرائب .

وغيرهما وبالتالي ، فإن عوامل تكونها تاريخيا يعود الى إستصلاح الأرض أو حيازتها عن طريق الشراء أو إمتلاكها عن طريق الوراثة ، كما تنص على ذلك الأحكام الشرعية (1) .

هذا وقد حرص أصحابها على الإحتفاظ بعقود أو أوراق مسجلة تثبت ملكيتهم وتؤكد تلك الأعراف والعادات والتقارير المتوارثة التي سمحت بأن تعرف كل ملكية خاصة بأسم العائلة التي تمتلكها ، هذا وغالبا ما يحصل أصحاب هذه الملكيات على عقود ملكية من القضاة أو إقرار من رجال الدين ، سيما العائلات الكبرى منهم التي كانت تحظى برضى البايات ، فإنها تحصل على فرمانات من البايات تقر حقهم في أراضيهم وذلك خوفا من كل مصادرة أو إستحواذ قد يقوم به موظفي البايليك بفعل الوشاية أو تحت الإغراء من طرف المنافسين والأعداء ، وهذا الصنف من الأراضي قسمان ، أحدهما ينتشر قرب فحوص المدن ، لاسيما الجهات القريبة من قسنطينة والواقعة على وادي الرمال وبومرزاق ، حيث تطغى الزراعة المروية وتنتشر بساتين الأشجار المثمرة والخضر خاصة ، والآخر يتركز بالمناطق الجبلية المرتفعة ، حيث ظل السكان مرتبطون بالأرض يتوارثون ملكيتها ويواظبون على خدمتها ولا يلتزمون لرجال البايليك إلاّ بالمطالب المخزنية المحدّدة بالعشور والزكاة أو اللزمة أو المعونة أو غيرهما ، كما هو الشأن بالنسبة للقبائل الجبلية بنواحي جيجل وفرجيوة وزواغة والبابور والأوراس ، التي استطاعت المحافظة على ملكياتها الخاصة لصعوبة التضاريس ولكونها تتطلب جهدا كبيرا لاستصلاحها واستغلالها (2)

---

(1) سعيدوني (ناصر الدين) ، دراسات في الملكية العقارية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1986 . ص. 42 .

(2) HOUSCHI , Enquête ... P.92.

مثل أراضي بني سليمان وبني معزوز وبني عامر وبني ايدر التي إضطر أصحابها الى الإلتجاء الى طريقة زراعة المدرجات الجبلية المعرّضة للإنهيار بفعل عوامل الطبيعية القاسية .

ومما يلاحظ أن بعض العائلات ذات النفوذ والمكانة في الوسط الريفي من الجواد والمرابطين ، قد عملت بفضل تعاملها مع البايليك وتوليها مناصب إدارية على توسيع ملكياتها الخاصة ، بحيث أصبحت قبيل الإحتلال الفرنسي تستحوذ على مساحات شاسعة كما هو الحال بالنسبة الى عائلات المقراني وابن القفقون وبن تشيكو وحسن باغا وصالح باي وبشتارزي وبن جلول وبلحسين وبن قانة .

هذا وقد سمح هذا النوع من الملكية الواسعة لفائدة العائلات الكبرى ، بتحوّل مساحات شاسعة من أراضي المشاع أو العروش التابعة للقبيلة الى ملكية خاصة بأسرة معيّنة وذلك رغم أنّ أغلب أصحاب الملكيات الخاصة يمتنعون عادة عن بيع أو ترك أراضيهم، لأنّ ذلك يتنافى والعرف والعادات والقيّم الأخلاقية المتعارف عليها، وبالتالي ، فإنّ حق الوراثة هو السائد ، ولهذا ، فإنّ التنازل عن الأرض غالبا ما يكون عن طريق الضغط أو الإكراه ، وقد يترتب عليه نزوح السكان عن مواطنهم في حالة اضطرارهم الى التخلي عن ملكياتهم الخاصة ، على أنّ الأراضي الواقعة بالقرب من قسنطينة خاصة والتي كانت في حوزة عائلات حضرية وبعض الموظفين الكبار ، فإنّها ظلت دائما تخضع لعمليات البيع والشراء العادية ، بحيث كانت تحرّر في شأنها العقود التي توضع من طرف كبار الموظفين وبموافقة من الباي ،

ويحدد فيها غالبا ثمن الشراء ويذكر أسماء البائعين والمشترين [1] ، على أنّ هذه القاعدة لم تكن مطبقة في كل الأراضي الخاصة ، وهذا ما مكّن الادارة الاستعمارية من ايجاد وسيلة تمكنها من نزع الملكيات الخاصة من أصحابها ، بحجّة أنّها لا تتوفر على العقود والأوراق الرسمية ، وبالفعل فقد أوصت اللجنة الفرنسية المكلفة بهذا الأمر برئاسة الجنرال نيقري NEGRIER ، بنزع كل أرض خاصة لا تعتمد على عقود ملكية ، مما سمح للفرنسيين بوضع يدهم على مساحات كبيرة من هذه الأراضي [2] .

8 — الأراضي المشاعة أو أراضي العرش :

وهي ملكيات تقليدية تتلاءم ونمط المعيشة القبلي والروابط الاجتماعية السائدة في الأرياف والتي كانت تعتمد على تضامن القبيلة وليس على خصوصية الأسر والأفراد [3] ، مما جعل حق الاستغلال للأرض جماعيا ، من طرف كل أعضاء القبيلة [4] أو المجموعة المقيمة بالدوّار أو الدشرة أو العرش ، إذ كانت كل أسرة تقوم بخدمة ما يتلاءم وحاجاتها وإمكانياتها وطاقاتها حسبما يقرّره شيخ القبيلة أو الدوّار ، على أن

---

(1) هذا ما تؤكده العديد من الوثائق الموجودة بالأرشيف الجزائري ، راجع سلسلة الوثائق الشرعية علبة 21 ، الأرشيف الوطني الجزائري.

(2) WARNIER , Rapport op. cit.

(3) شالاي (فيليستان) ، تاريخ الملكية ، تعريب صباح كنعان ، بيروت ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، التاريخ ؟ ص. 11 .

(4) LAMBERT , Manuel de législation Algérienne. Alger. S.D.

يترك قسم من الأرض مشترك لاستغلاله جماعيا في الرعي أو التزود منه بالخشب .

وفي حالة ما إذا عجز أحد مستغلي هذه الأرض ولم يترك وريثا قادرا على خدمة الأرض، فإن أرضه تعود الى مجموع القبيلة ويقع تسليمها بأمر من شيخ القبيلة الى من هو في حاجة لخدمة أو من له القدرة على استغلالها[1] وهذا ما يجعل الأراضي المشاعة لا تخضع لعمليات البيع أو الشراء أو الوراثة لاستغلالها، الاستغلال الفردي أو التصرف الشخصي[2]، ولعل هذا الوضع هو الذي حال دون تطبيق أحكام الشريعة الاسلامية مثل حق الميراث ، وحرمان المرأة من إمكانية إستغلال الأرض أو حيازتها وقصرها على الذكور دون الإناث ، بحكم أنها غير قادرة على خدمة الأرض .

على أنه في بعض الحالات ، قد تتعرض الى تغيير في وضعها مثل الأراضي التي ظلت تستغل من طرف أسرة واحدة لعدة أجيال متلاحقة، قد تصل الى أربعة أجيال أو أكثر ، الأمر الذي يسمح لها بتحويل أراضيها عندما تساعدها الظروف من وضعية الملكيات المشاعة " العروش " الى ملكيات خاصة (ملك) ، كما هو الشأن بالأراضي التي تعود الى شيوخ القبائل وبعض المرابطين خاصة ، وفي هذه الحالة تتحول طبيعة الأرض من ملكية تعود الى مجموع أفراد القبيلة الى ملكية فردية ، وهذا ما ساعد على تغيير بنية قسم من المجتمع

---

(1) NOUSCHI , Enquête ... P. 86.

(2) سعيدوني ، دراسات وأبحاث في الملكية ... ص. 45.

الريفي القسنطيني (1) .

هذا وقد ظلت حدود مجال إستغلال كل أسرة متعارفا عليه بحكم العادة و التقاليد بحيث أصبحت (الجرّة) أو الأثر الذي يتركه المحراث هو الحد المتفق عليه بين أراضي أسرة و أخرى(2) على أنه كثيرا ما يحاول بعض الأشخاص تجاهل ذلك بغرض توسيع رقعة الأرض التي يقومون بخدمتها مما يتسبب في نزاعات و فتن بين الأسر قد تتطور لتصل الى حد نزاع بين صفوف القبائل ، مثلما وقع لقبيلة القرفة التي تمّ إنتزاع أراضيها بهذه الطريقة من طرف قبائل الزناتية المجاورة لها ، و لهذا كثيرا ما يضطّر شيوخ القبائل الى إقرار حدود مجال الاستغلال بقمم الجبال و الأودية أو الطرق ، كما هو الشأن في تحديد مجال أراضي أعراش القبائل القوية مثل النمامشة و الحنانشة و الحراكتة و أولاد عبد النور و عامر الشراقة و عامر الغرابة ، و غيرها من القبائل و الأعراش التي ظلت تحافظ على نظام الملكية الجماعية المشاعة للأراضي .

هذا وقد ساعد إنعدام الأمن وكثرة الإضطرابات وتردد الحملات العسكرية على الأرياف الى تحوّل أراضي واسعة من ملكيات خاصة الى أراضي مشاعة ، عرفت في بعض الجهات ببلاد الخلاء أو البارود (Pays de poudre) — (Pays d'abandon) التي تمثل أراضي

---

(1) RUEDY (John .) , Land policy in colonial Algéria . University of california. Los Angeles . 1967 . P . 11 .

(2) V A R N I E R , Sur la propriété ; rapport op. cit.

السيبسة بالمغرب (1) والتي أصبحت دون نطاقها يحيط بأراضي البايليك ويشتمل على القسم الاكبر من مناطق الهضاب العليا القسنطينية وعلى جزء من أراضي التل في الجهات الغربية الوسطى في البايليك التي تحولت الى مراعي عامة لافراد القبائل أو أراضي مشاعة تمارس فيها زراعة في فترات متقطعة.

4 — أراضي الحبوس :

وهي الملكيات الموقوفة لغرض خيري لفائدة المؤسسات الخيرية كالحرمين الشريفين (مكة المكرمة و المدينة المنورة) والمساجد و المدارس والأضرحة و الزوايا و المرافق العامة من عيون وملاجئ و ثكنات و حصون وطرق و غيرها ويتولى الاشراف عليها و التصرف في شؤونها موظفون معينون لهذا الغرض يعرفون بالنظار أو الوكلاء الذين يتقاضون مرتباتهم من مداخيلها ويصرفون من عائداتها على اصلاح و رعاية أماكن العبادة أو الانفاق على شيوخ وطلبة العلم الذين كانت تفتخر بهم مدينة قسنطينة (2).

---

(1) R I N N , op. cit ... P. 1 . . .

— لمزيد من الايضاح حول أراضي العروش راجع :

— GUEIT (A.) , Du régime des terres arch , Paris , 1 9 1 0 .

(2) للتعرف على أحكام و أوضاع الوقف بصفة عامة راجع :

— MERCIER (E.), " Hobbos et Oukaf ", ses règles et ses jurisprudences. In Revue Algérienne et Tunisienne de législation et de jurisprudence. Nº 11 . 1 9 5 5 . PP . 1 7 3 .

— A . M . G . H. 2 2 7 , R a p p o r t op. cit.

— LEON (P.), Histoire Economique et Sociale du monde : Inerties et Révolutions. 1730-1840. Armand Colin. Paris , 1978 , P.273.

وقد تولى الإشراف على أوقاف قسنطينة ونواحيها بعض أفراد العائلات ذات النفوذ والمكانة الدينية مثل عائلة بن الفقون التي خول لها احتكارها مشيخة البلد تولي الإشراف على الأراضي الموقوفة، وقد شاركها في ذلك بعض رجال الدين الذين تولوا، بإقرار من البايليك، الإشراف على مجموعة من الملكيات الموقوفة مثل المرابط سيدي بلقاسم بوحجار الذي كان يقيم بالقرب من واد بومرزوق.

ومع وقف أغلب الأملاك الموقوفة داخل المدن، إلا أن الأراضي الموقوفة ظلت تؤلف جزءا هاما، بعد أن انتشرت بفضل مبادرة البايات والأعيان والموسرين من الحضر الذين كانوا يقومون بأشتراء الأراضي ووقفها للصالح العام، سواء في شكل وقف ذري أو أهلي، يعود الانتفاع به الى محبسيه أو سلالتهم ولا يتحول الى المصلحة العامة إلا بانقطاع العقب أو في شكل وقف خيري عام يعود الانتفاع به مباشرة الى المؤسسة التي حبس عليها، هذا، ونظرا لأحكام الشرع، فإن الأراضي المحبسة لا تخضع للضرائب ولا يمكن حيازتها أو بيعها أو وراثتها ولعل هذا ما دفع الجنرال نيقري NEGRIER الى تقديم توصية الى الادارة الاستعمارية الفرنسية يحبذ فيها إدراج الأملاك الموقوفة بقسنطينة ونواحيها في ملكيات البايليك وذلك ليسهل على الحكام الفرنسيين إمتلاكها وتوزيعها على الأوربيين فيما بعد.

على أن أحكام الشرع المتعلقة بالوقف كانت قبل الاحتلال خير وسيلة وأحسن أسلوب للحيلولة دون عمليات المصادرة والاستحواذ أو البيع من طرف أفراد الأسر صاحبة الحبس[1]، ولعل هذا ما شجع العديد من المالكين للأراضي الخاصة الى وقفها بحيث أصبحت تشتمل على مساحات واسعة بالقرب من المدن ولاسيما قسنطينة

---

(1) سعيدوني (ن.)، " أوقاف الأندلسيين بالجزائر من خلال وثائق الأرشيف

التي تقلصت الأراضي الخاصة حولها لفائدة الأراضي الموقوفة على الحرمين الشريفين و مساجد قسنطينة و بعض الأولياء بها حتى أصبحت تقدر حسب بعض التقارير التي تعود الى أوائل الإحتلال بـ 946 هكتار من المزارع و البساتين أغلبها يشرف على وادي رمال و روافده (1).

... الجزائري "، بحث قدم في الندوة الثانية للجنة العالمية للدراسات الموريسكية ، المنعقدة بتونس بتاريخ 19 الى 24 سبتمبر 1988، و المنشور " دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر، العهد العثماني ، الجزء الثاني ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1988 ، ص، 49.

(1) تقرير وارنيي .

ب — طرق الإنتاج وأساليب إستغلال الأرض :

بعد التعريف عن أنواع الملكيات الريفية بـبايليك قسنطينة وما كانت تمتاز به من أوضاع وأحكام خاصة ، يصبح من الضروري التعرّف على طرق الإنتاج المتّبعة والأساليب المطبقة في كل صنف ، وذلك حتى يتضّح لنا نوعية النشاط الزراعي السائد بالريف القسنطيني ، وما يتصل به من تنظيمات ضرائبية ، وذلك حسب أصناف الملكيات التي سبقت الإشارة إليها :

1 — أراضي البايليك :

هي موجّهة لتوفير كميات كافية لتغطية حاجات سكان قسنطينة وتزايد أسواقها بالحبوب ، وكذلك حاجات موظفي البايليك والمساهمة في تغطية ما يرسله البايليك الى الجزائر في شكل دنوش فصلية أو سنوية ، وقد قدر مدخول أراضي البايليك التي يعمل بها الخماسة ، أيام الحاج أحمد باى بقسنطينة من الحبوب بـ 3753.000 ف (1) ، هذا وقد خصصت أغلب أراضي البايليك لإنتاج الحبوب من قمح وشعير ، وقد ساعد على نوعية الأراضي ، الحاجة الماسة الى الاقوات وهذا ما أدّى الى أن أصبحت أراضي عزل جبرى ، وهي أراضي الحكور ، مستغلة أساسا من أجل إنتاج الحبوب بمختلف أنواعها ، بينما لم يخصّص إلا القسم

(1) CARETTE - WARNIER ; Rapport op. cit.

الذى يتوفر طوال السنة بمياه العيون والوديان بنواحي قسنطينة وجهات وادى الزناتي وبوسيف والرمال لإنتاج الخضر والفواكه المختلفة الأنواع [1]، وقد كان يقوم بخدمة أراضي البايليك " الخماسة " وهم الفلاحون المستخدمون في الأرض مقابل خمس الإنتاج [2] مع توفير البذور وأدوات الحرث والحصاد لهم وغالبا ما يطبق بهذه الأراضي نظام التويزة وهو أعمال سخرة جماعية [3] تقوم بها جماعات الرعية المراقبة من طرف مشائخ المخزن لفائدة البايليك أثناء عمليتي الحرث والحصاد، مما ينقص التكاليف ويوفر مداخيل إضافية لخزينة البايليك، هذا وقد عملت التويزة على رفع مردود بعض الحقول لتصل الى 450 صاع، وقد ترتفع أثناء المواسم الجيدة الى 900 صاع، أي بنسبة 15 حمولة من الشعير و 12 حمولة من القمح في الأراضي المتوسطة الخصوبة وفي المواسم العادية، كما ساعدت على تحسين أوضاع الخماسين ليصل متوسط مدخول الواحد منهم في الحالات العادية الى 43ر3 ف يوميا، مما يسمح له بحياة بسيطة حسب بعض المصادر، بالحرمان والشقاء [4] بالمقارنة الى وضعية الفلاحين المالكين لأراضيهم

---

(1) سعيدوني، دراسات في الملكية العقارية، ص 49.

(2) ROBE (E.), op. cit. PP. 8 - 9.

(3) MAUNIER (R.), Coutumes Algériennes, Domat Montchrétien, Paris 1923. P. 68.

(4) NOUSCHI (A.), " Constantine à la veille de la conquête Française ", in les cahiers de Tunisie, 3e trimest. 1955. PP. 80 et S.

والمعرضين للإبتزاز والتعسف، وهذا عكس ما تروج له بعض الدراسات التي تصور حياة الخماسين بحالة مزرية من الشقاء والحرمان، ولعلّهم في ذلك متأثرين ببعض التصرفات الجائرة من بعض السياسات الذين لم يتورعوا عن طرد الخماسين من أراضي البايليك بعد عجزهم عن تسديد محصول مرتفع، أو في حالة عجزهم عن خدمة الأرض أثناء الأزمات الاقتصادية التي تسببت فيها المجاعات والجفاف والجراد والأمراض وغيرها، أو بسبب سلوك الإدارة الفرنسية مع الخماسين الذين أقصتهم على أراضي البايليك إثر إحتلال قسنطينة، وحاولت إستغلالهم إلى أقصى حد.

وعلى كلّ، فإنّ الإحصائات التي تعود الى أوائل عهد الإحتلال ببايليك الشرق تؤكد لنا هذا الوضع المتميّز بالمردود الوفير لأراضي البايليك المخصصة لإنتاج الحبوب وهي تتوزع بين البايليك الذي يعود اليه أربعة أخماس الإنتاج وبين الخماسين الذين يحتفظون بخمس الإنتاج [1]، فعلى سبيل المثال، في حالة حصول البايليك من أراضي الخماسة، على مدخول يقدر بـ: 22 كيسا من القمح و 51 كيسا من الشعير و 36 شبكة من تبن القمح و 52 شبكة من تبن الشعير، فإن نصيب الفلاح [illegible] : 5ر5 أكياس من القمح (195 ف) و [illegible] (242 ف) و 4 شبكات من تبن القمح (6 ف) و 13 شبكة من تبن الشعير (26 ف)، وهذا ما يجعل مدخول الفلاح الحاصل في حقول البايليك لا يقل عن 369 ف سنويا أي بنسبة

---

(1) Azels Khermas , in Rapport WARNIER sur la propriété dans le Beylik de Constantine .

43ر9 ف يوميا ، إذا أخذنا بالسعر المتعارف عليه آنذاك وهو 5 ف لكيس القمح .

هذا وبفضل هذه المداخيل ، يمكن القول بأنّ أراضي البايليك وفرت العيش لما لا يقل عن 15.000 أسرة من الخماسين ، أي حوالي 000. 90 نسمة ، فقد كفل لهم إستغلال الأرض مستوى معيشة ملائم يتحدد بـ يوميا ، حسب بعض المصادر بـ 43ر3 ف ، أي ما يعادل 50ر309 ف سنويا وذلك في حالة إلتزام الخماسين بخدمة الأرض لفترة لا تقل عن ... يوما في السنة (1) ، على أنّ المطالب الإضافية التي كانت تستخلص من الخماسين ظلت دائما تشكل عبئا ثقيلا ، فقد ظلّ الخماس محتاجا دائما الى مبلغ مالي أوكمية من الحبوب يتسلمها مسبقا من البايليك تعرف عادة " بالساربية " وهي عادة لا تتجاوز كيس شعير ومثلها تخصم كل 15 يوما ، تخصم من حصته عند الحصاد ، ويضاف اليها ما يقدمه الخماس الى الشيوخ القائمين على مراقبة أراضي البايليك في شكل تعويضات سنوية تتألف عادة من دجاجة واحدة وعشر بيضات وحمولة خشب و خروف إن كان لديه قطيع من الغنم .

وعلى كلّ فإنّ أراضي البايليك وفرت لخزينة الباي كميات معتبرة من المحاصيل قدرت سنويا بـ 20762 قيسة من الحبوب ، مخصصة في مجملها الى التصدير الى أوربا عن طريق المحتكرين الأجانب (2) بموانىء الشرق الجزائري

---

(1) CARETTE et WARNIER, Description de la propriété dans la province de Constantine.

(2) A. Ch. C. M. Liasse L III . 1220 à 1230 (1791 — 1794) Journal de Bône : Factures du Blé arrivé à Marseille .

بالإضافة الى 10.000 قيسة أخرى كانت ترسل سنويا الى الجزائر في شكل دسوش مفروضة على البايليك لفائدة ديوان الجزائر[1].
هذا بالإضافة الى الكراء السنوي " الحكسور " الذي يدفع عادة نقدا[2]، والذي يؤلف مدخولا إضافيا لخزينة البايليك ، والذي قدرت قيمته، عشية الإحتلال الفرنسي لقسنطينة بـ 137547 ريال بوجو سنويا.

2 — أراضي الممتلكات الخاصة :

يقوم باستغلالها من طرف مالكيها أنفسهم وعند الحاجة، الى عمال إضافيين في موسمي الحرث والحصاد ، عادة ما يستأجر صاحب الأرض أحد الفلاحين " الخماسين " ويمنحه كوخا داخل المزرعة ويوفر له وسائل العمل، مقابل خمس الإنتاج ، بينما يحتفظ صاحب الأرض بأربعة الأخماس الباقية كما هو الشأن ، أوكما هو شائع في الأراضي المخصصة لإنتاج الحبوب بمناطق ونوغة وريغة وبلزمة وزردازة وفرجيوة [3].
لكن في الأماكن الجبلية أو القريبة من المدن التي تتميز بصغر مساحتها، فإنّ مالك الأرض وأفراد أسرته ، يقومون مباشرة بخدمة الأرض لزراعة الخضر والفواكه ، كما هو الحال بضواحي قسنطينة ، بحوض المنصورة والحامة وادي بومرزوق ، أو بنواحي ميلة وعنابة أو جهات الزيبان (أراضي أولاد ساولة والحضنة ومسيلة) أو ببطون أودية جبال الأوراس التي تتوفر على

(1) SHALER , op. cit. PP. 203 - 204 .

(2) COSTE (H.) , op. cit. PP. 27 et S .

(3) FERAUD (L.Ch.), " FERDJIOUA et ZOUAR'A " Notes Historiques sur la province de Constantine. In, R.A.N°22, Année 1872, PP.5 à 25.

المياه ، حيث حاول سكانها إستصلاح المنحدرات الجبلية و إقامة مصاطب لحجز التربة من الإنجراف و إنشاء القنوات لتوزيع المياه، و إعتماد طريقة ملائمة للتلقيح و التلقيم[1] ، مما ساعد على زيادة إنتاج الأشجار المثمرة و سمح بتطوير زراعة كثيفة تتميّز بصغر مساحة الحقول و إرتفاع كمية الإنتاج ، مما ساعد على إعالة العديد من السكان والحصول على فائض إنتاج مكن سكان تلك الجهات من تسديد المطالب المخزنية و إشتراء الحبوب وبعض الحاجيات الضرورية [2] .

هذا وقد أمتازت الملكيات الخاصة بكثرة عدد سكانها، ولاسيما الواقعة منها بالقرب من مدينة قسنطينة ، حيث كانت المزارع والبساتين الخاصة تضمّ مالا يقل عن 2000 نسمة، أغلبها يعمل في خدمة الأرض، وعلى كلّ ، فإنّ الأراضي الخاصة كانت دائما تخضع لضريبتي العشر والزكاة، الأولى تؤخذ على المحاصيل ، حسب عدد الجابدات وبنسبة محدّدة لا تتجاوز عادة صاع قمح وصاع شعير و حمولتين من التبن، بالإضافة الى مقادير من الزبدة وبعض الدجاج ، و الثانية من المواشي، وهذا ما مكّن للبايليك عن الحصول على مداخيل مهمة قد تصل، حسب بعض الإحصاءات، الى ما لا يقل عن 300.000 قنطار من الحبوب ، وذلك إعتمادا على تقدير عدد الجابدات بـ 1.500 جابدة تغطي 15.000 هكتار ، وهي المساحة الإجمالية التقريبية للأراضي الخاصة ببايليك الشرق [3] .

---

(1) N O U S C H I , Enquête ... PP . 87 et S.

(2) B A R B U T (M.), "La propriété rurale et la colonisation " , in Encyclopédie Mensuelle d'Outre - Mer , Alger 1 9 5 4 .

(3) CALVELLI (M.A.E.), Etat de la propriété rurale en Algérie . Imprimerie V I C T O R Heintz . Alger 1 9 3 5 . P . 19 .

8 — الأراضي المشاعة :

هي أراضي القبائل المستغلة جماعيا بين أفراد الأسر التي تتشكل منها القبيلة أو الجماعة ، وقد عرفت تطبيق نظام ملائم لنوعية الحياة القبلية ، يتمثل في نظام الجماعة أو التويزة ، مما سمح بإنجاز عمليات الحصاد و البذر[1] بدون تكلفة عالية أو نفقات قد تفوق مستوى معيشة مستغلي هذه الأراضي ، لأن الإلتجاء و الاستعانة بأفراد العشيرة أو رجال القبيلة ، لاسيما أثناء الأزمات و أوقات المجاعة التي تتعرض لها بين الحين و الآخر ، أحسن وسيلة و أفضل طريقة لخدمة الأرض و الحصول على منتوج كاف ، بأقل تكلفة .

هذا و فرض إستغلال الإمكانيات المتاحة في الأراضي المشاعة الى تحول قسم من الفلاحين الى رعاة موسميين أو فلاحين مؤقتين في أراضي البايليك " خماسين " عند حلول المجاعات أو عند إنعدام المحصول في مواسم الجفاف أو عند إجتياح الجراد ، وذلك لفترة زمنية تحدد عادة ، بثلاث سنوات بعدما يتخلص الفلاحين من إلتزاماتهم في أراضي البايليك ، ليعودوا الى خدمة أراضي العرش التي تعود اليهم في نطاق عشيرتهم .

---

(1) BENSLIMANE , op. cit. P. 28 .

ج — إرتباط الإنتاج الزراعي بالتنظيمات الضرائبية :

وفرت مختلف أنواع الأراضي لخزينة البايليك كميات معتبرة من المحاصيل الزراعية و المقادير التقديرية حتى أصبحت تشكل المصدر الأساسي لدخل بايليك الشرق و الدعامة الرئيسية التي يقوم عليها النشاط الاقتصادي بالمدن و المصدر الرئيسي لتلبية مطالب ديوان الجزائر التي ازدادت مع تناقص غنائم الجهاد البحري ، و لهذا اضطرّ بايليك قسنطينة أن يغطي جزءا مهما من العجز من مردود الضرائب التي يرسلها الى الجزائر في شكل دنوش فصلية أو دنوش سنوية .

و هذا ما يتضح لنا من التقدير الأولي الذي توّصل اليه كالفيلي CALVELLI(1) لمساحة الأراضي المستغلة في زراعة الحبوب و عدد الجابدات الموظفة عليها و مقدار ما يؤخذ عنها لفائدة خزينة البايليك :

نوعية الأراضي	عدد الجابدات	المساحة الاجمالية بالهكتارات	مقدار ما يؤخذ عليها بالقناطير
أراضي البايليك	13.512	135.120	2.702.400
أراضي العرش	2.515	25.150	503.000
أراضي الملك	1.500	15.000	300.000

(1) CALVELLI (M.A.E), op. cit... P. 19.

فحسب هذا الجدول ، فإنّ أغلب الإنتاج الزراعي وما يوفّره من ضرائب يرتبط بأراضي العرش وأراضي البايليك خاصة ، ويعود ذلك الى طريقة الإستغلال ، فأراضي البايليك كانت تخضع للأسلوب المباشر وذلك بتسخير الفلاحين " الخماسة " بخدمة الأرض وتجنيد أفراد الرعية للعمل الجماعي التطوّعي " التويزة " في أراضي الخماسين أو بإقرار قبائل تعمل لفائدة البايليك في أراضي العزل مقابل حمايتها من منافسيها مثل قبيلة القرفية التي اضطرتها النزاعات القبلية بالأوراس الى الإلتجاء لخدمة أراضي البايليك مقابل سد حاجاتها المعاشية ، وهذا ما وفر للبايليك مداخيل معتبرة ، ففي أراضي العزل مثلا كان مردود الجابدة الواحدة ، إعتمادا على تقديرات السنوات الأولى للإحتلال وإحصاءات السيناتوس كونسولت SENATUS CONSULTE التي تعود لسنة 1867 ، لا تقل عادة عن 90 ف سنويا ، وهي مجموع قيمة صاع من القمح (35 ف) وصاع من الشعير (15 ف) ، وحمولة تبن (5 ف) ، وبعض المطالب الأخرى المقدّرة بـ (35 ف) ، وهذا ما يجعل المردود الإجمالي لعزل البايليك يصل ، حسب هذه التقديرات الى 1.173.600 ف ، إذا علمنا أنّ هذه العزل كانت تشتمل على ما لا يقل عن 13.512 جابدة (1) .

أما ما يخصّ كراء الأرض ، فإنّ البايليك يأخذ ضرائب سنوية قارة ، يحتفظ بجزء منها الموظفون القائمون بإستخلاص كراء الأراضي ، وقد يتنازل البايليك عن جزء آخر في شكل ترضيات لبعض المرابطين أو العائلات المتنفذة مع الإحتفاظ بملكيتها للدولة ، بينما يكون نصيب الدولة

---

(1) A.N.P. F 80/1807. SANATUS CONSULTE du 22 Avril 1863 (Statistiques Azels de la province de Constantine au 1er Janvier 1867) .

بالنسبة للأراضي التي تعود إليه مباشرة ، محدّد بالنسبة لكل جابدة حيث يؤخذ 25 ف عن الجابدة الواحدة ، بالإضافة الى حمولة تبن في فصل الشتاء ، توظف على كل جابدة في شكل مساهمة في توفير العلف لقطيع وحيوانات البايليك .

هذا وقد كان قائدي الجبري يتقاضان لنفسيهما عن كل الأراضي التي يشرفان عليها و هي 111 مزرعة أو عزلة ، بها 2.973 جابدة ، كمية من النقود و المحاصيل تقدر بـ 21٫17 ريالا ، 35٫10 صاع شعير ومثلها قمحا و 42٫15 حمولة تبن[1] في شكل تعويضات عن مهامهما و خدماتهما ، كما ينتفع قائدي جبرى و مساعديهما من العوائد المتوجبة على مستغلي أراضي البايليك ، الجوابرية و هي عادة ما تتمثل في خروف و حمولة من الخشب في الشتاء ، بالإضافة الى دجاجة و عشر بيضات يلزم بها الفلاح المستلم لهذه الأرض الجوابرية .

أما الأراضي المشاعة أو أراضي العرش ، فقد كان إستخلاص الضرائب يتم بطريقة مباشرة في أغلب الأحيان لاسيما في الجهات الجبلية أو النواحي السهبية و ذلك بالإلتجاء الى إستخدام فرق من المكاحلية تكون تحت أوامر القياد ، و أحيانا يتم الإستعانة بالمحلة في حالة عصيان القبيلة أو إمتناعها عن تقديم ما يتوجب عليها من الضرائب المتنوعة ، وقد أمكن بفضل هذا الأسلوب إستخلاص كميات معتبرة من المحاصيل و المواشي و حتى من النقود ، و هي تتوزع على العديد من المطالب الإلزامية مثل الغرامة و اللزمة و الخطية التي يتولى الشيوخ تقديرها و جمعها و تقديمها

(1) Rapport WARNIER relatif à la propriété et l'Impôt...op.cit.

للقياد المكلفين بتحويلهما الى مخازن البايليك أو نقلها الى قسنطينة ووضعها تحت تصرّف الموظفين الكبار وهذا بعد أخذ حصة منها في شكل رواتب أو تعويضات ، وهكذا تتميّز هذه الضرائب المخزنية المتوجهة على أراضي القبيلة " الحرش " و المفروضة على جماعات الرعية بتنوّعهما ، فهي تشتمل على اللزمة و الخطية و الغرامة حسب الظروف والأحوال ، بالإضافة الى العوائد المختلفة مثل المعونة و ضيفة الدنوش وضيفة الهاى و حق البرنوس و المهي باشا و البشارة و الفرح و العقاد و حق الشبير وغيرها .

ولأخذ فكرة عن ثقل هذه المطالب ، نذكر على سبيل المثال أنّ قبيلة متوسطة كعامر شراقة ، كانت تقدم سنويا في شكل غرامة أو لزمة 1.000 صاع قمح و مثلها شعير لمخازن البايليك ، بالإضافة الى المعونات الأخرى(1) . هذا وقد نتج عن هذه الإلتزامات التي أثقلت كاهل الفلاحين أن أصبحت علاقات الإنتاج ذات طابع عشائري – قبلي تتميّز بتلبية حاجتين ضروريتين : تغطية الإستهلاك الذاتي لأفراد القبيلة أو الجماعة وتسديد ما يتوجب من الضرائب التي سبقت الإشارة إليها ، ولهذا عندما يختلّ هذا التوازن ، تصبح القبيلة مرغمة على إعلان العصيان و التمرّد كما وقع لقبيلة عين الله أو التحوّل الى حياة الترحل أو مغادرة أراضيها الشاسعة الى مكان آخر أو إستخدام أفرادها في مزارع الدولة كخماسة بعد أن فقدوا حقهم في أراضيهم التي تحولت الى ملكيات العائلات الإقطاعية أو أصبحت من أملاك البايليك التي تستغل عن طريق الكراء السنوي أو الحكور(2) من طرف قبائل أخرى تتعهد بخضوعها و تلبيتها

---

(1) WARNIER , Rapport op. cit.

(2) HENNI (A.), Etat, surplus et société en Algérie avant 1830. Entreprise Nationale du livre, Alger, 1986. PP. 46 – 47.

لمطالب موظفي البايليك مثل قيادتي دميار وأولاد قصاع اللتين تسلمتا أراضي قبائل أخرى ، وتعهد بخدمتها لفائدة البايليك بعد أن أرتحل عنها أصحابها بضغط من البايليك .

هذا ، وتجدر الملاحظة الى أن هذا الاسلوب لم يكن في كل الحالات ناجعا وفعالا إذ استطاعت بعض القبائل الكبرى ولاسيما الأحلاف العشائرية أن تتحدى هذا الوضع وأن ترفض دفع اللزمة أو تقديم الغرامة والعوائد المختلفة ، ودخلت في صراع مرير مع قوة البايليك ، مثلما حدث لقبائل النمامشة والذواودة وقبائل مجانة المتعاملة مع أسرة المقراني (1) ، ولعلّ هذا الوضع هو الذى دفع أحمد باى في آخر الأمر الى توحيد الضريبة على أراضي القبائل وحصرها في العشور الذى يستخلص من الحبوب ، والحكور الذى يؤخذ غالبا نقدا ، بحيث أصبحت الضريبة موحّدة على كل أراضي العرش منذ سنة 1830 مع بقاء إختلاف في تحديد مقادير الحكور حسب غنى القبيلة وقوتها الحربية ومدى خضوعها وإلتزامها بطاعة البايلك وتقديم العون لفرق المحلة التي كانت تجوب من حين لآخر جهات الشرق الجزائرى ، وتتولى إستخلاص رسم مستحدث على القبائل الثائرة التي لا تلتزم بهذه الضريبة ، يعرف بالدلف ويؤخذ عادة من الصوف التي توفّرها قطعان تلك القبائل (2) .

على أنّ هذه الإصلاحات التي أحدثها أحمد باى ، لم تترك أثرا ملموسا على أوضاع عشائر الرعية ولم تحسن من مردود أراضي العرش لكونها

---

(1) GAID (M.), Chronique ... P. 146.
(2) A.O.M. F 80 / 522 : Rapport sur l'impôt...

جاءت متأخرة ، في وقت كثرت فيه الثورات و زاد فيه تهديد الجيوش الفرنسية التي بدأت تتوسع مناطق إحتلالها بنواحي عنابة و بجاية.

هذا وفي ختام هذا الفصل الذى تعرضنا فيه لانواع التشكيلات وما يرتبط بها من طرق الإستغلال و نمط الإنتاج ، وما نجم عنها من مطالب مخزنية وعوائد نقدية وعينية ، يمكن إستخلاص بعض النتائج و المميزات التي أسفرت على هذا الوضع المميز للحياة الإقتصادية بالأرياف القسنطينية في النقاط التالية :

1) — كان لنوعية الضرائب و طريقة استخلاصها تأثير على نوعية الملكية وطرق الإستغلال ، فكان لثقل المطالب النقدية و العينية ولتجريد الحملات و إستعمال فرسان المخزن لجمع الضرائب ، أثر واضح في نفور السكان عن خدمة الأرض و الإرتباط بها ، فتحولت مجموعات قبيلة كبرى الى حياة الترحل ولم تعد تمارس سوى زراعة غير قارة ، كما أدى ذلك الى إنعدام الأمن و إعلان العصيان و التمرد وما أنجر عنه من حملات عسكرية زادت الفلاحين شقاء وحرمانا ، لاسيما وأن مثل هذه الأعمال الحربية كثيرا ما تتسبب في حرق المحاصيل الفلاحية و إتلاف المواشي و قتل السكان ، مما أضر كثيرا بالحياة الاقتصادية بالأرياف القسنطينية .

2) — سمح نظام الضرائب للبايليك ببسط نفوذه على أراضي واسعة بحجة عدم قدرة أصحابها على الإيفاء بالإلتزامات المالية وعجزهم عن تقديم المطالب المخزنية المتوجبة عليهم أو بسبب عصيانهم أوامر البايليك وتمردهم على قبائل المخزن ، وهذا ما أدى الى توسع كبير في أراضي البايليك ، وتطور ملحوظ في أراضي المتعاملين معه ،

كما تسبب ذلك في تحوّل أراضي قابلة للزراعة الى مراعي لتستقل عبرها القبائل التي تحوّلت من إستغلال الأرض الى تربية قطعان المواشي في جهات الهضاب العليا و المناطق المتاخمة لناحية الأوراس و النمامشة خاصة ، وهذا ما أثر سلبيا في إستقرار الأوضاع إذ مكن القبائل أن تقف موقفا عدائيا إزاء البايليك ، بعد أن أصبحت مواطنها بلا د غير مأمونة ، عرفت عادة ببلاد الخلاء أو السيبة أو بلاد البارود (Pays de l'abandon et espace de poudre et combat) ، وأصبحت في حكم أراضي الموات التي تعود ملكيتها ، عادة ، للدولة في حالة إقرار سكان عليها و قيامها بإصلاحها .

3) — لم يعمل نظام الضرائب المطبق في بايليك قسنطينة على إستقرار أنواع الملكية و تطوّر الإنتاج بها ، بل أدّى الى التقليل من حصة البايليك ، و إنهاك المنتجين الحقيقيين أو المالكين الأصليين لفائدة موظفي البايليك و المتعاونين معهم من شيوخ و مرابطين وفرسان المخزن و قياد ، وهذا ما حال دون اكتساب تقاليد فلاحية قادرة على تطوّر نوعية المزروعات و تحسين مردود الإنتاج ، بل كان نظام الضرائب يهدف أساسا للحصول على أكبر قدر ممكن من المحاصيل بغض النظر عن تطوّر الإنتاج ، هذا في الوقت الذي كان فيه الفلاح المعدم و الخمّاس المستخدم لا يفكر إلاّ في تقديم المطالب المتوجبة عنه وسد حاجاته المعاشية البسيطة [1] ، وهذا ما عمل على تحوّل النشاط الزراعي أساسا بالأرياف القسنطينية الى إقتصاد اكتفاء ذاتي عاجز عن التطوّر لخلق سوق تجارية تسمح بتطوير المبادلات و تنشيط الصناعات والمهن الحرّة .

---

(1) B E R Q U E (J.) , Etudes d'Histoire Rurale Maghrébine, les Editions internationales . Tanger . Fez . 1938 . P. 7 8 .

4) — زاد من تفتت الضرائب وأثر على توزيعة الملكية بالأراضي النزاع العشائري و الصراع القبلي بالأرياف القسنطينية ، وقد أمكن للبايليك الذي كان يحرص على التدخل لصالح أحد الأطراف أن يضع يده على أراضي الطرف المنهزم فيتولى موظفوه إستغلالها مباشرة، أو تسليمها الى قبائل أخرى في شكل أراضي جوابرية أو عزل مقابل كراء سنوي " حكور " ، وعند تعذر الإستيلاء على الأراضي يكتفي البايليك بفرض مطالبه المالية على الطرفين المتنازعين بعد أن يتدخل للفصل بينهما و إقرار الحدود الفاصلة بين أراضيهما ، كما هو الشأن مثلا بالنسبة لأراضي الذواودة و أراضي الشابية بالجهات الوسطى للبايليك التي جعل موظفو البايليك واد بومرزق حدا بينهما .

5) — تسببت المطالب المخزنية في زيادة التمايز الإجتماعي و الإقتصادي بالأرياف القسنطينية ، فزادت ثروات الموظفين السامين و المرابطين و العائلات الكبرى و قبائل المخزن الذين وضعوا أنفسهم في خدمة البايليك ، و توسعت ملكياتهم على حساب أراضي العرش خاصة ، بينما زاد شقاء و حرمان فئة معتبرة من الفلاحين المعدمين الذين ظلوا يعيشون على أراضيهم الخاصة أو المشاعة أو الذين تحولوا تحت الضغط و الحاجة للعمل كأجراء " خماسين " في حقول البايليك و مزارع الفئات المتنفذة كالعائلات الكبرى ، و هذا ما سمح بتطور علاقات الإنتاج بالريف القسنطيني نحو إستغلال الجماعات القليلة الميسورة للجماعات الكثيرة المعدمة ، و هذا ما يسمح لنا بالقول بأن توزيع الملكية و الثروات بالأرياف القسنطينية كان غير منصف بل غير عادل ، فأفقر الأراضي و أكثر الضرائب كانت من واجبات الفلاحين الفقراء ، بينما كانت أجود الأراضي و أقل المطالب المالية من نصيب المالكين الميسورين ماديا كما أدت المطالب المالية و العينية المفروضة على أراضي العرش و الأراضي الخاصة الى تحول مساحات كثيرة بفضل الضغط المالي

الى أراضي أوقاف و ملكيات بايليك ، الأولى تركزت بخصوص المدن والثانية انتشرت بالجهات الخصبة القريبة من قسنطينة أو الواقعة بالطرق الرئيسية التي تربط جهات البايليك ؛ و هذا ما جعل البايليك يتحكم فعليا في المحاصيل الرئيسية المتمثلة في الحبوب و يحتكر إنتاج القسم الكبير منها ، بحيث أصبح في مقدوره توجيه كميات كبيرة من الحبوب للتصدير نحو الخارج عن طريق الإحتكارات الأجنبية المعتمدة في موانئ القالة وعنابة و القل و جيجل و بجاية .

6) — ظهور نمط إستغلال زراعي شبه إقطاعي يعتمد على الخماسين الذين يقومون بخدمة الأرض مقابل خمس الإنتاج و يعتمد على أعمال السخرة الجماعية (التويزة) و يستند على نفوذ المرابطين و العائلات الكبرى التي أصبح لها حق التصرّف في جزء من أراضي البايليك دون ملكيتها ، و أمكن لها حيازة قسم كبير من الأراضي المشاعة " العرش " ، و مما زاد في حدّة هذا النمط الإستغلالي شبه الإقطاعي ، هو كون أغلب المالكين للأرض من المرابطين و " الجواد " يقومون بإستغلال الأرض و الإستفادة من محصولها بتسخير جماعات الخماسين الكادحة و المحرومة و المعدومة من الوسائل المادية ، و ذلك بالإستعانة بقوة الدولة أو الإعتماد على نفوذها ، و هذا ما جعل هؤلاء الملاك وسطاء بين العمال الحقيقيين ، و هم الخماسين و بين المالك الحقيقي للأرض و هو الدولة .

7) — ارتبطت نوعية الملكية و طريقة إستغلال الأرض و ما ترتب عنها من ضرائب و معاملات و إجراءات خاصة بظهور تباين واضح في أوضاع الجماعات التي تعيش على الأرض ، بحيث يمكن تصنيف مالكي الأراضي " الخاصة و المشاعة " في ثلاث مجموعات رئيسية هي :

1 — مجموعة الملاك الكبار والعائلات الميسورة :

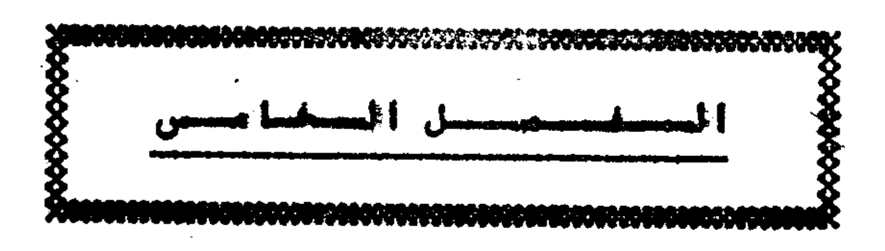
التي كانت تستحوذ على مساحات كبيرة من الأراضي الزراعية، وعلى رأسها شيوخ القبائل وزعماء العشائر القوية وأسر المرابطين وأصحاب الزوايا الذين احتفظوا بعلاقة تعاون مع جهاز البايليك مثل شيوخ قبائل الذواودة والحراكتة والحنانشة وأولاد عبد النور ولعل أحسن مثال لهذا النوع من الملاك الكبار يتمثل في عائلة المقراني[1] التي كانت أملاكها منتشرة بمجانة وسور الغزلان وبلاد القبائل والحضنة بعد أن انتشرت فروعها بالجهات الغربية والجنوبية من البايليك خاصة، مثل أولاد الحاج عبد السلام، وبن عبد الله، وأولاد قندوز، وأولاد بوزيان، وأولاد عبد الرحمن، وقد قدرت مساحة ما تملكه هذه العائلة التي تقدم نموذجا لهذا النوع من العائلات الميسورة بمنطقة مجانة وحدها، بما لا يقل عن 20.000 هكتار، وقدر دخلها السنوي بحوالي المليونين من الفرنكات عشية الإحتلال الفرنسي للمشرق الجزائري[2].

2 — مجموعة الملاك متوسطي الدخل وذوي النفوذ المحدود :

تمتلك مساحات معتبرة من الأراضي تقدر بعدة آلاف من الهكتارات ويندرج ضمنها رجال المخزن المتعاملين مع البايليك وبعض رؤساء القبائل

(1) FERAUD (L.Ch.),"Les cherifs Kabyles de 1804 à 1809 dans la province de Constantine".,in R.A.N°13. Année 1869. PP. 211 à 224.
(2) ROZET (H.P.), Alger in " Univers pittoresque ". F. DIDOT. Paris 1862 , PP. 60 et S.

الذين لا يتوفرون على دخل قار ويعتمدون في عيشهم على العمل بأراضي البايليك أو عند ملاك الأراضي وأصحاب القطعان الكبيرة، وقد كانوا عرضة للآفات الطبيعية وتحت رحمة مستخدميهم، مما أضر بمستواهم المعيشي وجعلهم في أغلب الأحيان يعيشون حالة بؤس وشقاء، وحتى الخمس الذي يتقاضونه من خدمة الأرض أو عشر القطيع الذين يتولون رعاية، فغالبا ما يعجز عن تلبية مطالبهم المعيشية، فالدخل الفردي لهؤلاء الخماسين، ولئن كان كافيا في سنوات الرخاء إلا أنه حسب ما يستنتج من إحصاءات سنوات 1845 و 1849 و 1853، فإنه كان يتراوح ما بين 75 ف و 150 فرنكا سنويا، مما يجعل متوسط الدخل السنوي لأسرة الخماس يقدر بحوالي 100 ف[1]، وهذا ما اضطر موظفي البايليك الى تحديد الأسعار ومراقبتها بالأرياف، حتى لا تتدهور القدرة الشرائية لهؤلاء الفلاحين الفقراء الذين يمثلون الغالبية من سكان البايليك، ولعل هذا ما اضطر بعض البايات مثل صالح باي والحاج باي الى خفض سعر صاع القمح الى ما يقدر بفرنك واحد، وقد كان قبل ذلك نتيجة قلة المحاصيل يصل الى 20 فرنكا، على أن تلك الاجراءات حسبما يستنتج من الأوضاع التي عرفها عالم الأرياف، لم يكن لها المفعول المرجو ولم يستطع أن يخفف كثيرا من شقاء هؤلاء الفلاحين والرعاة الذين ظلوا يعيشون على الكفاف رغم كونهم كانوا يقومون بتربية أهم القطعان وينتجون أغلب المحاصيل التي اشتهر بها بايليك الشرق .



النظام الضريبي والبنية الاجتماعية بالأرياف :

كان للنظام الضريبي تأثير مباشر على القوى الاجتماعية بالأرياف وعلى علاقة هذه القوى بسلطة البايليك ، وهذا ما يتضح لنا من خلال التعرف للواقع الاجتماعي بالأرياف ونوعية التعامل بين أهالي الريف ورجال البايليك وذلك من خلال التنظيمات والإجراءات التي تتصل بالضرائب، وهذا ما نحاول حصره في النقاط التالية :

أ — القوى الاجتماعية بالأرياف القسنطينية.

ب — علاقة القوى الاجتماعية بالسلطة المحلية للبايليك.

ج — إنعكاس السياسة الجبائية على علاقة البايليك بسكان الأرياف القسنطينية.

أ ـ القوى الإجتماعية بالأرياف القسنطينية :

وهي تشتمل على مجموعات القبائل والعشائر أو الجماعات التي تأثرت بالسياسة الجبائية ، وخضعت للإجراءات المتعلقة بها أو تولت مهمة إستخلاصها أو مراقبتها أو مساعدة رجال البايليك على تحصيلها، وهذه القوى الإجتماعية يمكن أن نصنفها حسب علاقتها بالإدارة المركزية لبايليك قسنطينة الى قبائل خاضعة وهي جماعات الرعية ، وقبائل متحالفة وهي عشائر المخزن ، وقبائل ممتنعة وهي التكوينات القبلية بالمناطق الجبلية والجهات النائية .

1 ـ جماعات الرعية الخاضعة لسلطة قيادة البايليك :

والتي ليس في إستطاعتها شق عصا الطاعة أو عصيان أوامر رجال البايليك ، فهي مراقبة من طرف فرسان المخزن من زمول ودوائر ومهددة بهجمات مباغتة من فرق المحلة في حالة تمردها كما أنها كانت محرومة من وسائل الدفاع ، فقد منع عنها إمتلاك البنادق وإقتناء البارود وحيازة السيوف(1). وهذا الصنف من السكان يشكل مصدر ثروة البايليك ، فهو يتحمل كل المطالب ويقوم بكل التكاليف المالية(2) علاوة على قيامه بأعمال السخرة بأراضي البايليك (العزل) ، وذلك لكون جماعات الرعية ظلت دائما ملزمة بالمساهمة بالعديد من أنواع الضرائب من عشور وزكاة وحكور وغرامة وخطية ولزمة

---

(1) سعيدوني ، الجزائر في التاريخ ... ص ص . 107 ـ 108 .

(2) — GOURGEOT (F.), op. cit ... P. 74.
— GENTY De Bussy, L' Etablissement des Français en Afrique du Nord : Province de Constantine. S. D.

* تولي بعض رؤساء المشيخات الوراثية مراقبة من يقطنون من جماعات الرعية بالجهات النائية أو المناطق الصعبة المحاذية لسهل مجانة أو الزيبان مثلا ، وهذا ما سمح بتوسيع نفوذ البايليك بالشرق الجزائري منذ عهد صالح باي وقد كان قبل ذلك لا تشتمل على جهات شاسعة من البايليك[1].

* إنقسام أغلب قبائل الرعية الى صفوف وأحلاف متنافسة مما أضعفها وزاد في خضوعها للبايليك ، فروح الصف التي دأب القياد والشيوخ على تشجيعها ، أدت الى تشتت قوتها ودفعت بها الى الخضوع المباشر لموظفي البايليك ، لاسيما القبائل التي تشكل أحلافا ضعيفة والتي كانت في حاجة الى مساعدة وعون من قياد البايليك[2] ، ولعل هذا السبب هو الذي جعل رجال البايليك يحوّلون جماعات كثيرة من رعاة حافة الصحراء الشرقية ، الى نظام الرعية وتولية شيوخ العرب عليهم وتكليف عشائر الذواودة بمراقبتهم[3] ، وهذا ما جعل قبائل الرعية تؤلف في مجموعها شرائح إجتماعية خاضعة خضوعا مباشرا لسلطة البايليك الذي أستغلها إستغلالا كاملا ، وهذا ما جعل العبء الضريبي المفروض عليها أثقل مما كان مفروضا على القبائل الأخرى التي ظلت

---

(1) COSTE (H.), op. cit. PP. 31 et S.

(2) الزبيري ، نفس المصدر ، ص. 34 .

(3) ROZET et CARETTE , Algérie et Etats tripolitains par Mr le Docteur Ferd. Hoefer : Tribus nobles. 2ème Edition . BOUSLAMA. Tunis 1980 . P. 117 .

بعيدة عن أيدى البايلك (1) .

2 ـ عشائر المخزن المتعاونة مع البايليك :

تتألف أساسا من فرسان الزمول والدواوير التي أعطيت إمتيازات عديدة وصلاحيات خاصة بها دون غيرها من سكان الأرياف ، منذ إستقرار البايات بقسنطينة ، وذلك مقابل تقديم خدماتها العسكرية لفائدة البايليك ، المتمثلة في إقرار الأمن وإخماد التمردات والمشاركة في الحملات العسكرية " المحلات " وإستخلاص الضرائب من جماعات الرعية أو القبائل الممتنعة أو المستعصية عن القياد والحكام الاتراك ، وهذا ماجعل من عشائر المخزن ، مجموعات سكانية ذات طابع عسكرى وشريحة إجتماعية ربطت غالبية سكان الأرياف بسلطة البايليك ، ووسيلة ملائمة لمد نفوذ السلطة المركزية لإدارة البايليك بالمناطق النائية والجهات البعيدة ، ولعل أهم هذه الإمتيازات التي حصلت عليها عشائر المخزن هو حصولها على إقطاعات تشتمل على مراعي واسعة لممارسة تربية الحيوانات (2) ، وأراضي زراعية شاسعة لزراعتها ، هذا مع تمكين زعمائها من حق ملكية منازل بقسنطينة وذلك حتى يبقوا على صلة بالجهاز الإدارى لبايلك الشرق ،

---

(1) COLLOT (C.) , Les institutions de l'Algérie durant la période coloniale. (1830 - 1962) . Editions du C . N . R . S . Paris . O . P . U . Alger . 1987 . Centre de recherches et d'études sur les sociétés Méditerranéennes . P . 30 .

(2) G A I D , Chronique ... P . 140 .

هذا بالإضافة الى إعفائها من الضرائب الطارئة و الإلتزامات المخزنية المختلفة ما عدا العشور و الزكاة الملزمة نظرا لكونهما مطلبا شرعيا ، يتوجب دفعه لخزينة مال المسلمين [1].

و تعود أصول هذا النوع من العناصر المسلحة المتعاونة مع البايليك الى تقاليد إسلامية قديمة تطورت في العهد الموحدي و الزياني و أدخل عليها البايات تنظيمات محلية حتى تؤدي مهمتها على أحسن وجه ، فقد أختيرت من عناصر سكانية ليست لها صلة بالمناطق التي أقيمت بها حتى لا تشكل " أحلافا محلية تحول دون أداء واجباتها العسكرية " و حتى تبقى " شريحة إجتماعية تشد الحاكم بالمحكوم و تخدم مصالح الفئة الحاكمة من الاتراك على حساب غالبية سكان الارياف من جماعات الرعية " [2].

هذا و تختلف عشائر المخزن حسب قوتها الحربية وعدد الفرسان الذين تستطيع أن تجندهم في المحلات ، وقد استطاعت المجموعات الرئيسية منها كالزمول ، جنوب قسنطينة و الدواوير بالجنوب الشرقي أن يصل عدد فرسانها الى ألف فارس يشارك مع محلة الباي أو الاغا العسكرية أثناء قيامها بجمع الضرائب ، وقد كان على رأسها في عهد أحمد باي أحد الفرسان المقربين الى ديوان الباي ، وهو مصطفى بن محمد [3] الذي

---

(1) EMERIT (M.) , " Les tribus privilégiées en Algérie dans la première moitié du 19 ème siècle " , Article paru in : Annales Economies, sociétés, civilisations. N° 1. Janv. Fév.1966. P. 49 .

(2) سعيدوني (ناصرالدين) ، "وضعية عشائر المخزن الاجتماعية والآثار التي ترتبت عليها" المجلة التاريخية المغربية، عدد خاص، عدد 7 و 8 ، جانفي 1977، ص. 76.

(3) TEMIMI , op . cit . P . 69 .

يقوم بالإشراف على فرق عسكرية خاصة من فرسان المخزن، تعرف برجال القوم، يساعدونه في مراقبة ما لا يقل عن 39 قبيلة، كما كان لإبن الحملاوي، مساعد الباي إشراف على جماعات أخرى من فرسان المخزن، على رأسها حوالي ثلاثين شاوشا، و هذا مما زاد من مكانته وسمح له بصلاحيات واسعة بالجهات القريبة من قسنطينة.

هذا وقد اكتسبت عشائر المخزن، المعروفة بالزمول والدواير، مكانة خاصة نظرا للمهام الموكلة لها و الخدمات التي تقوم بها [(1)]، فالزمول أقرت في سهول عين مليلة، على الطريق الرابط بين قسنطينة وبين الأوراس و الزيبان، وأقطعت من طرف صالح باي، مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية، قدرت بحوالي 4.000 هكتار، وقد أمكن لهما أن تجند لفائدة البايليك ما لا يقل عن 500 فارس، كان يشرف عليها أثناء حكم أحمد باي، ما بين 10 و 15 شاوشا ونصب عليها بعض الأقوات، كما اشتهر بعض قادتها بأسلوبهم الحربي وكفاءتهم القتالية مثل القائد كرميش الذي أوقع العقاب بجهات بلزمة و ألحق بأولاد سلطان خاصة خسائر جسيمة، كما حدّ من تطلعات قبائل البرانية التي حوّلت بعد إخضاعها الى جماعات " الرعية "[(2)].

---

(1) B E R Q U E (J .), op. cit. PP. 34 - 35 .

(2) F E R A U D , " Notes sur les Tribus de la province de Constantine : Les Z'mouls ... " PP. 43 et S .

— تقطن قبائل الزمول على مساحة تتربع على 4.000 هكتار، تميزت بخصوبتها، لمزيد من الإيضاح راجع : ADDI ; op. cit. ... P. 25 .

أما الدوائر، فهي الأخرى، أقطعت بمواطن الحراكتة، بنواحي عين البيضاء، أراضي زراعية ومراعي واسعة، وأصبح لها نفوذ على سكان تلك الجهات، بعد أن أمكن لها تجنيد ما لا يقل عن 1.000 فارس، يشرف عليهم ما بين 20 و 30 شاوشا، كما كان ينزل عندها خليفة الباي " الملقب بقائد الحراكتة " أثناء ممارسة لمهامه الإدارية سوء لقاء لكون مقر إقامته الدائم بمركز البايليك " قسنطينة "، حيث يسهل الإتصال به وتقسيم التوجيهات له من طرف موظفي البايليك.

هذا وقد نتج عن نشاط هذا الصنف من السكان، وهم عشائر المخزن بأرياف قسنطينة أوضاع خاصة تتلخص في النقاط التالية:

— أصبحت سلطة البايليك تعتمد أساسا في الأرياف على مدى توطد قوة وفاعلية عشائر المخزن، فقد كانت " فرق فرسان المخزن العمود الفقري للحملات التأديبية ضد المتمردين الثائرين"[1]، كما كانت تشكل طلائع الحملات الفصلية التي تنطلق من مركز البايليك في فصلي الربيع والخريف لجمع الضرائب والتي تشارك فيها فرق الجيش النظامي.

— أصبحت العلاقة بين سلطة البايليك وغالبية سكان الأرياف، وهم جماعات الرعية، علاقة استغلال وخوف بفعل الصلاحيات المخولة

---

(1) سعيدوني (ن.)، " دور قبائل المخزن في تدعيم الحكم التركي بالجزائر"، المجلة التاريخية المغربية، عدد خاص، تكريما للأستاذ مرسال أمري Marcel Emerit، عدد 7 و 8، جانفي / يناير 1977، تونس، ص. 49.

لعشائر المخزن ، وهذا ما دفع بعض الكتاب مثل رين (RINN) الى هذا القول بأنها : " علاقة الآكلين بالمأكولين " [1] .

— أرتبط إمتداد نفوذ البايليك بالجهات النائية بأستقرار عشائر المخزن ، مثل جهات تبسة التي أصبحت خاضعة لمركز البايليك منذ منتصف القرن السابع عشر (1650) بعد أن أقر بنواحيها مجموعة من فرسان المخزن [2] ، يقوم على خدمتهم بعض جماعات الرعية بتلك الناحية ، وبذلك أصبحت أرياف قسنطينة تنقسم الى أراضي بلاد المخزن التي يعيش عليها جماعات الرعية الخاضعة و " بلاد السيبة " التي تقسم عليها القبائل الممتنعة التي رفضت دفع الضرائب المفروضة عليها [3] .

— وفرّ البايليك بفضل الامتيازات التي منحها لعشائر المخزن والصلاحيات التي أقرها لهم ، مصاريف اضافية ونفقات كبيرة كان يمكن أن تؤثر على خزينة البايليك في حالة الاستغناء عن فرسان المخزن والإلتجاء الى الى إقرار حاميات عسكرية بالأرياف أو تنصيب موظفين بها ، فقد اكتفى فرسان المخزن بثلث الغنائم التي يحصلون عليها في الحملات التي يشاركون فيها [4] وبعض التشجيعات عند الاستظهار برؤوس القتلى من

---

(1) RINN (L.) , op . cit ... P. 124 .

(2) EMERIT (M.), Les Tribus privilégiées ... P. 48 .

(3) — LACOSTE (Y.), " Unité et diversité du Tiers-Monde. Rapports plaine-montagne en grande Kabylie ", in Revue Herodote, Paris 1981. Ed. F. Maspero. P. 134 et S.

(4) كان نصيب قائد المحلة في الغالب يقدر بـ $\frac{2}{8}$ الغنائم ، راجع : -GOURGEOT, op. cit. P. 74.

رجال القبائل المتمردة أو إحضار أسلحتهم ، فقد خصصت لكل فارس من فرسان المخزن 10 ريالات (حوالي 20 ف) عن أي بندقية يغتنمها و 30 ريالا (حوالي 60 ف) عن كل رأس عدو يستظهر به [1] ، مع توفير بعض أفراد و المؤونة في حالة إنتقال الفارس بعيدا عن مواطن عشيرته أثناء الحملات الفصلية . مع غض الطرق على ما يحصل عليه شيوخ قبائل المخزن من جماعات الرعية وهي في الغالب عشر ما تدفعه هذه الجماعات للبايليك .

— ارتبطت إمتيازات عشائر المخزن بالخدمات التي كانت تقدمها ، ففي حالة عدم الوفاء بالمهام الموكلة لأي عشيرة منها ، كان البايليك يبادر بتجريدها من حقوقها و ينزع الأراضي الزراعية منها و حرمانها من المراعي ، بل و تحويلها إن أمكن له ذلك الى مرتبة جماعات الرعية[2] ، و هذا ما يجعل عشائر المخزن تشكيلات اجتماعية ذات صبغة فلاحية و مهام ادارية و خدمات عسكرية و ليست مجموعات بشرية ذات أصول و روابط اجتماعية متعارف عليها ، و بالتالي ، فهي "كيانات اجتماعية إصطناعية"[3] ، ظرفية ، يعتمد وجودها و قوتها على نوعية الخدمات التي تحرزها و المهام التي تقوم بها .

وقد تحكمت مهامها العسكرية في توزيعها ، فقد أقرت بالقرب من الأماكن الاستراتيجية و مراكز الحاميات و بالقرب من الطرق الرئيسية

---

(1) سعيدوني ، النظام المالي ... ص. 124 .

(2) A. M. G. H. 235. Copie de l'organisation des cavaliers du MAKHZEN de la province de Constantine.

(3) سعيدوني ، وضعية عشائر المخزن ...

وبجانب محطات توقف القوافل " القوناق "(1) KONAQ ، فمثلا أقر مخزن أولاد ابراهيم عند ممر الكنستور ، بين سطورة وقسنطينة ومخزن الزناتية عند ممر رأس العقبة بين قالمة وقسنطينة (2) ، كما نصبت مجموعات من فرسان المخزن عند المحطات الرئيسية " قوناقات " على طريق قسنطينة الجزائر ، عند بئر البقرات وذراع الطبال والكاروب وسطيف وتاغزوت وسيدى مبارك وذراع الحمار ومجانة وبني منصور وسوق حمزة وبني هني ، وقد كان الإشراف على هذه المحطات من إختصاص مجموعة من الشيوخ المكلفين بأ ويستثن القوافل والمسافرين (3) . أما عند حدود القبائل القوية ، فنصبت مجموعات من فرسان المخزن القوية مثل مخزن بن دايخة الذى يراقب تحركات أولاد سلطان بنواحي بلزمة ومخزن الاعشاش الذى يقوم بحراسة الجهات الجنوبية المعرضة لتحركات القبائل الصحراوية ، وهناك مجموعات من عشائر المخزن التي نصبت في وسط الأراضي الزراعية التي توفر كميات كبيرة من الحبوب ، مثل مخزن دائرة الواد في سهول واد بوصلبة بين عين الخشبة وجميلة ومخزن قرفة بوادى الزناتي ومخزن السرة أو الصراوية ، جنوب ميلة ، حيث اشتهرت تلك الأراضي الزراعية بأنتاجها الوافر من الحبوب ، وفضلا من ذلك ، فإنّ عشائر المخزن ، كان لها وجود في أوساط المجتمعات الريفية التي لم تتمكن سلطة البايليك الوصول اليها وإخضاعها ، حيث بقيت القبائل القاطنة بالمرتفعات الجبلية ونواحي الصحراء ، كإمارة توقرت ، في حالة

---

(1) القوناق ، KONAQ : محطة مؤلفة من خيام قبائل المخزن ، مهيئة لاستقبال القوافل وتقديم المأوى لفرق المحلة الفصلية التي تحمل الضرائب أو تجوب البوادى ، راجع :
RINN ; op. cit.. P. 133 .

(2) سعيدوني ، دور قبائل المخزن ... ص. 57 .

(3) GAID , chronique ... P. 140 .

إمتناع عن الخضوع للنظام الضرائبي المفروض عليها، و هذا ما جعل مهمة فرسان المخزن القريبة منها تتركز على الحدّ من تمردها و ربطها بسلطة البايليك مما يجعل عشائر المخزن بمثابة همزة الوصل بين البايات و الممتنعين في هذه الجهات [1] .

3 — قبائل ممتنعة عن سلطة البايليك :

بالنواحي الجبلية و الصحراوية أو الجهات النائية مثل مناطق الشمال القسنطيني و جهات جبال البابور و الأوراس و نواحي الصحراء، و هذا النوع من السكان الذي يشكل قوى إجتماعية بالوسط الريفي ، غالبا ما يتم تعامل البايليك معه عن طريق العائلات المتنفذة و شيوخ الزوايا والمرابطين الذين يكوّنون ما يعرف بجماعة " الجواد " ، و هي في الواقع شبه إقطاعية محلية [2] تستمد نفوذها من أصولها الشريفة و مكانتها المميّزة في أوساط القبائل و من تأثيرها على أهل الرأي و المشورة من رجال هذه القبائل ، كما تعتمد هذه العائلات أيضا ، في فرض كلمتها ، على ما تمتلكه من الأراضي الزراعية الواسعة و ما تتوفر عليه من الثروات الكبرى من قطعان المواشي و المحاصيل الزراعية و على من ينتسب اليها أو يقوم بخدمتها أو رعايتها من الأعوان و الأتباع و المناصرين لها، و لهذا تشكل في واقع الأمر حلقة وصل

---

(1) كروزية (موريس)، تاريخ الحضارات العام، القرن الثامن عشر، المجلد الخامس، تعريب يوسف أسعد داغر، منشورات عويدات ، بيروت 1968 ، ص. 314 .
لمزيد من الايضاح حول قبائل المخزن راجع:

— BOUABBA (Yamilé), Les Turcs au Maghreb central du 16ème siècle au 19ème siècle. Collection "pour tous". S.N.E.D.Alger.1972. P.30.

(2) A D D I (L.) , op . cit . P. 25 .

وسيلة إتصال بين القبائل المتمنعة عن سلطة البايليك و التحكم المركزي لبايليك قسنطينة .

هذا وقد تميز هذا الصنف من سكان الأرياف بإمتناعه عن دفع الضرائب أو التسليم بسلطة البايليك [1] ،وهذا ما أدى الى العديد من حركات التمرد و العصيان ، و دفع البايليك في بعض الأحيان الى تجريد الحملات وشن الغارات المفاجئة لاسيما عندما تصبح طرق المواصلات مقطوعة و أماكن إستقرار قبائل المخزن مهددة ،وقد أدت هذه العلاقة المتوترة الى كره عميق من طرف السكان لسلطة البايليك ،و دفع العديد من شيوخ هذه القبائل الممتنعة الى النفور وعدم التعاون مع ممثلي السلطة المركزية بقسنطينة رداً على الطرق التعسفية و الوسائل الحربية التي تعرضوا لها من طرف فرق المحلة [2].

---

(1) G A I D (M.) , L'Algérie sous les Turcs. Alger. Maison Tunisienne de l'Edition . S . N . E . D . 1974. P. 203 et S.

(2) يلاحظ أوجه التشابه بين المجموعات السكنية المستقلة الجزائرية و المجموعات السكنية التونسية التي تميزت بنسبة هامة منها باستقلالها عن سلطة البايليك ،لمزيد من الايضاح راجع:

— B A C H R O U H (T.) , " Sur la fiscalité Muradite : Présentation d'une source et des premiers résultats en cours " , in " les cahiers de Tunisie " . T. XX . Nº 79/80 . 1 9 7 2 . P P . 1 2 7 - 1 2 8 .

وقد ساعد سكان هذه الجهات على الإمتناع عن سلطة البايليك صعوبة مواطنهما ومناعتها الطبيعية وبعدها على مراكز الحاميات ومواطن فرسان المخزن مثل مناطق البابور والصومام وشمال قسنطينة والأوراس ووادى ريغ وسوف [1].

وقد اضطر البايليك، للحد من عداء هذه القبائل، الى التعامل مباشرة مع بعض الشيوخ والمرابطين والعائلات المتنفذة بها واعتبارهم بمثابة الوسيط بينه وبين هؤلاء السكان الممتنعين، وقد مكنتهم هذه المكانة من الحد من عداوة السكان والمحافظة في بعض الأحيان على نفوذ شكلي غير مباشر للبايليك، وهذا ما دفع بعض الكتاب الى القول بأن نفوذ البايليك في واقع الأمر، لا يتعدى أجزاء محدودة من الشرق الجزائري، شأنه في ذلك، شأن بقية البلاد الجزائرية التي قدرت مساحة المناطق الممتنعة منها بما لا يقل عن 000 000 .35 هكتارا [2] ، وهي تشكل حوالي خمسة أسداس ($\frac{5}{6}$) الجزائر الشمالية التي يتشكل منها البايليكات الثلاث: قسنطينة والتطرى ووهران، هذا ومن أهم هذه القبائل الممتنعة أوالمستقلة عن الحكم التركي، نذكر على سبيل المثال قبائل فرجيوة وزواغة التي رفضت دفع ضريبة الغرامة [3] .

وقبائل القرقور والبابور ومجانة حيث حافظ شيوخ أولاد مقران على نفوذهم بتدعيم من البايليك الذي قدم لهم سوياء ترضيات تتألف من مجموعة

---

(1) AGERON (Ch.R.), Histoire de l'Algérie contemporaine (1830-1970). PUF. Que sais-je ? Le point des connaissances actuelles. Quatrième Edition. Mise à jour. Paris 1970. P. 7 .
(2) R I N N , op. cit. P. 125 .
(3) TURIN (Yvonne), Affrontements culturels dans l'Algérie coloniale. Ecoles - Médecins - Religions . (1830 - 1880) ; Librairie François Maspéro. 1971. 2ème Edition ENAL. Alger. 1983 . P . 412 .

هامة من الأبقار و الأغنام المخصصة لدفع ضريبة الدنوش ، و ذلك لكي يتمكن حاملو دنوش الجزائر من مواصلة طريقهم بأمن ، وعبور منطقة البيبان و ذراع الأحمر حيث اعتاد سكان هذه المناطق مهاجمة القوافل الرابطة بين الجزائر و قسنطينة(1) .

هذا وقد ألتجأ البايليك ، عند فشل مثل هذه الأساليب ، الى إستعمال القوة العسكرية للحدّ من تحرّك وعداء القبائل الممتنعة ، وقد أشتهر أغلب البايات بشن العديد من الحملات لإرغام القبائل المستقلة أو الممتنعة الى دفع الضرائب و الإعتراف بسلطة البايليك ، ومن أهم هذه الحملات نذكر :

1 — حملات صالح باي :

لإخضاع القبائل الصحراوية بنواحي وادى ريغ خاصة سنة 1788، حيث أمكن له بفضل قوة مؤلفة من حوالي 3.000 من المشاة و 1.000 من الفرسان ، من مهاجمة بني جلاب بتوقرت ، وبعد أن حاصرتهم ثلاثة أسابيع وقطع بعض نخيلهم حتى أضطروا للخضوع ، وقد تمكن من الحصول على 300.000 ريال بسيطة وعدد من العبيد و الخيل ، بعد أن تعهد له زعيم الأسرة ، فرحات بن جلاّب بعدم الخروج عن طاعته والإلتزام بخدمته (2) ، كما شنّ صالح باى حملة على بني عبّاس (1772) بنواحي

(1) G A I D , Chronique ... P. 135 .

(2) MANTRAN (M.R.), " Algérie Turque et Sahara ", in " le Sahara : rapports et contacts humains ", communication présentée au 7e colloque d'Histoire organisé par la Faculté des Lettres d'Aix .

البيبان وجهات القرقور ووادى الحمام ، وكذلك نظم غارات مفاجئة على جهات الحضنة للإيقاع بأولاد نائل (1771) وبسط نفوذه على المسيلة وبوسعادة ، هذا في الوقت الذى عانت من هجماته قبائل الهضاب العليا " أولاد عمور " القاطنة قرب مدينة باتنة ، بقرية النميلة ، والسغنية بمنطقة بخناق وتاشوداء حيث تمّ إتلاف محاصيل هذه المناطق وقتل سكانها من طرف فرق المحلة وقبائل المخزن والزمول ، وقد جردت قبائل السغنية من ممتلكاتهم ، وقتل نتيجة لهذه الحملات المجرّدة ضدها 35 رجلا ومجموعة هامة من النساء والأطفال ، وهذا ما اضطرها الى مغادرة أراضيها ، فتشتتت سكانها الذين يقدرون بـ 210 خيمة ، أى حوالي 1.260 نسمة ، لجأت مجموعة منهم الى قسنطينة[1] ، وتفرّق الآخرون بين القبائل الأخرى.

كما عرفت مناطق ورقلة هي الأخرى حملة شنها صالح باى في آخرعهده سنة 1791 ، وقد تمكنت أثناءها المحلة من الإستحواذ على غنائم معتبرة ، وقبل أن يعود صالح باى الى مقره بقسنطينة بعدما كلّف الباشسيار الحاج مسعود بن زكرى ، بالإتصال بسكان الصحراء لإعطائهم الأمان وإقرار حالة السلم بالمنطقة[2] .

En. provence. Publications des Annales de la Fac. des Let- ...== tres. La pensée Universitaire. Aix. En. provence. P P . 64 - 72 .

(1) A . M . G . H. 2 2 8 ; Rapport op . cit .

(2) للتعرّف على حملات صالح باى ، راجع :

— G A I D , Chronique ... P . 44 .

— A . M . G . H. 2 2 7 , Rapport op . cit .

— F E R A U D , Le Sahara de Constantine .... P P . 65 et S.

2 – حملات الباي مصطفى بن سليمان الوزناجي :

أضرّت بقبائل منطقة القالة و زرد ازة سنة 1794 الذين فقدوا قطعانهم و قبائل زمورة و الحراكتة الذين تمكنت المحلة من الإستيلاء على مواشيهم سنة 1797 ، و أضرت غاراته المفاجئة بقبائل الأوراس الأخرى وهم : أولاد سعيد و أولاد موسى و الأعشاش ، إلاّ أنّ قبائل أولاد بوعون تمكنت من إلحاق الهزيمة بهذا الباي المستبّد ، بعد أن تحصنت بجبل مستاوة بمنطقة بلزمة و تصدت لهجماته المتكرّرة[1].

3 – حملة انجليز باي :

ضد أولاد علي بن يحيى و الحنانشة بقيادة قائد الزمول ، سي عمر بن شريف سنة 1797 ، قتل أثناء هذه الحملة قائد الحنانشة[2].

4 – حملة عثمان باي :

ضد النمامشة ثمّ ضد سكان الشمال القسنطيني الذين تزعمهم ضد الباي بلبيك الشريف بن الأحرش الذى هاجم قسنطينة و تمكن من القضاء على الباي و محلته بنواحي النمليلة سنة 1804 .

---

(1) للتعرّف على حملات مصطفى الوزناجي راجع :
— VAYSSETTES, Histoire des derniers Beys de Constantine..PP.58 et S.
— FERAUD, Notes Historiques sur les Tribus de la province de Constantine. PP.55 et S.
— G A I D , Chronique ... P. 49.

(2) FERAUD (L. Ch.), Tribus de la province de Constantine : Impôts

5 — حملة الباي أحمد الطوبال :

ضد السقنية سنة 1808 ليفرض عليها دفع الضرائب التي أمتنعت عن تسديدها .

6 — حملة نعمان باي :

ضد سكان المسيلة وقبائل الحضنة سنة 1811 .

7 — حملات إبراهيم باي القريتلي :

ضد النمامشة الذين غنم منهم 60.000 رأس غنم ، والعمامرة وبني وجانة بالأوراس الذين كبدوا الحملة خسائر جسيمة مما أضطرها الى الإنسحاب (1) .

8 — حملات محمّد تشاكر باي :

بلغ عددها 100 غارة في ظرف أربع سنوات شملت أغلب جهات بايليك قسنطينة ، حيث تعرض السكان للمصادرة ونزع الأراضي التي يعيشون عليها ، فأمتدت الى مواطن بوربان سنة 1815 وأولاد عبد السلام والقدوز

...xxx et Mehallés P P . 41 - 42 .

(1) نور (ص .) ، نفس المرجع ، ص . 146 الى 148 .

المتسببين الى أولاد مقسران بنواحي سطيف ،وكذلك الى جهات أولاد عبد النور وأولاد سعيد بن سلامة سنة 1816 و أولاد درّاج وأولاد سيدى عبيد بالنمامشة سنة 1817 ،وسكان جهات مستاوة سنة 1818 ،وقد تكبدت أثناءها فرق المحلة وفرسان المخزن بعض الهزائم على يد أولاد سيدى عبيد و أولاد درّاج ،حيث أسر العديد من الجند وقتل الكثير من فرسان المخزن ،وشيوخهم مثل مصطفى الأحرش الباشسراج ومحمد زسورى و حمادى بن عون و حفص بن عون وغيرهم[1]، ولم تتمكن المحلة من العودة الى قسنطينة إلاّ بعد أن تعهدت بالكف على أيّ هجوم أو حملة على مواطن تلك القبائل .

9 — حملات أحمد باى المملوك :

أستهدفت بني جلاب بتوقرت سنتي 1818 — 1821 حيث أنتقم من سكانها بإتلاف 200 نخلة وتغريمهم بـ 10.000 ريال بوجو[2] و الإستيلاء على العديد من قطعان المواشي و الجمال ،كما تعرض وادى سوف لهجوم المحلة سنة 1822، حيث تمكن الباى من الحصول على غرامة قدرت ما بين 40.000 و 50.000 بوجوه هذا في الوقت الذى حرص فيه هذا الباى على توجيه حملاته نحو الجهات الجبلية من البايليك ،حيث تعرّض السكان الى مداهمات المحلة بساحل البابور وبوسلام و مواطن أولاد سيدى أحمد و السقنية وريغة و النمامشة و الحنانشة و الحمامرة بالأوراس حيث تكبدت المحلة هزيمة كبيرة على يد رجال هذه القبيلة سنة 1822[3].

---

(1) G A I D , Chronique ... P . 74 .

(2) سعيدوني ، الجزائر في التاريخ : الجانب الاقتصادى و الاجتماعي من تاريخ الجزائر أثناء العهد العثماني ... ص. 38 .

(3) F E R A U D , Le Sahara ... P P . 65 et 8 .

10 — حملات محمد باي الميلي وإبراهيم باي الغربي :

شملت جهات عديدة من بايليك الشرق ، أهمها منطقة الزيبان حيث تقيم أولاد أورلال الذين ألحقوا الهزيمة بمحلة الباي محمد الميلي سنة 1819 ، مما اضطر الى تجديد الهجوم عليهم وإيقاع العقاب بهم (1) ، ومنطقة النمامشة التي غنم منها إبراهيم باي مالا يقل عن 4.000 رأس من الغنم سنة 1822 .

11 — حملات مناماي باي :

ضد سكان صدراتة الشراقة بالجهات الواقعة بين قالمة وسوق أهراس وضد أولاد دراج وأولاد نائل ، وقد تكبدت أثناء ذلك فرق المحلة هزائم قاسية ، أضعفت قوة البايليك وأنقصت من هيبته (2) .

12 — حملات الحاج أحمد باي :

أستهدفت في أغلبها إسترجاع النظام وإعادة الهدوء الى ربوع بايليك الشرق ، أهمها تلك التي شارك فيها يحي آغا من الجزائر و القائدين بن عيسى وبلبجاوي (3) ، خليفتي الباي وشيخ العرب بن قانة ، وشيخ أولاد مقران بمجانة ، ومن هذه الحملات نذكر على سبيل المثال ،

---

(1) VAYSSETTES , Histoire des derniers Beys ... P. 86.
(2) G A I D , Chronique ... PP. 88 - 89.
(3) Idem , PP. 90 - 91.

مهاجمة قبائل زين بن يوسف ، بمنطقة الدير بنواحي تبسة سنة 1827 و مهاجمة الحنانشة و العمامرة و أولاد مسعود و أولاد يحي بن طالب سنة 1827 و مهاجمة نواحي سطيف و المسيلة و أولاد عبد النور و أولاد سعيد و السقنية سنة 1834 وقد تمكن الحاج أحمد باي من الحصول في إحدى حملاته ، في أوائل شهر سبتمبر سنة 1827 ، على قبائل الحنانشة و أولاد سيد الشيخ و أولاد مسعود من مصادرة 1.260 بقرة و 810. 1 خروف و عدد كبير من الخيول (1) .

بهذه الأمثلة ، نكون قد تعرضنا الى أهم الحملات التي جردها البايات و التي اضطرت بسببها بعض القبائل الممتنعة الى تسديد الضرائب المفروضة عليها حتى تسلم من البطش و النهب من طرف فرق اليولداش و فرسان المخزن ، و هذا لا ينفي الإقرار بأن بعض البايات ، رغم هذه الأساليب ، فقد اشتهروا بعدلهم و إنصافهم في تعاملهم مع مجتمعات الأرياف .

هذا وقد كان الإلتجاء عند الضرورة الى أساليب الإحتيال و الخديعة للإيقاع بالثائرين و القضاء على المعارضين من زعماء القبائل بالأرياف ، عندما لا تنجح الحملات و الغارات المفاجئة و عندما لا تسفر سياسة تشجيع الصف و تدعيم التنافس القبلي عن أي نتيجة ، و غالبا ما تنفذ مثل هذه الأساليب و الحيل المعتمدة على تدبير المكائد و نصب الكمائن ، بطريقة ذكية ، بحيث كان البايات يستدعون من يخشون

---

(1) TEMIMI , op. cit. PP. 52 - 53 .

منهم من زعماء القبائل القوية الى قسنطينة ، ليتم القضاء عليهم بعيدا عن المناصرين و المؤيدين لهم[1] ، مثلما وقع لأولاد مقران البالغ عددهم إثنى عشر فردا على يد تشاكر باى الذى استدعاهم لحضور وليمة في معسكره ، حيث أمكن له القضاء عليهم ولم ينج منهم سوى شخص واحد تمكن من الإفلات و الإلتحاق بمواطن قبيلته التي تعرضت هي بدورها للنهب على يد محلة الباى بعد القضاء على زعمائها[2].

---

(1) بن علي شغيب (محمد المهدى) ، أم الحواضر في الماضي والحاضر، تاريخ مدينة قسنطينة ، مطبعة البعث ، قسنطينة ، الجزائر، 1980 ، ص 145 .

(2) G A I D , Chronique ... P P . 70 - 71 .

لمزيد من الإيضاح حول الحملات الموجهة لاستخلاص الضرائب راجع :

— 15 Mi 52 . Volume 65 : Désignation des personnes pour la mahalla dans toute la régence d' Alger : Relevé des effectifs et des noms . (1 8 2 6) 23 feuillets en Arabe : Microfilm disponible aux A . O . M . à Aix - En. provence .

ب ـ علاقة القوى الإجتماعية بالريف القسنطيني بالسلطة المحلية للبايليك :

إن علاقة القوى الإجتماعية بالريف القسنطيني بالسلطة المحلية للبايليك تتمثل أساسا في التفاعل بين طرفين أو مجموعتين : إحدهما حاكمة و الأخرى محكومة ، إنطلاقا من النظام الضريبي و ما يتصف به من سياسة جبائية و وسائل إستخلاص محددة لمختلف الضرائب و هاتين الجماعتين هما :

ـ الجماعة الحاكمة المستخلصة للضرائب و هي ، بالإضافة الى موظفي البايليك بالأرياف الذين سبقت الإشارة اليهم ، تضم عشائر المخزن و العائلات المتنفذة الكبرى التي يمكن أن تطلق عليهم القوة الإقطاعية المحلية التي كانت تعرف آنذاك بجماعات " الجواد " بالإضافة الى العائلات المرابطية [1] ، و شيوخ الزوايا ، و هؤلاء المستخلصين للضرائب من عشائر المخزن ، و جماعات الجواد اكتسبوا مكانتهم من الخدمات التي كانوا يقومون بها و الثروات التي كانوا

---

(1) لمزيد من الايضاح حول علاقة البايليك بشيوخ الزوايا والمرابطين راجع :

— BOYER (P.), "Contribution à l'étude de la politique religieuse des Turcs dans la Régence d'Alger au XIX^e siècle". In Revue de l'occident musulman et de la Mediterranée. 1966 .

— DAUMAS (E.), Moeurs et coutumes de l'Algérie : une tribu de Marabouts . Editions la bibliothèque arabe : Sindbad, collection l'Histoire décolonisée, Paris 1988 . P P. 235 à 241 .

يمتلكونها ، و التي ساعد على تسوّغها سياسة البايليك المشجعة لحيازة الأراضي الخصبة و المراعي العلائقية و التي عملت على تسخير الفلاحين من جماعات الرعية المعدومين " الخماسون " في خدمة الأراضي التي تمتلكها هذه الجماعة المستخلصة للضرائب ، حتى يتأكد نفوذ هذه القوى الإجتماعية بالأرياف ، فقد حرص البايليك على جعل إمتيازاتها قارة و غير قابلة للتغيير، بحيث أصبحت وراثية في أغلب الأحيان ، فزعماء المخزن و شيوخ الزوايا و رؤساء العائلات الكبرى "الجواد" كانوا يتوارثون ثرواتهم و إمتيازاتهم مقابل إقرار ولاءاتهم الخاصة بالبايليك ، و هذا ما سمح لهم بأن يصبحوا همزة الوصل بين السلطة المركزية بقسنطينة و سكان الأرياف ، لاسيما فيما يتصل بأستخلاص الضرائب و جمع الغرامات و تجنيد الفلاحين (الخماسين) للخدمة في مزارع البايليك " العزل " .

وقد ساعدت هذه الإمتيازات على تأكيد المكانة المعنوية لبعض العائلات صاحبة النفوذ ، المستعدة للتعامل مع موظفي البايليك مثل عائلة المقراني التي كانت تحظى ، زيادة عن الإمتيازات التي كانت لها ، ببعض الهدايا و الترضيات ، مثل تخصيص بعض قطعان الأبقار و الأغنام لها من ضريبة الدنوش الفصلية تقدم لشيوخها مقابل حرصهم على توفير الأمن و الحماية للقوافل الحاملة للدنوش العابرة لمضايق البيبان و ذراع الأحمر في طريقها من قسنطينة نحو الجزائر ، على أنّ هذا الأسلوب لم يكن ناجعا في كثير من الأحيان ، لأنّ بعض هذه الأسر القوية ، ظلت دائما تتحفظ في علاقتها مع البايليك و تعتبر نفسها ، عندما تشعر بأنها قوية ، غير ملزمة بأيّ علاقة مع موظفي البايليك ، مثل قبيلة أولاد ساولة التي لم يستطيع البايات إستمالتها و الحدّ من عداوتها نظرا لشجاعة

و إقدام رجالهـا [1] .

على أنّ هذه السياسة وإن لم يحالفهـا النجاح دائما، إلاّ أنّهـ
بتأكيـد نفـوذ العائـلات التي توارثـت مناصب القيـادات المحـليـ
و شجعتهـا على أن تتحـول الى مشيخـات وراثيـة يتولى أمورهـا شيـ
و زعمـاء بإقرار من البايليـك ، مثل مشيخـة أولاد مقران بمجانـة التي سبـ
الإشارة الى الخدمـات التي تقـوم بهاء وكذلك مشيخـة قصر الطير بمنطـقـ
جبال الحضنـة و مشيخـة بلزمـة و مشيخـة أولاد فاضل و أولاد بلقاسـم و أولا
عـبدي بالأوراس و أولاد عاشـور بفرجيـوة و زواغـة [2] . وقد نستج عن هـذ
العلاقـات الوثيقـة بين السلطـة المحليـة للبايليـك و القوى المتعاملة معهـ
" من مخزن و جواد و مرابطـين " أوضاع إقتصاديـة و إجتماعيـة مميـزة يمكـ
تلخيصهـا في النـقـاط التاليـة :

1 — سمحـت بظهـور روابط متينـة بين موظفـي البايليـك و ممثلي الجماعا
المتنـفذة من الأريـاف و لا سيما العائـلات الكبرى الإقطاعيـة و المرابطيـة
زادها تلاحمـا ، مصاهـرة بعض الأتراك لهذه العائـلات مثل عائلة بن قانـ
التي زاد نفوذها و أمكن لها الوقوف أمام منافسـة بيت بوعكـاز بعد أن تـزو
منها أحمد باي القلي و أصبح ينتسـب اليها عن طريق الخؤولـة ، حفـيـد

---

(1) — S H A W ; Voyage dans la Régence ... P . 3 9 5 .
— R I N N ; op . cit . P . 1 2 5 .

(2) P E R A U D (L. Ch.) , " Marabouts et Djouads " , in R.A.
N° 41 Année 1897 . P P . 1 2 8 - 1 2 9 - 1 4 0 .

آخر بايات قسنطينة و هو الحاج أحمد باي [1] .

2 — ساعدت على تركيز قسم من ثروات الأرياف القسنطينية في أيدي هؤلاء المتعاطين مع البايليك ، وقد تكوّنت هذه الثروات بفضل رعاية البايليك لها بواسطة اجراءات و معاملات مختلفة ، أهمها المشاركة في استخلاص الضرائب و تحصيل المغارم وكذلك التسهيلات المقدمة لها فيما يخصّ الحيازة و المصادرة و الشراء و العطاء ، حتى أصبحت مراكز الزوايا و مقرات شيوخ العائلات الكبرى و رؤوساء فرسان المخزن أشبه بمخازن للثروات و أماكن تجمّع للمحاصيل الزراعية [2].

3 — عملت على مدّ نفوذ البايليك على أقسام شاسعة من الشرق الجزائري، فالعائلات المتنفذة " الجواد [3] " كانت سلطتها تغطي حوالي ثلثي البايليك ، وعن طريقها أمكن مد نفوذ السلطة المركزية على جهات النمامشة و الحراكتة و مجانة و الأوراس و الزيبان و الهضاب العليا، وذلك بفضل مكانة أسر متنفذة مثل بن قانة و بوعكاز و ابن عاشور و أولاد مقران و أولاد بوضياف و أولاد بوعزيز و أولاد عبد النور و الأحرار و أولاد قاسم و ابن جلاب و غيرهم، وقد فرض هذا الوضع على البايات إنتهاج سياسة تقارب و ترضية مع هذه

---

(1) FERAUD (L. Ch.), Le Sahara de Constantine ... PP. 88 - 89 .

(2) BOUKHOBZA (M.), L'Agro-pastoralisme traditionnel en Algérie : de l'ordre tribal au désordre colonial. O.P.U. Alger, 1982. PP.72-73.

للمزيد من الإيضاح حول شيوخ الزوايا و المرابطين راجع :

* R I N N (L.) , Marabout et Khouan . Alger . Adolphe Jourdain . Librairie Editeur . 1884 . Cité par BOUKHOBZA .

(3) F E R A U D (L. Ch.) , " Les Grandes Familles Héréditaires : D J O U A D S ", op . cit . P P . 1 2 8 et S.

العائلات ، وحتى صالح باي وما كان يتوفر عليه من قوة عسكرية ومهارة إدارية ، إضطر هو الآخر الى تكوين تحالفات وتقديم ترضيات لهذه العائلات الكبرى صاحبة النفوذ والكلمة بالأرياف القسنطينية(1) .

4 — ساهمت الى حد كبير في إخماد التمردات والقضاء على الحركات المناهضة للبايليك من طرف سكان الأرياف ، لأنّ مثل هذه الحركات تعتبر إنتقاما من مكانة تلك العائلات ونفوذ تلك الزوايا في نظر مجموع سكان الأرياف ، ولعلّ أحسن دليل على مدى مساهمة المرابطين في إخماد الثورات والحدّ من حركات العصيان ، إضطرار يوسف باشا ، حاكم الجزائر ، الى مراسلة المرابطين بالشرق الجزائري وفي مقدمتهم المرابط محامد بن عيسى ، ليساعدوه على إخماد الثورات التي عجزت عن وضع حدّ لها جيوش البايليك (2) ، وكما التجأ كل من الباي تشاكر وأحمد بن فرحات ، بعد تزايد عداء القبائل ضدهما الى المرابطين ليكونوا في عونهما ومناصرتهما على القضاء على حركات التمرّد مقابل الأموال والهدايا وإصدار مراسيم الإعتراف بمكانتهم ونفوذهم ، وهذا ما جعل الزوايا والأسر الكبيرة طرفا مؤثرا في الأحداث ووسيلة فعّالة في فرض نفوذ البايليك على المناطق النائية ، وإن كان في حقيقته خضوعا شكليا أكثر منه حقيقيا لأنّ العديد من هذه العائلات وشيوخ الزوايا ، كثيرا ما عجزوا عن وضع حدّا لبعض حركات التمرّد والعصيان إلاّ بعد تدخل قوة الحملات وفرق الفرسان لفرض كلمتهم (3) .

---

(1) سعيدوني وبوعبدلي ، الجزائر في التاريخ .... ص. 108 — 109.

(2) NADIR (A.), " Les ordres religieux et la conquête française (1830 - 1851)", in Revue Algérienne des Sciences Juridiques Economiques et Politiques. Vol.IX. N°4. Décembre 1972. P. 822.

(3) COLLOT (C.), op. cit. PP. 25 à 32.

5 — عملت على ربط أرياف الشرق الجزائري بالجهاز الإداري المركزي بمدينة قسنطينة وذلك عن طريق تكوين روابط متينة بين العائلات الحضرية الكبرى بقسنطينة وسكان الأرياف المجاورة لها، ففي إطار الإمتيازات التي منحت لتلك العائلات ، ملكت أراضي زراعية وأعطيت لها صلاحيات إدارية على السكان المقيمين بها، فعائلة بن الفقون مثلا ، أصبح لها نفوذ بالأرياف منذ أواسط القرن الثامن عشر[1] وأصبحت تتصرف في الأراضي التي تقيم عليها قبيلة أولاد جبارة ، كما منح البايات أراضي عرفت (بعزل متاع الجبل) لبعض شيوخ الزوايا أو المرابطين المقيمين بقسنطينة مثل أولاد علي بن تشيكو وأولاد باشتارزي الذين كانوا في أول أمرهم ذوي نفوذ أدبي و مكانة دينية[2] .

6 — عملت علاقة القوى الإجتماعية السائدة بالأرياف القسنطينية على إثقال كاهل جماعات الرعية بالضرائب و المطالب المختلفة ، فخضعوا لتحكم الموظفين وتصرف العائلات صاحبة النفوذ وسخروا لأعمال السخرة المضنية ، حتى " أصبحت حالتهم أشبه بأقنان أوربا بالعصور الوسطى " حسب تعبير رين (RINN) عند تعرضه للجماعات السكانية بالجزائر ، أواخر العهد العثماني[3] .

---

(1) MERCIER (E.) , Constantine au XVIe siècle. Elévation de la Famille El-FEGGOUN. Constantine . Typographie. L. Arnolet . Braham Successeur . 1 8 7 9 . P . 1 5 .

(2) MERAD BOUDIA (A.), La formation Sociale Algérienne pré-coloniale: Essai d'Analyse Théorique. O.P.U. Alger . 1 9 8 0 . P . 3 3 9 .

(3) R I N N (L.) , op . cit . P. 1 4 0 .

7 — عملت على تشجيع بين الصف و إزكاء التنافس القبلي بين العشائر القوية و العائلات صاحبة النفوذ ، و ذلك من أجل حيازة الأراضي و نيل المراعي و مدّ النفوذ على القبائل الصغيرة و الضعيفة، و غالبا ما يأخذ هذا التنافس شكل حروب طويلة و منازعات طاحنة بين الصفوف ،كل صف يضم عدة قبائل ، و هذا ما حال دون اتحاد القبائل القوية و الأعراش الكبيرة ضد سلطة البايليك ، و أبعد تأثيرهم من جماعات الرعية الخاضعة ، و بالفعل كانت روح الصف أكبر عائق في وجه اتحاد السكان ضد ضغط الجهاز الإداري للبايليك ،بل عرقل تكوين أي وحدة محلية قد تطمح في الإستقلال ، فالنزاع بين أحلاف الزيبان و وادي ريغ مثلا تحت زعامة عائلتي بن قانة و بن جلاب[1] سمح بتوسيع نفوذ البايليك نحو الجنوب وكذلك الصراع بين أحلاف بوعكاز و أنصار بن قانة ،منذ عهد صالح باي ،ساعد على فرض هيمنة البايات بالجهات الواقعة الى الجنوب من قسنطينة و الممتدة حتى الزيبان ،بعد أن نجح الباي حسين من تنصيب محمد بلحاج بن قانة في مشيخة العرب و إعطائه الإمتيازات على حساب منافسه بوعكاز ، من قبيلة الذواودة ، الذي كانت المشيخة في أسرته ، و نفس الوضع حدث بالمناطق الشرقية للبايليك عندما ناصر الباي حسين أولاد بوضياف بن شنوف ، بمنطقة الكاف ضد أخيه بوعبد الله الذي كان يتولى أمور القبيلة ، شريطة تأييده لإبن قانة ، فانقسمت القبائل الى أحلاف مؤيدة و معارضة لهذا الإجراء .

---

(1) F E R A U D (L. Ch.) , " Les DJELLAB Sultans de TOUGOURT", in R . A . Nº 31 , Année 1887 . PP. 22 à 43 .

وقد أشار أحمد باي الى هذا الوضع الذى نتج عن الصراع بين القبائل ، نتيجة الأخطاء في الظروف ، في مذكراته ، مذكرا بأنه من طبيعة الحياة البدوية بلا ريب ، و من عوامل الحدّ من عداء الثائرين لسلطة البايليك ، حسب قوله : " أن حالة الحروب هي عادة الإعراب وأن الذى يريد حكمهم قد يتحتم عليه الإبقاء على ذلك ، بل عليه أن يحرص على تشجيع المنافسات بين القبائل المختلفة الأصول و الأجناس ، لأن أوضاع السلم ، تقارب بين العرب و توحدهم حول غرض واحد و هذه الحالة ينبغي أن يطمئن اليها من يريد السيطرة عليهم ، إذ قد تأتي ظروف يتحدّ فيها هؤلاء الرجال كالإخوة ، فيجدون أنفسهم متهيئين للقيام بالثورة ، و بالعكس إذا وجدت الحرب و العداوة بينهم ، يختفي ذلك ، و لهذا فإنّ من يريد حكمهم يكون دائما متأكدا من إيجاد الأنصار له بينهم " (1) .

8 — إرتبطت الضرائب في بعض الحالات بإجراءات عسكرية خاصة تتمثل في تنظيم الحملات لاستخلاص الضرائب و إرغام السكان على تقديم عروض الطاعة و الخضوع ، و قد شاركت في هذه الحملات التي عرفت بالمحلات فرق الزواوة من المتطوعين من بلاد القبائل وفرسان المخزن الذين سبقت الإشارة اليهم بالإضافة الى فرق الجيش النظامى " اليولداش " المكوّنة أساسا من الأتراك و الكراغلة التي كانت موزعة

---

(1) Ahmed (Bey.) , " Les Mémoires d'Ahmed Bey , dernier Bey de Constantine " , in R . A . N° 93 - 94 , Année 1940 - 1950. Edité et commenté par M. Emerit. PP . 88 - 89 . بتصرّف

ببايليك الشرق على 22 صفوة " نوبة " تتألف من مجموع أفرادها 333 رجلا سنة 1829 تقسم بين البايليك (بقسنطينة وعنابة وبسكرة وبجاية وتبسة وجيجل)[1] و هذا ما يجعل مجموع أفراد المحلة في بعض الأحيان يقدر بـ 4.500 رجلا من يولداش و مشاة زواوة وفرسان المخزن و إن كان في الغالب لا يتجاوز 1.500 رجل.

و بالفعل كان لهذه الحملات (المحلات) التي ساهمت في العديد من الغارات و الهجمات التي سبقت الإشارة إليها تأثير كبير على نوعية علاقة القوى الاجتماعية بالبايليك لأنها إجراء حربي يساعد على تأكيد مكانة المتعاونين مع البايليك و إشعار السكان بقوة السلطة المركزية ، وتطبيق تعليمات البايات فيما يخص الجبايات والمغارم من مناطق يصعب إستخلاص أي مطلب جبائي منها.

كل هذه الأوضاع الاقتصادية و العلاقات الاجتماعية المميزة التي نتجت عن طبيعة علاقة القوى الاجتماعية بالأرياف القسنطينية ، فرضت على القوى الاجتماعية أن تسعى للحصول على تأكيد دورها بالأرياف ، بالحصول على مراسم التولية و رسائل التشجيع من البايات في شكل فرمانات تولية و إقرار[2] ، و ذلك حتى تكسب شرعية على نظر السكان.

---

(1) راجع دفتر التشريفات :

— DEVOULX (M.), TACHRIFFAT, Recueil de Notices Historiques sur l'Administration de l'Ancienne Régence d'Alger. Alger 1 8 5 3.

(2) سعيدوني ، الجزائر في التاريخ ... ص . 109 .

— COLLOT; op.cit. P.25.

و تحافظ على مكانتها المتميّزة ، و ذلك بالبقاء إلى حدّ ما بعيدة عن الحكم المباشر للبايات ، و حتى يمكن لها القيام بدور الوسيط الذى يساهم في تقديم خدمات و يحضى بالإمتيازات مثل مرابطي أولاد عزام الذين ساهموا في إخضاع الحنانشة و الذواودة ، مقابل إسقاط اللزمة عنهم[1] ، و هذا ما يعطي لعلاقة القوى الاجتماعية بالسلطة المحلية طابع التنظيم الإقطاعي ، المعتمد في أساسه على العائلات الكبرى صاحبة الإمتيازات و الصلاحيات الواسعة على حساب التجمعات الريفية الخاضعة والمراقبة من طرف فرسان المخزن و المعرّضة لهجمات المحلات والتي تخضع لرجال القبائل صاحبة النفوذ مثل الذواودة الذين يشكلون قوة فعّالية لهذه العائلات المتنفذة و في مقدمتها ابن قانة و بوعكّاز و بن عبد السلام و المقراني[2] ، و هذا ما سمح لأحد الدارسين للأوضاع الاجتماعية القول بأنّ طبيعة العلاقة الاجتماعية بالأرياف ، جعلت القوى المنتجة بالأرياف المتمثلة في الفلاحين المعدمين " الخماسين " و الرعاة ، تقع تحت ضغط نظام إداري و جبائي لا يخدم سوى مصالح السلطة المركزية للبايليك و لا يرضي سوى المتعاملين المحليين من العائلات المتنفذة ، ذات الأصول النبيلة و التي تتولى الخدمات العسكرية و تقوم بالوظائف الدينية التي أصبحت من إختصاص العديد من العائلات التي أصبحت تجمع بين النفوذ الروحي و السلطة الأدبية مثل أولاد سيدى خليفة و أولاد بن يحي و بن زروق و أولاد حفيف و أولاد سيدى ويس و أولاد سيدى أحمد بن بوزيد و أولاد بلقاضي[3] .

---

(1) G A I D , Chronique ... P. 19 .

(2) A D D I , op. cit. PP. 29 - 30 .

(3) F E R A U D , Tribus de Constantine ... P. 52 .

وهذا ما يسمح لنا بالقول بأن علاقة القوى الاجتماعية بالسلطة العثمانية للبايليك كانت تقسم أساسا على مجموعة من السكان يمثلها زعماء المخزن ورؤساء العائلات الإقطاعية وشيوخ الزوايا، تقوم بجمع الضرائب وتقدم خدمات للبايليك مقابل إمتيازات وتسهيلات، وعلى مجموعة أخرى من السكان تشكلها جماعات الرعية والقبائل الخاضعة المغلوبة عن أمرها، تساهم بالمطالب المالية والضرائب العينية العائدة للبايليك ولمصلحة المجموعة الأولى (1).

---

(1) DAHMANI (B.), Les origines du sous-développement en Algérie, Oran 1981. PP. 84 - 85.

ج — إنعكاس السياسة الجبائية على علاقة البايليك بسكان الأرياف القسنطينية :

تحكم في السياسة الجبائية العلاقة بين السكان والحكام، وتأثرت الى حدّ كبير بنظام المحلة الفصلية التي كانت تجوب مختلف جهات بايليك الشرق، إنطلاقا من قسنطينة في فصلي الربيع و الخريف وبأسلوب الغارات المفاجئة و الهجمات المباغتة التي ما فتئ البايات يشنونها على مختلف القبائل لاسيما من جاهر منها بالعصيان أو أعلن التمرّد، وقد سبق الإشارة الى أهمها عند تعرّضنا في هذا الفصل للوسائل التي التجأ اليها البايليك للحدّ من الانتفاضات وعداء القبائل المستقلة، كما أنّ إنعكاس السياسة الجبائية يظهر لنا بصفة خاصة في رد فعل الأهالي من سكان الأرياف على سياسة بعض الحكّام غير الموفّقة و مواجهة تصرفاتهم الجائرة، وقد تمثل رد الفعل هذا بالخصوص في حركات تمرّد و عصيان ضد المظالم و القهر ورفضا في أغلب الأحيان للمطالب المالية و الضرائب العينية التي كانت تثقل كاهل السكان [1]، وقد أدت هذه الإنتفاضات التي تسبب فيها التطبيق الجائر للسياسة الجبائية الى إنكماش الأرياف و زيادة عزلة سكانها و إبتعادهم عن مركز البايليك بقسنطينة في الوقت الذى نتج عنها أيضا إلحاق خسائر جسيمة و هزائم متكررة أضرت بقوة البايليك و أنقصت من هيبته و حدّت من نفوذه، ومن أهم هذه

---

(1) A.H.G. H. 236 : Province de Constantine : Tribus insurgées .

الإنتفاضات الريفية و حركات التمرّد المحلية حسب الجهات التي عرفتها أو تأثرت بها نذكر ما يلي :

1 — حركات التمرّد بالشمال القسنطيني :

ظل الشمال القسنطيني خارجا عن الحكم المباشر للبايليك نظرا لطبيعته الجبلية و لصعوبة إقرار الحاميات به و تجريد الحملات على عشائره ، لاسيما المنطقة المتاخمة للبحر و الممتدة بين جيجل و القل ، و قد اكتفى البايليك بالتعامل مع العديد من شيوخ القبائل ، و لكن إستقرار الشريف بن الأحرش الدرقاوي[1] في هذه الجهات في مطلع القرن التاسع عشر و دعوته للثورة على البايليك ، أدى الى حدوث ثورة عامة ، شارك فيها حسب بعض الروايات حوالي 100 ألف رجل ضد حكم البايات و سياستهم الجائرة ، تميّزت بزحف الثائرين ، و على رأسهم الشريف بن الأحرش ، على مركز البايليك ، قسنطينة ، سنة 1803 التي لم يستطيعوا الإستيلاء عليها بسبب الحملة التي جرّدها ضدهم الباي عثمان بأمر من داي الجزائر الذي كتب له يحثه على معاقبة الثائرين بقوله : "لقد سمعت بأنّك في قسنطينة و ظهر الشريف على أرضك ، يجب عليك أن تمشي شخصيا لمحاربة هذا المتمرّد و أن تنتقم إنتقاما كبيرا ، لاحقه أينما كان ولا تتهاون ولا تهدأ حتى تقضي عليه ! "[2].

---

(1) F E R A U D (L. Ch.) , "Révolte de CHERIF-BEN-EL-AHRACH" in R . A . N° 57 - Année 1 9 1 3 . P . 2 9 6 .

(2) D O U R N O N (A.), " Kitab Tarikh Qosantina. Attaque de CHERIF-BEN-EL-AHRACH",1804, in R.A. N°57 - Année 1913. P. 277.

وقد تمكن الشريف بن الأحرش ومن معه من الثائرين من قبائل الشمال القسنطيني، وفي مقدمتهم أولاد عيون وبني مسلم وبني خطاب، أولاد درّاج ، أولاد إبراهيم من الإيقاع بالقوة العسكرية التي كان يقودها الباي عثمان بنواحي الميلة عام 1804 [1] حيث لقي الباي عثمان حتفه مع كثير من قواته عندما حاصره رجال القبائل الثائرة في سهل غمرته المياه، لكن هذا الإنتصار لم يحل دون القضاء على ثورة الشريف بن الأحرش والتضييق عليه ليتحوّل الى الناحية الوهرانية، بعدما تحالفت مع سلطات البايليك، عائلة المقراني وبعض رجال الزوايا الذين رأوا فيه منافسا خطيرا للطريقة الرحمانية، لكونه أحد الدعاة النشيطين للطريقة الدرقاوية .

على أنّ هذه الثورة التي تميّزت بحدّتها وإنتشارها بين أغلب سكان الشمال القسنطيني ، تعكس بصدق طابع العداء والتخوّف الذى أصبح يميّز العلاقة بين أهالي الريف في هذه الجهات والجهاز المركزى بقسنطينة، نتيجة السياسة المالية وطريقة رجال البايليك في استخلاص الضرائب [2] .

(1) المبارك، الشيخ الحاج أحمد، تاريخ حاضرة قسنطينة، تصحيح وتعليق نورالدين عبد القادر، الجزائر 1952، ص ص . 13 — 14.

(2) RINN, Histoire de l'insurrection de 1807, cité par BENSLIMANE in " Pouvoir et Société dans l'Algérie précoloniale." Thèse de 3ème cycle . Université Paris V . 1 9 7 2 . P . 2 8 2 .

ورفضهم المطالب المالية المتزايدة في عهد الحاج أحمد باي ، وقد استمرت حالة التمرّد خلال مدة طويلة ولم يوضع حدّ لها إلاّ بتدخل من شيخ العرب بالزيبان ، الحاج محمد بن قانة الذى أقنع شيوخ أولاد عبد النور وحلفائهم من التلاغمة بمهادنة الباي وإبرام عهد أمان يضمن لهم السلام ويحفظ حقوق البايليك ، لكنه ما لبث شيخ العرب ، بمساعدة الباي أحمد أن ، غدر بهم قرب عين سلطان وأوقع العقاب بالتلاغمة وأولاد عبد النور وقتل العديد من رجالهم ، وقد استطاع شيخ أولاد عبد النور المدعو بالعلمي أن يواصل الثورة وأن يتصدى من جديد لقسوة الحاج أحمد وحليفه الحاج محمد بن قانة ، ورغم الخسائر التي تكبدها الثائرون فقد استمرت التمردات ضد سلطة البايليك بمناطق أولاد عبد النور والتلاغمة وانتشرت نحو جهات ريغة وعامر والعلمة (1) .

8 - حركات التمرّد في الأوراس المتاخمة :

إتصفت بالعنف وتميّزت بالخطورة لمناعة المنطقة وشدّة بأس أهلها وتحوّلهم الى حياة الترحل والإنتقال في الجنوب عند كل هجوم يتعرضون له (2) . وقد كان الدافع الرئيسي لثورات سكان منطقة الأوراس هو رفضهم دفع الضرائب وعدم قبولهم بموظفي البايليك وإمتناعهم من التعامل معهم ، ومن أهم هذه التمردات نذكر :

* عصيان سيدي يحي بن سليمان الأوراسي وإبنه أبو عبد الله أحمد :

ظهر هذا العصيان منذ مطلع القرن السابع عشر وألحق خسائر جسيمة بقوات البايليك وانتهى بإستسلام المتمرّد سيدى يحي بن سليمان مما وضع

---

(1) S H A W (Le Docteur) , op . cit . P. 384 .

(2) سعيدوني (ن .) ، الإنسان الأوراسي وبيئته ... ، ص . 135 .

باى المملوك الـذى تمكن من إخضاعهما سنة 1822 .

4 — حركات التمرد بالصحراء الشرقية :

ساعد على تجدد حركات التمرد بمناطق الزيبان و وادى ريغ خاصة ، التنافس القبلي بين الأسر المتنفذة التي كانت لها الزعامة على العشائر الكبرى ، مثل عائلة بن قانة و عائلة بوعكاز و أسرة بن جلاب وفرع الذواودة . هذا وقد أشتهر من حركات التمرد و العصيان بالصحراء القسنطينية :

* محاولة أسرة بن جلاب الإمتناع عن سلطة البايليك في عهد صالح باي : الذى شن حملة عسكرية تعرضت لها توقرت ، مقر هذه الأسرة ، سنة 1788 التي عرف شيوخها لدى سكان الصحراء بسلاطين بني جلاب ، وقد توسع صالح باى في حركته هذه حتى أنتهى الى ورقلة التي ألحقت عمليا ببايليك الشرق .

* تمرد الذواودة : أستمر هذا التمرد حتى جهات الشمال حيث وجدوا في محالفة الحنانشة دعما قويا في وجه البايليك ، وقد أشتهرت هذه القبيلة العربية العتيدة بتحديها لسلطة البايات في نواحي الزيبان منذ وقت طويل ، وقد تمكنت هذه القبيلة في عهد زعيمها شيخ العرب صخرى بن أحمد الذوادى ، من بسط نفوذها على أولاد عزام ونقوسة وبسكرة(1) .

---

(1) F E R A U D (L. Ch.), " Notes relatives à la révolte de Ben -Sakhri ", in : " R.A." Nº 10 . Année 1866 . P. 337 .

و أمتدت سلطتها على جهات الهضاب الشمالية ، فشملت قبيلة ريغة التي عرفت برفضها الإنصياع لدفع الضرائب لموظفي البايليك[1].

* تمرّد زعيم أسرة بوعكاز ، فرحات بن سعيد : دأب على إعلان تمرّده على سلطة البايليك في المناطق الممتدة من توقرت و واد سوف حتى بسكرة ، وقد اتخذ هذا التمرّد طابع التحدى عندما تزعم هذا الثائر القبائل المعادية لزعامة بن قانة ، وقد تدخل الحاج أحمد باي لصالح هذا الاخير، ممّا أدّى بين فرحات بن سعيد الى طلب العون في آخر الامر من الامير عبد القادر و محاولة الإتصال بالفرنسيين .

من خلال هذه الإنتفاضات و حركات التمرّد يتضح لنا أنّ السياسة الجبائية ببايليك قسنطينة بعيدة كل البعد عن تحقيق ما يعرف بالعدالة الإجتماعية و مساواة السكان في ما يطلب منهم من ضرائب و ساهمات ، و هذا ما جعل النظام الضريبي يؤثر مباشرة على الاوضاع الإقتصادية و العلاقات الإجتماعية و يتحكم في مستوى المعيشة والقدرة الإنتاجية لسكان الأرياف ، فقد أدّى الى تقسيم السكان الى صنفين : أحدهما منتفع من هذه السياسة الجبائية و الآخر متضرر، فالاول يتألف من القوة المتنفذة بالأرياف و المتسلطة مع البايليك و التي تقوم بجمع الضرائب و تشكل الواسطة بين غالبية السكان و الجهاز الإدارى للبايليك بقسنطينة و هي تتألف من عشائر المخزن و العائلات الإقطاعية " الجواد " و أسر

---

(1) BERBRUGGER (A.), " Notes relatives à la révolte de Ben - Sakhri ", in : " R.A. " Nª 10. Année 1866 . PP. 350 - 351 .

المرابطين و شيوخ الزوايا التي اكتسبت مع مرور الزمن صبغة روحية ومكانة إجتماعية و حقوقا وراثية و إمتيازات معترف بها من طرف الجميع، تتمثل خاصة في الإعفاء أو التخفيف من الضرائب و إسناد المناصب والمهام ونيل الأراضي و حيازة المراعي ، و ذلك مقابل الحد من عداء السكان وضمان الأمن و الإبقاء على المواصلات و التبادل التجاري و تأمين مرور فرق الحاميات، و هذا بالنسبة للمناطق الصعبة و الجهات النائية (1) و الأقاليم الجبلية، أو القيام بمراقبة الانتاج الزراعي و الحيواني و التكفل بجمع الضرائب واستخلاص المطالب و الحدّ من تحركات السكان ، و هذا في الجهات التي يقيم عليها عشائر المخزن و تقطنها في غالب جماعات الرعية المغلوبة عن أمرهـا .

و الصنف الثاني الذي أفرزته السياسة الجبائية بالأرياف القسنطينية يتشكل من المجموعات الخاضعة أو المختلطة مع البايليك مباشرة عن طريق شيوخها كما هو الحال بالنسبة للقبائل الخاضعة للمشيخات الوراثية أو الملتزمة بخدمة المرابطين و شيوخ الزوايا ، وهذا الصنف الذي تؤلف جماعات الرعية غالبيته هو الذي تقوم عليه الحياة الاقتصادية ويستند عليه النظام الجبائي بمطالبه المختلفة و ضرائبه المتنوعة ، و هذا ما جعل السياسة الجبائية في أساسها تؤثر سلبيا على مستوى المعيشة و قدرة الإنتاج لأنّها لم تهدف الى تحقيق المساواة بين السكان حسب مقدرتهم على أداء الضريبة، و لم ترم الى التشجيع على الانتاج لرفع مقدار ما تتحصل عليه الدولة من الضرائب ، بل أنّها كانت تتعامل مع

---

(1) بلحميسي (مولاى) ، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1979 ، ص 28 .

خلال الواقع الإجتماعي و الإقتصادى الذى أفرز جماعات قابضة للضرائب و جماعات دافعة لها[1] ، وبذلك أصبح قسم من السكان يعاني من الفقر و الحرمان و البؤس لأن ما ينتجه أغلبه يذهب في شكل مطالب مالية و عينية الى خزينة البايليك و لفائدة القائمين بجمعها كما هو الحال بالنسبة للخماسين من جماعات الرعية الذين ظلوا يعانون إستغلالا فاحشا و معاملة قاسية ، و القسم الآخر يعيش على شقاء الآخرين ، يجمع الثروات و يتحصل على مداخيل عديدة لخدماته الإدارية أو علاقاته الاجتماعية أو نفوذه الديني ، وهو يمثل شريحة صغيرة من مجموع الأرياف ، لا يؤثر في أوضاعه الاقتصادية و في علاقته الاجتماعية لأنها بمثابة مجموعة من الموظفين و أقليات متميزة ، يرتبط مستوى معيشتها المرتفع بمعاناة غالبية سكان الأرياف ، فعشائر المخزن مثلا ، كانت تعيش على حساب جماعات الرعية مما ساعدها على تحسين ظروفها المعاشية ، وقد دفع ذلك بعض القبائل الأخرى الى محاولة الإلتحاق بها و وضع رجالها في خدمة البايليك ، مثل قبائل الصحاري و العثامنية و الهاشم و الغرازلة

---

(1) للتعرف على شروط العدالة و المردودية بالنسبة للضرائب راجع :

— علي المتيت (أبو اليزيد) ، الضرائب غير المباشرة ، الاسكندرية 1975 ، ص . 3 .

— ROBE (E.) ; op. cit... P.3.

— LAUFENBURGER (Henry), Traité d'Economie et de Législation Financière : Revenu, capital et impôt. Librairie du recueil Sircy. 4ème Edition. Paris 1950 . P. 285.

وبن حميدان وكمركسوة وغيرهما[1] ، أو التحوّل الى خدمة المرابطين رغبة في الحصول على بعض الإمتيازات ، مثل الإستحواذ على أراضي العزل في شكل إقطاعات لفائدة المرابطين ، وهذا ما جعل أتباع بعض المرابطين يتكاثرون مثلما كان عليه الوضع بالنسبة لسيدي بلقاسم بوحجّار والشيخ الزواوي وبن بوفريش وسيدي الحسين وغيرهم[2] .

كلّ هذا يسمح لنا بالقول أنّ الوضعية الاجتماعية بالأرياف القسنطينية وما أفرزته من قوى إجتماعية متعاملة مع البايليك أو خاضعة لضغوطه ، وما نتج عن نوعية علاقة هذه القوى بالسلطة المركزية بقسنطينة والآثار التي انعكست من جراء السياسة الجبائية المطبقة ، كل ذلك ساهم الى حدّ كبير في نوعية الحياة الاقتصادية بالوسط الريفي القسنطيني وكان له تأثير بالغ على الملكية وطرق الانتاج الفلاحي نظرا لتحكّم النظام الجبائي في ذلك .

---

(1) - CARETTE et WARNIER , Description ... PP. 47 - 48 .
- EMERIT , Les Tribus privilégiées ... P. 55 .

(2) GAID , Chronique ... P. 149 .

خـاتمـة

السياسة الجبائية
تقييم واستنتاجات

في ختام هذا البحث الذى تعرفنا فيه على الأوضاع العامة للأرياف القسنطينية أواخر العهد العثماني وما تميّزت به من عوامل موثرة على النظام الجبائي، وما أحدثه هذا النظام من تأثير على نوعية الملكية وطرق استغلال الأرض وما ترتبت عنه من آثار على البنية الإجتماعية لسكان الأرياف، يجدر بنا أن نتساءل عن مميّزات وخصائص النظام الضريبي بعالم الأرياف القسنطينية من خلال طرح أسئلة وتحديد إجابة مختصرة عنها من خلال النتائج التي أنتهينا إليها في الفصول السابقة، وهذه التساؤلات يمكن إيجازها في النقاط التالية :

— هل كان النظام الضرائبي المتبع بالأرياف القسنطينية أواخر العهد العثماني عادلا بالنسبة لمختلف الجماعات التي كان يتألف منها مجموع سكان الأرياف القسنطينية ؟

— هل كانت الإجراءات الإدارية المتعلقة بأستخلاص الضرائب والحصول على المطالب المخزنية تتصف حقيقة بالمرونة والفعالية والمساواة، وهل نتج عنها توازن مالي بالنسبة لخزينة البايليك ومستوى معيشة ملائم لسكان الأرياف ؟

- هل خضعت كل الشرائح و الجماعات الريفية القسنطينية لمعاملة مماثلة من طرف موظفي البايليك ؟ أم أن بعضها كان يتميز بمعاملة مفضلة و إمتيازات خاصة فرضتها مكانتها ونفوذها في الوسط الريفي ؟

- هل كانت السياسة الجبائية للبايليك تلتزم بالأحكام الشرعية أم أنها تجاوزت ذلك الى فرض ضرائب إستثنائية بفعل الحاجة الى مصادر مالية و لو بأستعمال أساليب تعتمد على الإلتجاء الى إستخدام القسوة ؟

- هل أستجاب سكان الأرياف للأساليب الجبائية المطبقة عليهم ؟ أم أنهم أعلنوا العصيان و التمرد عليها و هل كان للإصلاحات الجبائية التي أدخلها كل من صالح باى و الحاج أحمد باى أثر في الحد من تعدد الضرائب و تجاوزات القائمين بأستخلاصها ؟

من خلال محاولة الإجابة عن هذه التساؤلات يمكن استخلاص أهم النتائج التي تم التوصل إليها في هذه الرسالة و التي يمكن أن نوردها في النقاط التالية :

(1)-بدأت تنظيمات الجهاز الضريبي تأخذ شكلها النهائي بعد أن أصبحت تمس كافة سكان الأرياف و تتميز بتنوعها و توسعها الى كل مختلف أنواع الإنتاج مع نهاية القرن الثامن عشر، بعد تحول إهتمام الحكام من النشاط البحرى الى الإعتماد على المصادر المالية التي تتوفرها المحاصيل الفلاحية و الحيوانية ، وقد زاد الإعتماد على ما تنتجه الأرض مع تزايد نفقات الجهاز الإدارى و تحكم الإحتكارات الأجنبية في المواد الأولية التي أصبحت من نصيب الشركات الأوروبية و بيوتات التجار اليهود الذين أستحوذوا على حق

تصدير ما يوّفره لهم البايليك و ما يشترونه من مالكي الأراضي ومربي المواشي بأسعار محدّدة و تسهيلات جمركية ، وقد دفعت الصعوبات المالية التي كانت تعيشها الدولة الجزائرية قبل الإحتلال الى التوسع في الضرائب التي أصبحت تثقل كاهل أهالي الريف ، و تتسبب في شقاء و بؤس الفلاحين المعدمين " الخماسين " ، بل دفعت العديد من القبائل إلى إعلان التمرّد و العصيان ضد سلطة البايليك .

(2)— لم يراع النظام الضريبي المطبق ببايليك الشرق القدرات و الإمكانيات الإقتصادية للفلاحين ، ولم يأخذ بعين الإعتبار مستوى معيشة الأفراد ، أو تطبيق العدالة في إستخلاص المطالب المخزنية ، فقد فرضت أنواع مختلفة من الضرائب و بمقادير وكميات مرتفعة على جماعات الرعية خاصة ، بينما لم تلزم عشائر المخزن و العائلات الكبرى " الجواد " و شيوخ الزوايا إلاّ بضرائب جزئية مخففة لا تتعدى في غالب الأحيان المطالب الشرعية من زكاة وعشور مع بعض الإعانات الخفيفة مثل ضيفة الباي و حقوق إسناد المناصب ، وهذا ما عمّق الفوارق الإجتماعية و زاد في حدّة تباين مستوى المعيشة و حال دون تطور العلاقة بين السكان و البايليك مما سمح للإستعمار الفرنسي فيما بعد القضاء على نظام البايليك بسرعة و تعويضه بتنظيمات محلية تتجاوب و مصالح الإدارة الفرنسية في أوائل عهد الإحتلال .

(3)— كان للنظام الضريبي ببايليك قسنطينة تأثير سلبي على القدرات الإقتصادية بصفة عامة و على الإنتاج الفلاحي بصفة خاصة ، و رغم أنّ الإصلاحات التي أدخلها صالح باى أو التي التجأ اليها أخيرا أحمد باى منذ سنة 1830 ، فإنّ القدرة الإنتاجية للشرق القسنطيني لم تتطور كثيرا

الريف، فقد تحملت الأرياف الضغط المالي و ألزمت بدفع النسبة الكبيرة من المطالب المخزنية، بينما المدن لم تساهم إلاّ بضرائب قليلة محدّدة و قارّة، وظّفت على سكانها من طريق أمناء الحرف و قياد الوظائف و الخدمات، و لعلّ تركز الإدارة المركزية و تواجد العناصر التركية والكرغلية بهذه المدن، كان سببا في تخفيف المطالب المخزنية عليها، على حساب الأرياف التي أصبحت المصدر الأساسي الذى يموّل المدن و يلبي حاجات موظفي البايليك المقيمين بها، و هذا ما أدى الى تدهور مستوى معيشة مجموع الفلاحين و فئات الخماسين و جعلهم بحق يعانون من ظروف صعبة و قاسية، زادتها حدّة و خطورة الكوارث الطبيعية من جفاف و جراد و أوبئة و فيضانات و غيرها، و بذلك زاد الفقراء فقرا و الاغنياء غنى، و أصبحت العائلات الاجتماعية، إنطلاقا من واقع الضرائب تعتمد على أقلية غنية و قوية و متحكمة و أغلبية فقيرة و ضعيفة و خاضعة.

(6) — أستهدفت التنظيمات الضرائبية إخضاع العالم الريفي القسنطيني الذى لم يتقبل رغم تطبيق سياسة جبائية سبق الإشارة إليها بأنّها غير عادلة في تحديد كمياتها، بل تعسفية في طرق إستخلاصها لأنّ الهدف من خلال إقرار إمتيازات مجموعات متنفذة في الوسط الريفي لها ولاء للبايليك، يكمن في الحصول على أكبر قدر ممكن من الضرائب لتغطية الحاجات المتزايدة للجهاز الإدارى للبايليك وتلبية رغبات الإدارة المركزية بالجزائر، على أنّ الوسيلة لتحقيق ذلك، كانت تتمثل في تطبيق أسلوب غير مباشر، أى " حكم الجزائرى بالجزائرى"، بحيث أوكلت المهمة الكبرى في ذلك للعائلات ذات المكانة و النفوذ مثل المرابطين و قبائل المخزن، و بذلك تمّ بالفعل التحكّم في الريف من خلال تنظيمات جبائية معتمدة أساسا على عملاء و وسطاء من الأهالي، و مرتكزة على نوعية من العلاقات الإجتماعية فرضت نوعا من التوازن المرتكز

على القوة العسكرية للمخزن أو المحلة أو الكاحلية ، أو على الأحلاف والصفوف العشائرية التي حددت مجال تحرك وتطلع كل قبيلة بالنسبة الى القبائل الأخرى ، وإن كانت قد خلقت نوعا من السلم المسلح والتهديد غير المباشر لأوامر البايليك .

(7) — أدى عدم التوازن في فرض الضرائب على سكان الأرياف القسنطينية، وإنعدام العدالة وعدم الأخذ بالقدرة الحقيقية للإنتاج ، الى عجز في تسديد المطالب المخزنية من طرف الفلاحين ، بل دفع العديد من القبائل الى إعلان التمرد والعصيان ، وتسبب في تحول العديد من الفلاحين أو الخماسين عن خدمة الأرض الى مزاولة مهنة الرعي أو الإنزواء في بطون الأودية الجبلية الحصينة بعيدا عن سلطة البايليك التعسفية ، وهذا ما ساعد على ظهور صنف من السكان لا يتمتع بالإمتيازات ولا يخضع للمطالب ، وإنما هو مستقل أو ممتنع أو بعيد عن كل الإجراءات التي عرفها الجهاز الضريبي في الأرياف ، وقد عزز ذلك العادات السائدة لدى سكان تلك الجهات ، والتي كانت ترى في أي خضوع لسلطة البايليك ، أو الإستجابة لمطالبه ، موقفا يتنافى وكرامتها ، بل يحط من مكانتها ، لأنه يجلب عليها العار والسمعة السيئة .

(8) — سمح الجهاز الضريبي وما ارتبط به من قضايا ، مثل نوعية الإستغلال وطرق الإنتاج ، بتصنيف إجتماعي يرتكز على المؤسسات الإدارية على مستوى الأرياف ، إنطلاقا من حكم مركزي بالمدن ، انتهى الى إقتصاد تقليدي منكمش يتصف بضعف القوة الإنتاجية ، يرتكز على علاقة غير عادلة من ثلاث شرائح إجتماعية رئيسية هي :

(10) — عرف النظام الضريبي تعديلات و إصلاحات جذرية على عهد كل من صالح باي و أحمد باي، فالأول حاول توحيد الجباية على سكان الأرياف والتخفيف من عبء المصاريف بانقاص عدد الموظفين المكلفين بالضرائب، و ذلك باخضاع كل الأراضي الفلاحية لضريبة موحدة هي مطلب الجبرى السنوى و تنظيم جهاز يقوم على ذلك، يتولى الإشراف عليه قائدى جبري الشرقي و الغربي، والثاني وهو الحاج أحمد باي، آخر بايات قسنطينة الذى حاول سن سياسة مالية حازمة و صارمة، ترمي الى حقيق نوع من العدالة، و ذلك لرفع مردود ضرائب البايليك و استمداد مصادر دخل إضافية، وقد انتهت هذه السياسة الى إلغاء الضرائب المستحدثة كاللزمة و المعونة و الخطية و المقاد وغيرها و تعميم ضريبة العشور التي تستخلص على المحاصيل و يؤخذ جزء منها نقداء على أنّ ما يفهم من بعض الأحداث، أنّ الإضطرابات و الفتن قد حالت دون إنجاح هذه السياسة الجبائية التي طبقت مؤخراء أى منذ سنة 1830، وبذلك ظل الى حدّ ما إقتصاد الشرق الجزائرى يتميّز بالركود و التراجع و الإنكماش بعد أن أضرت به سياسة الإحتكارات الموّجهة لتصدير المواد الأولية عن طريق الإحتكارات الأوربية و اليهودية، مثل "شركة بكرى و بوشناق "، وكذلك تبذير الموظفين و سوء تصرّف المسؤولين على شؤون الأرياف، زيادة عن إرتفاع كميات الدنوش الفصلية و السنوية الموّجهة الى الجزائر قبل الإحتلال الفرنسي لها.

وعلى كلّ فإنّ ما توصلنا اليه من إستنتاجات، ليست أحكاما نهائية لأنّ دراسة لمثل هذا الجانب المهّم من الحياة الإقتصادية و هو النظام الضريبي، ستعرف لا محالة تطوّرا بفضل ظهور وثائق جديدة، وهذا ما يجعلنا في آخر هذا البحث نؤكد بأنّ مساهمتنا رغم ما بذل فيها من جهود وبحث و استقصاء، لا يمكن أن تغلق الباب في هذا المجال، فهي لبنة و جهد علمي نتمنى أن يكون منطلقا لتغطية مجالات إقتصادية أخرى تتصل بالريف القسنطيني وتتعلق بالحياة الاجتماعية والاقتصادية لسكانها.

الــمـــــــلاحـــــق

أرشيفات — خرائط — جداول.

* قائمة الضرائب التي تذهب لصالح خزينة بايليك قسنطينة والتي ساهمت في دفعها 151 قبيلة نقدا أو عينا بواسطة العشور والحكور. حسب تقرير :
A.M.G. H 227 . Province de Constantine - Rapport postérieur à 1836.

* صورة مخطوط العنتري بعنوان : تأريخ قسنطينة من دخول الأتراك الى الفتح الفرنسي لبايليك قسنطينة ، مخطوط رقم 2320 ، بالمكتبة الوطنية الجزائرية . ص . ص . 8 — 9 — 10 .

* أرشيف وزارة الحربية بفانسان : تقرير روسو حول الوضع المالي لبايليك قسنطينة : صورة لبعض صفحات هذا التقرير :
A.M.G. H 226 : Notice sur l'organisation financière de la province de Constantine : analyse d'un travail adressé par ROUSSEAU à Mr BLONDEL , Directeur des finances . 1838 .

* أرشيف ما وراء البحار بأكس آن بروفانس : تقرير وارنيي حول الضرائب ببايليك قسنطينة : صورة لبعض صفحات هذا المخطوط .
A.O.M. F 80 . 522 ou F 80 . 1822 : De l'Impôt , Rapport rédigé par WARNIER en 1841 .

* أرشيف وزارة الحربية بفانسان : تقرير حول مختلف الضرائب و الرسوم والمساهمات المفروضة على سكان بايليك قسنطينة : صورة المخطوط .

A.M.G. H 228 . 1840 . 1843 . Rapport anonyme : Contributions diverses versées par les Tribus du Beylik de Constantine .

* الأرشيف الوطني بباريس : تقرير حول العشور و الحكور : لوحة أو صورة لبعض صفحات هذا التقرير.

A.N.P. F 80 . 1672 : De l'achour et de l'hocker. Rapport rédigé par E. DEUILLEY .

* 15 Mi - 14 - Vol. 11 : Impôts : صورة لبعض صفحات هذا المخطوط
Extrait du Microfilm disponible aux A.O.M. à Aix - En - Provence .

* 15 Mi - 14 : Registre du Beylik : Perception de l'Impôt dans la Régence d'Alger : Registres rassemblés par DEVOULX : Extrait du Microfilm disponible aux A.O.M. à Aix - En - Provence . صورة للمخطوط

* 15 Mi - 17 : Impôts payés par les Tribus de la Régence d'Alger (Achour) : Listes établies par l'Agha et Caïd-El-Achour : Registres rassemblés par DEVOULX : Extrait du Microfilm disponible aux A . O . M . à Aix - En - Provence . صورة للمخطوط .

* Facture de marchandises livrées par le Beylik de Constantine à la C.R.A. (Corail) : Journal de La Calle : 3 Août 1741.
(A.Ch.C.M.). صورة لفاتورة البضائع المصدّرة من بايليك قسنطينة نحو مارسيليا

* Facture de livraison du cuir-laine par la C.R.A. vers Marseille.
(A.Ch.C.M.).

* Facture de Marchandises chargées de La Calle vers Marseille.(Blé-Corail - cire - cuirs). Avril 1779 . (A. Ch. C.M.) .

* خريطة اتجاه المحلات لاستخلاص الضرائب .
* خريطة المجموعات القبلية ببايليك قسنطينة .
* خريطة الأقاليم الطبيعية بالشرق الجزائري .

قائمة الضرائب التي تذهب لصالح خزينة بايليك قسنطينة و التي ساهمت في دفعها 151 قبيلة نقدا أو عينا بواسطة العشور و الحكور.

حسب تقرير : A . M . G . H 227. Notice sur la province de Constantine ; postérieur à 1 8 3 6 .

اسم القبيلة	الناحية	عدد الجابدات	عدد قيسات العشور: القمح	عدد قيسات العشور: الشعير	الحكور بالريال بوجسو
أولاد سيدى بوناب	الغرب	30	80	30	400
الخرازلة	"	90	90	90	1800
الأربعاء	"	90	90	90	1200
صدراتة	"	100	100	100	1333
أولاد الهناني	الشرق	30	30	30	400
أولاد بلقصير	"	60	60	60	800
أولاد سي حسن	"	60	60	60	800
أولاد جليل	"	40	40	40	533
أولاد سي سالم	"	40	40	40	533
أولاد سي عبد الرحمن	"	20	20	20	267
أولاد عمار	"	20	20	20	267
أولاد زعوان	"	20	20	20	267
السماشة	"	20	20	20	267
العوامرة	"	15	15	15	200
أولاد سعيد	"	20	20	20	267

.../...

اسم القبيلة	الناحية	عدد العائلات	عدد قيمات العشور القمح	عدد قيمات العشور الشعير	التكسير بالريال بوجو
الفرادة وبني وصيفان	"	30	30	30	400
التحلام	"	15	15	15	200
الطباقة	"	20	20	20	267
أولاد بن فشيدة	"	60	60	60	800
عامرا القابية	"	600	600	600	800
العلمة زاوية القايية	"	150	150	150	2000
العلمة زاوية العومومي	"	40	40	40	533
العلمة زاوية سيدى ثابت	"	30	30	30	400
العلمة زاوية الجودي	"	20	20	20	267

اسم القبيلة	عدد الجلدات	عدد قيسات العشور		الحكور بالريال بوجو
		القمح	الشعير	
أولاد ناصرة	60	60	60	800
السلاطنة	40	40	40	533
أولاد العيفة	30	30	30	400
أولاد قاسم	60	60	60	800
بني ابراهيم	50	50	50	667
أولادسعيد بن سالمة	50	50	50	667
أولاد عباس	"	"	"	"
أولاد سعيد بن سالمة	"	"	"	"
— القرارب	50	50	50	667
أولاد سي سلامة و أولاد ناصر	30	30	30	400
بني فودة	30	30	30	400
عزلة أولاد واد الذهب	20	20	20	267
الدهامشة	70	70	70	433
محاوية	40	40	40	533
تاجنانت و السيفان	30	30	30	400
أولاد بني مروان	70	70	70	433
طلحة	100	100	100	1333
أولاد سيدى فراج	20	20	20	267
أولاد سيدى ناصر	20	20	20	267

اسم القبيلة	عدد الجابدات	عدد ليسات العشور		المكسور بالريال بوجسو
		القمح	الشعير	
أولاد صلاح	40	40	40	533
بني اسماعيل	50	50	50	766
أولاد ضياف	10	10	10	133
أولاد سيدى عثمان	15	15	15	200
أولاد غنام	60	60	60	800
سي فرينة التحادرات	30	30	30	400
أولاد بوحلوف	40	40	40	533
أولاد سي داوود	20	20	20	267
أولاد عبد النور	600	600	600	8000
زاوية الشيطي	30	30	30	400
زاوية بن يحيى	40	40	40	533
زاوية بن رزوق	30	30	30	400
أولاد يسدير	30	30	30	400
أولاد كيباب	120	120	120	1600
غمريان	800	800	800	1067
أولاد بوحامة	60	60	60	800
أولاد بوحلوف عرب الهطحا*	50	50	50	667
أولاد رحمون	100	100	100	1333
التلاغمة	400	400	400	5333
المطاطفة	30	30	30	400

.../...

اسم القبيلة	عدد الجابدات	عدد قيمات العشور		المكوس بالريال بوجو
		القمح	الشعير	
أولاد قبة بوعبدان	30	30	30	400
أولاد عزيز أهل القنطلسي	30	30	30	400
أولاد زايبت	40	40	40	533
أولاد جملا	40	40	40	533
أولاد عشاش	30	30	30	400
التحربة	40	40	40	533
أولاد بلحقال	20	20	20	267
أولاد سلام الفحامة	50	50	50	667
أولاد رحام	60	60	60	800
أولاد بوقرانة	20	20	20	267
أولاد الجرتيني	20	20	20	267
الزميول	20	20	20	267
السقنية	800	800	800	10700
العلمة	60	60	60	800
أولاد عزيزء أولاد معوش	150	150	150	2000
عامر اشراقة	500	500	500	6700
أولاد ساكر	80	80	80	1070
أولاد الرحمة	80	80	80	1070
العزامين	10	10	10	133
أولاد بن عمار	20	20	20	267

.../...

اسم القبيلة	عدد الجابدات	عدد قيسات العشور		المحكور بالريال بوجو
		القمح	الشعير	
أولاد عثمان	30	30	30	400
أولاد عجاس	40	40	40	533
أولاد عبيد	20	20	20	267
أولاد يعقوب	10	10	10	133
القنادلة	20	20	20	267
البشاكية	15	15	15	200
أولاد سي يحي	30	30	30	400
الدبابرة	150	150	150	2000
أولاد عموش	50	50	50	667
أولاد سي خليفة	100	100	100	1333
أولاد سي عفيف	60	60	60	800
أولاد دهان	200	200	200	2667
أولاد معافية	60	60	60	800
أولاد سي عمار بن سلطان	30	30	30	400
أولاد سي عمار بن عدة	30	30	30	400
أولاد زقروم	40	40	40	533
أولاد بوجمام	15	15	15	200
أولاد عزازية	10	10	10	133
أولاد بلحشور	40	40	40	533
أولاد عزيز	30	30	30	400

.../...

اسم القبيلة	عدد الجابدات	عدد قيسات العشور		الحكور بالريال بوجو
		القمح	الشعير	
صدراتة الشراقة	300	300	300	4000
أولاد قاسم الشراقة	50	50	50	667
أولاد سي موسى الشراقة	40	40	40	533
بني وجانة كرفة	120	120	120	1600
العشاش الكرفة	150	150	150	2000
المعالمة	300	300	300	4000
أولاد سي يحيى بن عيسى	60	60	60	800
العربية بستروش	60	60	60	800
أولاد يحيى بن يدير	60	60	60	800
سلاوة	200	200	200	2667
أولاد عرفة	15	15	15	200
أولاد عزيزة	10	10	10	133
أولاد جا	6	6	6	80
أولاد سعود	10	10	10	133
أولاد عزرارة	30	30	30	400
أولاد سي مناصر	30	30	30	400
بني وجانة الغرب	150	150	150	2000
الزرادية	60	60	60	800
أولاد أحمد بن السعيد	60	60	60	800
أولاد سي أحمد بومرزوق	50	50	50	667

اسم القبيلة	عدد الجابدات	عدد قيسات العشور: القمح	عدد قيسات العشور: الشعير	الحكور بالريال بوجو
أولاد خيار	100	100	100	1333
الشحابة	10	10	10	133
زمالة بن مرات	50	50	50	667
جميلة	300	300	300	1600
أولاد يحيى بن عيسى ولس	20	20	20	267
جيسول	20	20	20	400
أولاد يحيى بن فراج	10	10	10	133
أولاد بلعرابة	10	10	10	133
أولاد يعقوب الشراقة	40	40	40	533
فضلاوة	15	15	15	200
سكهة الشراقة	10	10	10	133
قبائل العوالم القرفة	200	200	200	2667
علمة كشكاشة	60	60	60	800
أولاد سي قرفة	70	70	70	933
أولاد أحمد قرفة	30	30	30	400
بن قليد	40	40	40	533

.../...

اسم القبيلة	عدد الجابدات	عدد قيسات العشور		الحكور بالريال بوجو
		القمح	الشعير	
بني مجلست	30	30	30	400
أولاد دراج	15	15	15	200
صدراتة	15	15	15	200
القرازلة	15	15	15	200
الأربعاء	15	15	15	200
العلمة الشراقة	100	100	100	1333
العلمة الصوادق	20	20	20	267
عميز	60	60	60	800
المعموية	50	50	50	667
أولاد ابراهيم	20	20	20	267
بلاد ولاد بوقدورة	30	30	30	400
المجموع :	10381	10381	10381	137,547

[illegible] وهو الذي عو الاغا ويحكم ويعين [illegible] في القشلة
تكون [illegible] ومعنى [illegible] الترك [illegible] وحين [illegible] جند تجمع
في [illegible] الذي كان به [illegible] والشاوش باشي الباشا [illegible] إلى الاغا
مقسم جمع الكلام [illegible] وصل إلى الباي أبو حنيك واصبح
[illegible] بفضله [illegible] ويعمل للعساكر ويعمل تنظيم اشغالهم
وفضلا [illegible] فلسطينيه [illegible] وقت صار والي القشلة الكهني سكن
[illegible] أبو حنيك [illegible] كلام [illegible] التراب [illegible]
[illegible] رجع الباي أبو حنيك المذكور إلى فلسطينيه
[illegible] حتى ادركته المنية رحمة الله عليه ومن بعده قولي ازف عيس
بك [illegible] وهو تركي له شجاعة وهيبة وكان يحضر مع الباي بو [illegible]
في [illegible] ومن رايته زاد في ترتيب وصارت الخزنة واسس منازلهم بل
[illegible] انه رتب كتابا بعضهم يكتبون اسرار وبعضهم يكتبون المكاتيب
[illegible] البايلك وخليفته تركي وهو المتكلف بالمال الذي
[illegible] فلسطينيه إلى الجزائر موضع في الخزنة ويسمى [illegible]
ومعنى [illegible] في شكل [illegible] مرتين في فصل الربيع ومرة في فصل الخريف
ولكن في الزمان [illegible] صار والي [illegible] الخليفة غير ان [illegible] المتقدم ذكره
والقايد [illegible] تركي وهم المتولون امور الصباحية [illegible] الترك وشوايش
ترك وهم المتولون امور العساكر والمغة العرب وهو الذي يسمع كلام العرب
ويتكلم [illegible] الباي المذكور في الوقت الذي لم يكن هو محل التكلم
واخر الوقت الذي [illegible] المتكلم فانه يتلقى المشكلات بنفسه ويرد
الكلام [illegible] وقايد الدار وهو الذي يكون [illegible] ما يلزم للعساكر من الازاق
[illegible] حين يخرج الباي الى الوطن يبقى هو
في [illegible] والقايد [illegible] وهو الذي [illegible] البايلك في المدخول [illegible]
والخزناجي [illegible] المتولي [illegible] من امور الموازين والمكيلة
وقايد [illegible] وهو المتولي [illegible] في [illegible]
[illegible]
في [illegible] المذكورين [illegible]
[illegible] فايد الزمالة [illegible]

[illegible] فاين الثاني
[illegible] الباشا [illegible] وكان أول ما بك
وبعث [illegible] من [illegible] الباي [illegible] البلاد [illegible] في شعبان
وكان [illegible] بزيادة الوظيف وحرق العادات ومن بعد
في قلب الوطن [illegible] يتكون من تعرف أمورات وشرع فيها بعد
[illegible] العباد فجعل ضوابط في كل صنعة وقوانين في كل ضيعة ثم صار
يتبع [illegible] الأموال [illegible] من حقوق البايلك [illegible] في جميع [illegible] وجد
وكان [illegible] العدل والخير [illegible] ومن [illegible] في [illegible] فسكنه
وأقام صالح باي [illegible] قوة [illegible] الأكراد [illegible] إلى القيروان
[illegible] وزاد به الرعب
والبلاد [illegible] من [illegible] والتجار [illegible] الباي [illegible] بالجزاير [illegible] مستقيما
به وكان الباي [illegible] فيكفيه [illegible] واحسن إليه
[illegible] وجميع [illegible] الباي [illegible] في [illegible]
[illegible] في أمور [illegible] في [illegible] زيادة
[illegible] الباي [illegible] الرخم
[illegible] للأخبار [illegible] الأيام
[illegible] وكان صاحب [illegible] تونس
حين سمع [illegible] من القيروان [illegible] فاستكفيه
في الإكرام والإحسان [illegible] الله يسكن [illegible]
وبعث [illegible] وتكون الأكوان [illegible]
[illegible] الجزاير [illegible] الوطن [illegible] الجزاير [illegible] رأى
[illegible] صاحب [illegible] تونس [illegible]
[illegible] الوطن [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible] الى تونس [illegible] ووصلوا الى مدينة
الكاف التي هي باب مدينة تونس [illegible] فكانوا يستبيحون [illegible] وهم
مقيمون عليها [illegible] والعسكر العظيم فلما كملت اقامته وبلغ
الخبر [illegible] بزيادة العسكر [illegible] وبلغ ذلك
المحلة التي [illegible] عليهم [illegible] من بحر [illegible]
والفرسان [illegible] مدينة تونس [illegible] وطلبوا البعض
من [illegible] ووصلوا الى الباي ازرق عينه وطلبوا منه الامان ليكونوا
[illegible] ذلك [illegible] وفتحوا
له [illegible] وسهلوا عليه كل صعب وضيق وجلبوا اليه [illegible] ووصل وجاءوا
معه [illegible] ووصلوا الى مدينة تونس [illegible] عليهم [illegible] والمنازل
حتى [illegible] فجعلوا [illegible] وسلموا ودوروا
بمدينة تونس [illegible] الصوار بالمعكم [illegible] ذلك [illegible] الاسوار
وكان ذلك [illegible] الليل [illegible] النهار [illegible] ذلك [illegible] من العسكر [illegible]
وانهزموا [illegible] مدينة تونس [illegible] النهب والسلب
في ازقات الاندلس [illegible] الباي ازرق عينه [illegible]
[illegible]
واغتنم [illegible] لديه ولما الباي ازرق عينه
فانه رجع [illegible] قسنطينة [illegible] مملكة تونس [illegible] العافية
[illegible] الاحوال [illegible] وانشئوها
[illegible] الباي المذكور [illegible] ذلك الاموال
والاخبار [illegible] مدينة تونس [illegible] الى قسنطينة [illegible]
[illegible] الملكة [illegible]
[illegible] الى قسنطينة [illegible] الموت [illegible] ذلك [illegible]
[illegible]
[illegible] احمد باي [illegible]
[illegible]
[illegible] الباي ازرق عينه [illegible]

N. 226 ... Sur l'organisation financière de la Province de Constantine analyse d'un travail adressé à M. Blondel Directeur des finances par MM. Fabre et Rousseau 1838

Sur l'organisation financière de la Province de Constantine.

Analyse d'un travail adressé à M. Blondel, Directeur des finances, par MM. Fabre et Rousseau

La puissance des Beys de Constantine s'étendait sur un grand nombre de tribus, aux yeux desquelles l'impôt directement livré aux officiers des gouvernants était le signe de la souveraineté. La tribu (Arch) se sous-divise en un certain nombre de fractions (Kharrouba): la tribu est commandée par un caïd; la fraction de tribu par un cheikh. L'impôt a une nature et des origines diverses. Certains impôts se lient à la conquête des turcs, et en sont la vivante tradition; d'autres rappellent les redevances que dans toute société régulière le gouverné paye au gouvernant; quelques uns enfin ne sont que des exactions légales exercées par les chefs sur les indigènes.

Impôts qui rappellent la conquête des turcs

Oudifat et Ada (tribut d'usage) Imposé aux arabes depuis l'occupation des turcs

Haq el Meg'ad (prix du cheval): Les turcs s'étaient emparés de Constantine l'année 884 de l'hégire: les tribus voisines étant venues leur offrir des présents de chevaux, les turcs s'empressèrent [illegible]

Ce nom désigne encore une contribution annuelle de 3 f, 25 c par maison que les turcs frappaient sur les habitants de Constantine.

Impôts réguliers

Ghorama: C'est l'impôt personnel sur les tribus; il ne varie jamais

El Guetia: (Prix fait): Si la tribu imposée venait à décroître, un soulagement d'impôt lui était accordé; si elle réparait ses pertes, l'impôt était rétabli dans son premier état.

De l'Impôt

L'impôt (Maghram) n'est payé que par le Raya.

Par Raya dans les états musulmans on entend la population vaincue par opposition à la population conquérante, dominatrice qui est désignée sous le nom de Moulouk. (1)

Ont été considérés comme Moulouk en Algérie, ceux qui à différentes époques ont dominé l'Algérie par la force des armes.

En première ligne apparaissent les arabes venus de l'Arabie qui sous la conduite de Okba ben el Oauamir et de Mousa ben Naceur ont imposé la loi musulmane et les droits de la conquête aux populations chrétiennes indigènes établies dans le Mogreb.

Ces arabes conquérants sont désignés sous le nom général de Mehall (2) (de Mehalla, troupe, armée). Les populations qu'ils ont vaincues ont formé cette nationalité d'origine incertaine à laquelle ils ont donné le nom de Kabyle (de Kebyla, village, chaumière) parce qu'ils habitaient des villages, des maisons, pour les distinguer des Arabes qui n'habitaient que des tentes d'où leur est venu le surnom de Beda Aoua (Aoua vie, Bedar libre) dont nous avons fait le mot bedouin.

Les Kabyles furent les premiers Raya des Arabes Mehall.

Plus tard les Mehalls perdirent leurs titres et leurs privilèges de Moulouk et devinrent, comme les Kabyles, des Rayas, quand à la domination arabe succéda la domination Berbère. Alors les grandes tribus Sanadjia, Masmouda et Zenata, auxquelles appartenaient les Lamptounes, venues des bords de l'Océan sous les ordres de Yousouff ben Tachefine (année 462 de l'hegire 1070 J. C.) et de Abd el Moumen (année de l'hegire 614, 1180 J. C.) sous le prétexte de régénérer l'islamisme abâtardi, envahirent le Maroc, toute l'Algérie actuelle et une partie du Royaume de Tunis.

Ces tribus guerrières et conquérantes qui s'étaient donné les noms d'El Merabit, les Marabouts et El Mouahedine, directeurs de la religion, (dont nous avons fait par corruption

---

(1) Les mots Moulouks souverains, Mamelouks affranchis, Moulay Empereur, Moulkis possessions, doivent avoir une racine commune.

(2) Dans la province d'Oran une grande partie des arabes de l'agbalik

A.M.G. H 228. 1840-43. — 197 — Rapport sans nom d'auteur 1840

1840.

de contribution, a labouré illégalement des lieux carrés de prairies qui étaient réservés pour faire du foin, et qu'il n'a pas été puni d'une amende de cinq centimes ?

§ 5.

Contributions diverses.

—

Farahh.

Le farahh était le droit d'investiture sous l'ancien gouvernement.

« il a semblé de la dignité de la France de renoncer à un usage qui n'était pour les chefs qu'un prétexte fourni à leur avidité et un moyen d'extorsion, au préjudice des populations. » (Ministère de la guerre. Tableau de la situation des établissements français en Algérie, en 1838. Tom. 2. p. 41.)

Est-il vrai que les Arabes paient le farahh à leurs Scheikhs ?

Que les Scheikhs payent le farahh à leurs Caïds ?

Que le Caïd payent le farahh au Khalifa ?

Le Khalifa verse-t-il le farahh au Trésor ?

Quelles sont les sommes versées ?

Par qui versées ?

Par qui ordonnées ?

—

Touïzza.

—

L'ancien gouvernement faisait cultiver les terres du Beylik par la Touïzza ou corvée imposée aux cultivateurs sur les lieux voisins des cultures du Beylik.

Est-il vrai que le Khalifa Ali, locataire du Domaine du Beylik, sur lesquels on cultivait autrefois, à la Touïza, se soit substitué non au Bey (qui n'avait pas le droit de Touïza) mais au Beylik, et cultive de cette manière une partie des terrains qui lui ont été loués ou concédés par le conseil d'administration ?

S'éclairer à ce sujet des informations dans les douars ou tribus situés dans le voisinage des terres cultivées par le Caïd Ali.

Mohr-bachra.

—

Le mohr-bachra était un droit de l'ancien beylik sur les chevaux.

Est-il vrai que le Khalifa ait, à ce titre, demandé et obtenu, à son profit, des chevaux des tribus ou des particuliers ?

S'éclairer à cet égard des informations chez les Haractas.

Il est inutile de dire que le gouvernement a renoncé à ces droits.

Requisitions.

—

La requisition des bêtes de somme n'existait pas dans l'ancien gouvernement, parce que le Beylik possédait 10.000 chameaux, 1800 mulets, et 600 chevaux de transport, etc. qu'il utilisait, suivant les besoins.

Jusqu'au 1er Janvier 1842, l'administration militaire faisait ses convois par le travail des équipages, ou par des transports

auxiliaires, dont M. Duché était entrepreneur, à raison de 17f 50 le quintal métrique, de Philippeville à Constantine.

Au 1er Janvier 1842, M. le général Négrier a substitué à ce mode régulier de transport, et qui avait toujours suffi aux besoins de l'administration, le mode de réquisition sur les tribus, à un prix inférieur.

L'administration militaire se trouve-t-elle aussi bien de ce dernier mode ?

Les arabes touchent-ils, ou ne touchent-ils pas le prix de leurs transports ?

Le Khalifa, qui s'est substitué à l'administration de M. Duché, ne trouve-t-il pas, dans ce nouvel impôt sur les arabes, une source nouvelle de fortune ?

N'est-il pas à craindre que les arabes vexés, ruinés, peut-être battus ou emprisonnés à cause des transports par la voie des réquisitions, ne s'éloignent de nous, et ne veuillent plus faire de transports pour l'État, à raison de 7f, quand le commerce continue encore à payer 15 et 18f et même 25f pendant l'hyver ?

Sur les lieux, il sera facile d'apprécier l'opportunité ou l'inopportunité de ces transports faits par la voie des réquisitions.

Amendes.

Serait-il vrai que le Khalifa prélevait de nombreuses amendes à son profit, et permît que tous ses

عشر - ذكر de l'ascher et de l'achor

8b 1838

Feuilleycu

Le mot *ascher* comme dans la province d'alger, tant que signifiant un impot prélevé au profit du gouvernement ne l'est point dans la province d'Oran sous cette signification. il ne désigne à Oran que la *dîme* que tout fidèle musulman doit lui-même prélever sur ses biens pour les pauvres. cette dîme *offert* de prescription religieuse n'était point exigée par les Turcs. son acquittement n'intéresse que la conscience.

L'impot proprement dit se nomme *lezma*. il se percevait deux fois par an. on distinguait la lezma d'été (lezma-ettaa esseiff) et la lez. d'hiver (lezma-ettaa errebia). il doit toujours être acquitté en argent. Ce n'est qu'à la dernière extrémité qu'on permettait quelquefois d'en acquitter en nature une très légère partie. les moutons étaient la seule chose reçue en [illegible]

L'impot était déterminé par le bey. il était à payer [illegible] quant aux sommes exigées. toutes les tribus étaient portées sur les registres du beylick avec les sommes pour lesquelles elles devaient contribuer. au moment de la perception des impots, l'agha répartissait entre les [illegible] chefs du maghzen les lettres désignant les perceptions à faire, leur montant et les tribus contribuables. le maghzen se mettait en marche et recouvrait violemment l'impot. — il avait pour sa part 10 pour 100 (aut [illegible] pour [illegible]) lui-même n'était astreint à aucune charge. le maghzen, dit Mustapha, tue et meurt. il prend et ne donne pas.

à côté de la lezma ou impot en argent existait la *mouna* ou impot en nature. cet impot était aussi inscrit sur les registres du beylick pour la quotité. il s'acquittait en blé, orge, graines &... les paiements en argent n'étaient point reçus que dans le cas où il en avait. la mouna se percevait une fois par an, en été. (la mouna qui veut dire proprement provision paraît répondre assez exactement à l'impot *ascher* d'alger.)

, 701

en troisième impot appelé 'abta' était
gabré dans chekkos à l'occasion de leur
investiture. il se payait toujours en argent

حكر

Le mot hokor est tout à fait inconnu
de Mustapha ben d'Alnoit. — Belgaid le connait com-
me t de la langue savante et lui donne la même signification
vague et ~~qui~~ qu'au mot lezma — (impot en argent).
Le dictionnaire de Golius lui donne la signification
d'accaparement (negotium colligendi frumentum
et vendatur tempore caritatis). Belgaid ajoute
que dans le Gharb (Maroc) ce mot a une signification
à peu près pareille.

Je suis ~~tout à fait~~ porté à croire que le
mot hokor est usité dans la langue vulgaire de la
province de Constantine tout à fait dans la même
signification que le mot lezma dans les provinces —

E. Cas

E. Dessully

501

Registre du Beylik - perception de l'i
de la Régence d'Alger. (Devoulx) in 15 Mi-

Impôts Vol. 11 — 204 —
15 Mi 14.
Archives d'outre-mer
Aix-en-Provence.

8

Jesus, M... a la Calle le 3e aoust 1741 —

A Esté char... nom de Dieu & de bon sauvement, au Port & Havre de cette ... par Sr Laurens Durran garde magasin de la Compe Royale d'afrique, et pour compte propre d'icelle — sur la polacre apellée la renommée — commandée par Capne Joseph Jaubine — pour porter & conduire, Dieu aidant, à Marseille & consigner à Messieurs les directeurs de lad. Compe ou qui pour eux sera les Marchandises cy-après mentionnées : Sçavoir,

6. caisses. Jedis six caisses de corail pezant ensemble huit cent cinquante livres net — sçavoir

A	quatre caisses assortys den° 1. a 4. pezt 150 l l'une fais ensemble	600
M	une dte menu n° 5. pezant	150
B	une dte Branchetes n° 6. pezant	100
		850

667: mesures jedis six cent soixante sept mesures feves m. demaure

Lesquelles susdites Marchandises ont été chargées sur lad. polacre bien conditionnées & marquées de la marque cy-contre : qu'ainsi reçûës que seront, Dieu aidant, audit Marseille — par lesd. Messieurs directeurs de lad. Compe ou qui pour eux sera, sans y avoir rien de moüillé ni de gâté, payera de nolis suivant la convention D. L. C.

COMPAGNIE ROYALE D'AFFRIQUE.

Envoi  à *marseille*

a la calle le 9e 8bre 1748

A Eté chargé au Nom de Dieu & de bon fauvement, par le Sr. *Louis Bouillhon* ——— Garde-Magasin, d'ordre de Monsieur le Directeur principal, & pour le compte & risque de la Compagnie Royale d'Affrique, sur *la Barque dite le Sluyon* commandé par *Capn. felix Senes* les Effets ci-après ;

SÇAVOIR;

8500 — Je dis huit mille cinq cens cuirs salé
100 — Je dis cent teste de Baeufs Ted.
2 — Je dis deux caisses de corail dit Bravaches de No. 15. et 16. pesant chacunne net 100. ℔. et ensemble 200 ℔.
2 — Je dis deux caisses corail dit assorty de No. 17. et 18 — pesant chacunne net 150. ℔. et ensemble 300 ℔ —
2 — Je dis deux caisses de corail dit menu de No. 19 et 20 — pesant chacunne net 150. ℔. et ensemble 300 ℔d
12 — Je dis douze couffes remplies de cire pesant — ensemble net 4375. ℔ poids de Bone provenant de 5468. ℔. poids de france
1 — Je dis une marmitte de cuivre et son couvert
12 — Je dis douze tonneaux en Botte
1 — Je dis un tonneau pour l'eau

pour le tout bien conditionné être conduit par ledit *Capn. felix Senes* ——— à *marseille* ——— sauf les risques, perils & fortunes de Mer, & remis au Sr. *Roux* ——— Garde Magasin, en lui payant les Nolis suivant le Traité d'Affretement *sans autre*

Dieu le conduise. *Amen.*

Bezou Scuns Copie

Sur l'organisation financière de la Province de Constantine.

Analyse d'un travail adressé à M. Blondel, Directeur des finances, par MM. Fabre et Rousseau

La puissance des beys de Constantine s'étendait sur un grand nombre de tribus, aux yeux desquelles l'impôt directement tiré aux officiers des gouvernants était le signe de la souveraineté. La tribu (Arch) se sous-divise en un certain nombre de fractions (Kharouba): la tribu est commandée par un caïd; la fraction de tribus par un cheikh. L'impôt a une nature et des origines diverses. Certains impôts se lient à la conquête des turcs, et en sont la vivante tradition; d'autres rappellent les redevances que dans toute société régulière le gouverné paye au gouvernant; quelques-uns enfin ne sont que des exactions légales exercées par les chefs sur les indigènes.

Sur le service financier de la Province de Constantine; analyse d'un travail adressé à M. Blondel directeur des finances à Alger par MM. Fabre et Rousseau [illegible] 1838

impôts qui rappellent la conquête des turcs

Oudifat et Adas (tribut d'usage) Imposé aux arabes depuis l'occupation des turcs

Baq el Meyad [illegible] (prix du cheval): Les turcs s'étaient emparés de Constantine l'année 884 de l'hégire: les tribus voisines étant venues leur offrir des présents de chevaux, les turcs s'empressèrent [illegible] en tribut régulier —

Ce nom désigne encore une contribution annuelle de 2f 25c par maison que les turcs frappèrent sur les habitants de Constantine.

impôts réguliers

Ghorama: C'est l'impôt personnel sur les tribus; il ne varie jamais

El Guetia: (Prix fait): Si la tribu imposée venait à décroître, un soulagement d'impôt lui était accordé; si elle reparaissait prospère, l'impôt était rétabli dans son premier état.

De l'Impôt

L'impôt (Maghram) n'est payé que par le Raya.

Par Raya dans les états musulmans on entend la population vaincue par opposition à la population conquérante, dominatrice qui est désignée sous le nom de Mouloukh. (1)

Ont été considérés comme Mouloukh en Algérie, ceux qui à différentes époques ont dominé l'Algérie par la force des armes.

En première ligne apparaissent les arabes venus de l'Arabie qui sous la conduite de Okba ben el Naamir et de Mouça ben Naceur ont imposé la loi musulmane et les droits de la conquête aux populations chrétiennes indigènes établies dans le Moghreb.

Ces arabes conquérants sont désignés sous le nom général de Mehall (2) (de Mehalla, troupe, armée). Les populations qu'ils ont vaincues ont formé cette nationalité d'origine incertaine à laquelle ils ont donné le nom de Kabyle (de Kebyla, village, chaumière) parcequ'ils habitaient des villages, des maisons, pour les distinguer des Arabes qui n'habitaient que des tentes d'où leur est venu le surnom de Beda Aoua (Aoua vie, Beda libre) dont nous avons fait le mot bedouin.

Les Kabayles furent les premiers Raya des Arabes Mehall.

Plus tard les Mehalls perdirent leurs titres et leurs privilèges de Mouloukh et devinrent, comme les Kabyles, des Rayas, quand à la domination arabe succéda la domination berbère. Alors les grandes tribus Lanadjia, Masmouda et Zenata, auxquelles appartenaient les Lamtounes, venues des bords de l'Océan sous les ordres de Youssouf ben Tachefin (année 462 de l'hégire 1070 J.C.) et de Abd el Moumen (année de l'hégire 514, 1120 J.C.) sous le prétexte de régénérer l'Islamisme abâtardi, envahirent le Maroc, toute l'Algérie actuelle et une partie du Royaume de Tunis.

Ces tribus guerrières et conquérantes qui s'étaient donné les noms d'El Merabit, les Marabouts et d'El Moahedine, directeurs de la religion, (dont nous avons fait par corruption

(1) Les mots Mouloukh souverains, Mamlouk affranchis, Moulay Empereur, Moulk possession, doivent avoir une racine commune.

(2) Dans la province d'Oran une grande partie des arabes de l'aghalik

  Rapport sans nom d'auteur 1840 1840

de contribution, a labouré illégalement des lieux carrés de prairies qui étaient réservés pour faire des foins, et qu'il n'a pas été puni d'une amende de cinq centimes ?

§ 5.

Contributions diverses.

—

Farahh.

Le farahh était le droit d'investiture sous l'ancien gouvernement.

« il a semblé de la dignité de la France de renoncer à un usage qui n'était pour les chefs qu'un prétexte fourni à leur avidité et un moyen d'extorsion, au préjudice des populations. » (ministère de la guerre. tableau de la situation des établissements français en algérie, en 1838. tom. 2. p. 41.)

Est-il vrai que les arabes paient le farahh à leurs Scheikhs ?

Que les Scheikhs payent le farahh à leurs Caïds ?

Que les Caïd payent le farahh au Khalifas ?

Le Khalifa verse-t-il le farahh au Trésor ?

Quelles sont les sommes versées ?

Par qui versées ?

Par qui ordonnées ?

Touizza.

—

L'ancien gouvernement faisait cultiver les terres du Beylik par la Touizza ou corvée imposée aux cultivateurs sur les lieux voisins des cultures du Beylik.

Est-il vrai que le Khalifa Ali, locataire du domaine du Beylik, sur lesquels on cultivait autrefois, à la Touiza, se soit substitué non au Bey (qui n'avait pas le droit de Touiza) mais au Beylik, et cultive de cette manière une partie des terrains qui lui ont été loués ou concédés par le conseil d'administration?

Prendre à ce sujet des informations dans les douars ou tribus situés dans le voisinage des terres cultivées par le Caïd Ali.

Mohr. Bachra.

Le mohr. bachra était un droit de l'ancien beylik sur les chevaux.

Est-il vrai que le Khalifa ait, à ce titre, demandé et obtenu, à son profit, des chevaux des tribus ou des particuliers?

Prendre à cet égard des informations chez les Harakta.

Il est inutile de dire que le gouvernement a renoncé à ces droits.

Requisitions.

La requisition des bêtes de somme n'existait pas dans l'ancien gouvernement, parce que le Beylik possédait 10.000 chameaux, 1800 mulets, et 600 chevaux de transport, etc. qu'il utilisait, suivant les besoins.

Jusqu'au 1er Janvier 1842, l'administration militaire faisait ses convois par le train des équipages, ou par des transports

auxiliaires, dont M. Duché était entre preneur, à raison de 17 f. 50 le quintal métrique, de Philippeville à Constantine.

Au 1er Janvier 1842, M. le général Négrier a substitué au mode régulier de transport, et qui avait toujours suffi aux besoins de l'administration, le mode de réquisition sur les tribus, à un prix inférieur.

L'administration militaire se trouve-t-elle aussi bien de ce dernier mode ?

Les arabes touchent-ils, ou ne touchent-ils pas le prix de leurs transports ?

Le Khalifa, qui s'est substitué à l'administration de M. Duché, ne trouve-t-il pas dans ce nouvel impôt sur les arabes, une source nouvelle de fortune ?

N'est-il pas à craindre que les arabes vexés, ruinés, peut être battus ou emprisonnés à cause des transports par la voie des réquisitions, ne s'éloignent de nous, et ne veuillent plus faire de transports pour l'État, à raison de 7 fr, quand le commerce continue encore à payer 15 et 18 f. et même 25 fr. pendant l'hyver ?

Sur les lieux, il sera facile d'apprécier l'opportunité ou l'inopportunité de ces transports faits par la voie des réquisitions.

Amendes.

Serait-il vrai que le Khalifa prélevât de nombreuses amendes à son profit, et permît que tous les

عشر - ذكر de l'ascher et de l'achour

8b 1838

Le mot ascher comme dans la province d'Alger, [illegible] en tant que signifiant un impot prélevé au profit du gouvernement ne l'est point dans la province d'Oran sous cette signification. il ne désigne à Oran que la dime que tout fidèle musulman doit lui-même prélever sur ses biens pour les pauvres. cette dime est d'ailleurs de prescription religieuse n'était point exigée par les Turcs. son acquittement n'intéresse que la conscience.

L'impot proprement dit se nomme lezma. il se percevait deux fois par an. on distinguait la lezma d'été (lezma [illegible] estiff) et la lezma d'hiver (lezma [illegible]). il doit toujours être acquitté en argent. ce n'est qu'à la dernière extrémité qu'on permettait quelquefois de l'acquitter en nature une très légère partie. les moutons étaient la seule chose reçue en compensation.

L'impot était déterminé par le bey. il était à peu près constant quant aux sommes exigées. toutes les tribus étaient portées sur les registres du beylik avec les sommes pour lesquelles elles devaient contribuer. au moment de la perception des impots, l'agha répartissait entre les diff. chefs du maghzen les lettres désignant les perceptions à faire, leur montant et les tribus contribuables. le maghzen se mettait en marche et recouvrait violemment l'impot. — il avait pour sa part 10 pour 100 (cent boudjous pour mille) lui-même n'était astreint à aucune charge. le maghzen, dit Mustapha, tue et meurt. il prend et ne donne pas.

à côté de la lezma ou impot en argent existait la mouna ou impot en nature. cet impot était aussi inscrit sur les registres du beylick pour la quotité. il s'acquittait en blé, orge, graine &... les paiements en argent n'étaient point reçus que dans de cas très rares. la mouna se percevait une fois par an, en été. (la mouna qui veut dire proprement provision parait répondre assez exactement à l'impot ascher d'alger.)

[illegible]

ببليوغرافية البحث

I — دور المحفوظات :

(1) — محفوظات الغرفة التجارية بمرسيليا .
Archives de la Chambre de Commerce de Marseille (A.Ch.C.M.).

Archives du Gouvernement Général . (A . G . G .) . — (2)

(3) — محفوظات وزارة الحربية الفرنسية بفانسان .
Archives du Ministère de la Guerre de Vincennes à Paris. (A.M.G.).

(4) — المحفوظات الوطنية بباريس .
Archives Nationales de Paris . (A . N . P .) .

(5) — محفوظات ما وراء البحار بايكس — آن — بروفانس .
Archives d'Outre-Mer à Aix - En - Provence . (A . O . M .) .

II — الببليوغرافية :

(1) — المصادر والمراجع باللغة العربية .

(2) — المقالات باللغة العربية .

(3) — المصادر والمراجع باللغة الفرنسية .

(4) — المقالات باللغة الفرنسية .

ARCHIVES :

(1) محفوظات الغرفة التجارية بمرسيليا :

A . Ch . C . M . :

— A.Ch.C.M. Compagnie Royale d'Afrique : Liasse 1777 à 1794 : livre de ventes " Corail , Cuirs , Laines , Cires , Blé " .

— A.Ch.C.M. Série L III . Nº 1221 : Compagnie Royale d'Afrique : Journal de Bône faisant état des concessions de la C. R. A. dans le Beylik de Constantine ; en date du 16 Mars 1 7 9 1 .

— A.Ch.C.M. Compagnie Royale d'Afrique : Bône-Journal (1791-1794), Lettre du 31 - 10 - 1792 ; rédigée par Guibert adressée à la compagnie d'Afrique: "Refus de Salah-Bey de livrer du blé à la C.R.A."

— A.Ch.C.M. Compagnie Royale d'Afrique-Bône-Journal 1961 - 1793 lettre du 28 Avril 1791 rédigée par Guibert adressée à la compagnie d'Afrique " Pourparlers avec Salah - Bey relatifs au prix du blé."

— A.Ch.C.M. Compagnie Royale d'Afrique : Journal de la Calle L III. 1062 - 1094 : Lettres des consuls à la chambre de commerce de Marseille.

— A.Ch.C.M. Liasse L III. 1220 à 1230. (1791 - 1794). Journal de Bône : " Factures du Blé arrivé à Marseille " .

ARCHIVES :

A . G . G . :

— A . G . G . Tournée chez les Ouled Abd - En - Nour , en date du 10 - 12 - 1844 .

— A . G . G . K . K . Registre Statistique de la Province de Constantine 1845 .

— A . G . G . Série 6 . H . Affaires indigènes : Chefs indigènes du Constantine 1846 .

— A . G . G . Etude sur les Impôts Arabes en Algérie, Alger, Imprimerie GOJOSSO et CIE 1879 .

مخطوطات وزارة الحربية بفانسان :

ARCHIVES :

A. M. G. :

- A. M. G. H. 227, Reconnaissances faites dans la province de Constantine en 1837, 1838 et 1839, Rapport rédigé par Niel le 1er Juillet 1839 intitulé : Informations sur la structure sociale des Tribus principales, sur les villes et l'Administration du Beylik.

- A. M. G. H. 225, Route de Bône à Constantine dite d'"El-Magar" suivie par les caravanes, Rapport rédigé en Mai 1832 par le Capitaine d'Etat-Major. F. Hypolite.

- A. M. G. H. 228, Renseignements sur l'organisation administrative du Beylik de Constantine avant la prise de Constantine par l'Armée Française, Rapport anonyme rédigé en 1840.

- A. M. G. H. 209, 2eme Expédition de Constantine. Oct. 1837 : Journal du Capitaine du Génie prédourery : sur la position de Sétif, lieu d'échange entre les produits de la pluine... ceux d'Europe et du Sahara.

— A . M . G . H . 209, Etat Major de l'armée. 2ème Expédition de Constantine, Oct. 1837. Journal du Capitaine du Génie prédoutery : " Le Choléra fait des ravages " .

— A . M . G . H . 226, Rapport sur le système monétaire de Constantine : organisation financière, administrative et politique du Beylik de Constantine les redevances périodiques à titre d'investiture, les contributions payées par les tribus. Rapport rédigé par ROUSSEAU le 29 - 9 - 1832 et soumis à Mr BLONDEL, directeur des Finances à Alger.

— A . M . G . H . 228. 1840 - 1843, Rapport sans nom d'auteur intitulé " Contributions diverses des populations de la province de Constantine ".

— A . M . G . H . 235. Copie de l'organisation des cavaliers du Makhzen de la province de Constantine.

— A . M . G . H . 236. Province de Constantine : " Tribus insurgées".

المخطوطات الوطنية بباريس :

A . N . F . :

- A . N . P . F . 80 . 1672 , Rapport du Sous-Substitut Renaud Le Bon - 6 Août 1836 . Expédition de Constantine . 1837 .

- A . N . P . F . 80 . 1807 . Sénatus Consulte du 22 Avril 1865 . Statistiques au 1er Janvier 1867 . " Azels de la province de Constantine " .

- A . N . P . F . 80 . 1672 , " De l'Achour et de l'Hochor ", Rapport rédigé par E. Deuilley .

- A . N P . F . 80 . 522 , Rapport relatif à la situation de la propriété dans le Beylik de Constantine , rédigé par Warnier, en date du 15 - 2 - 1841 .

محفوظات ما وراء البحار بآكس - آن - بروفانس :

ARCHIVES D'OUTRE-MER A AIX-EN-PROVENCE (A.O.M):

MICROFILMS :

— 15 Mi - 53 - Vol. 13 / 90 . Fiscalité : Impôts en nature de l'Achour sur les Tribus de la Régence d'Alger : Microfilm disponible aux A.O.M à Aix - En - Provence .

— 1 Mi - 65 - à 1 Mi - 70 . Série Z : registres contenant des renseignements sur les Impôts, leur répartition, leur perception selon les richesses des Tribus et l'importance de leur population : Microfilms disponibles aux A . O . M . à Aix - En - Provence .

— 15 Mi - 52 - Vol. 65 : Désignation des personnes pour la Mahalla dans toute la Régence d'Alger : Relevé des effectifs et des noms . (1822 - 1823) . 23 feuillets en Arabe : Microfilm disponible aux A. O. M. à Aix - En - Provence .

— A . O . M . F . 80 . 522 ou F . 80 . 1822 : Rapport relatif au résumé des recherches sur l'Impôt, particulièrement dans le Tell oriental et dans le Tell occidental, rédigé par Mr WARNIER (Membre de la Commission Scientifique de l'Algérie) . 1841 .

البيبليوغرافية : BIBLIOGRAPHIE

المصادر والمراجع باللغة العربية :

— ابن أبي الضياف ، أحمد : أتحاف أهل الزمان بأخبار وملوك تونس وعهد الأمان "دولة أحمد باي" . منشورات الجامعة التونسية 1971 .

— ابن أشنهو ، عبد اللطيف : تكوين التخلّف في الجزائر ، محاولة لدراسة حدود التنمية الرأسمالية في الجزائر بين 1830 و 1962 . الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1979 .

— إسماعيل ، العربي : المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر . ؟ ؟ .

— بلحميسي ، مولاي : الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني . الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1979 .

— بوعزيز ، يحيى : علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا (1500 — 1830) . ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1980 .

— حليمي ، عبد القادر : جغرافية الجزائر ، طبيعية ، بشرية ، إقتصادية . مطبعة الانشاء ، الطبعة الثانية ، دمشق 1968 .

— حمدان بن عثمان خوجة الجزائري : أتحاف المنصفين من الأدباء في الإحتراس عن الوباء ، تقديم و تحقيق محمد بن عبد الكريم ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر 1952 .

— الزبيري ، محمد العربي : التجارة الخارجية للشرق الجزائري قبل الإحتلال (1792 — 1830) . الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر 1972 .

— سعيدوني ، ناصر الدين : النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني (1792 — 1830) . سلسلة الدراسات الكبرى ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الطبعة الثانية ، الجزائر 1985 .

— سعيدوني ، ناصر الدين : دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر ، العهد العثماني . سلسلة الدراسات الكبرى ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1984 .

— سعيدوني ، ناصر الدين : دراسات في الملكية العقارية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1986 .

— سعيدوني ، ناصر الدين و بوعبدلي ، المهدي : الجزائر في التاريخ ، العهد العثماني . وزارة الثقافة و السياحة ، المؤسسة الوطنية للكتاب 1984 .

— سعد الله ، أبو القاسم : تاريخ الجزائر الحديث ، بداية الإحتلال . معهد البحوث و الدراسات العربية ، قسم البحوث التاريخية والجغرافية ، القاهرة 1970 .

— شالاي ، فيليستان : تاريخ الملكية تعريب صالح كنعان ، الشركة الوطنية للنشر ، ؟

— شلوصر ، سندلسين : قسنطينة أيام الحاج أحمد باي (1832—1837).
ترجمة أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ؟ ؟ .

— صالح ، نور : مساهمة في دراسة بعض الجوانب التاريخية للعهد العثماني من سنة 1517 م الى سنة 1837 م ، ترجمة و دراسة نقدية لكتاب فايسات . دبلوم الدراسات المعمقة في التاريخ و الترجمة، جامعة الجزائر 1978 .

— علي المتيت ، أبو اليزيد : الضرائب غير المباشرة . الاسكندرية 1975 .

— العنتري ، محمد الصالح : سنين القحط و المسغبة ببلد قسنطينة ، مخطوط رقم 2330 وضع بتاريخ 17 مارس 1870 بالمكتبة الوطنية الجزائرية .

— القشاعي موساوي ، فلة : الريف القسنطيني إقتصاديا و اجتماعيا أواخر العهد العثماني (1792 — 1837) . دبلوم الدراسات المعمقة في التاريخ الحديث ، جامعة الجزائر ، معهد التاريخ و الآثار، جوان 1983 .

— كروزيه ، موريس : تاريخ الحضارات العام ، القرن الثامن عشر، المجلد الخامس، تعريب يوسف أسعد داغر، منشورات عويدات ، بيروت1968 .

— محمد عبد المنعم ، جمال : الضرائب العقارية و المحلية ؟ ؟ .

— مبارك الميلي ، الحاج أحمد : تاريخ حاضرة قسنطينة . تصحيح وتعليق نور الدين عبد القادر ، الجزائر 1952 .

المقالات باللغة العربية :

- سعيدوني، ناصر الدين ، " دور قبائل المخزن في تدعيم الحكم التركي بالجزائر " المجلة التاريخية المغربية ، عدد خاص ، تكريما للأستاذ مارسال أمري، عدد 7 و 8 ، جانفي / يناير ، تونس 1977 .

- سعيدوني، ناصر الدين ، " وضعية عشائر المخزن الإجتماعية والآثار التي ترتبت عليها ". مقال ورد في المجلة التاريخية المغربية، عدد خاص ، عدد 7 و 8 ، جانفي 1977.

- سعيدوني، ناصر الدين ،" الإنسان الأوراسي وبيئته الخاصة ". مقال ورد في مجلة الأصالة، العدد 60-61 أوت - سبتمبر سنة 1978.

- سعيدوني، ناصر الدين ،" أوقاف الأندلسيين بالجزائر من خلال وثائق الأرشيف الجزائري " ، بحث منشور في دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، العهد العثماني ، الجزء الثاني ، الجزائر 1988 .

المصادر والمراجع باللغة الفرنسية :

SOURCES ET OUVRAGES DE REFERENCE :

— ADDI (L.) : De l'Algérie pré-coloniale à l'Algérie coloniale. " Economie et société " , Entreprise Nationale du livre, Alger 1985

— AGERON (Ch.R): Histoire de l'Algérie contemporaine (1830 -1970). P.U.F. Que - sais - je ? 4ième Edition, mise à jour, paris 1970 .

— AUCAPITAINE (Le Baron Henry): Etude sur la caravane de la Mecque et du commerce de l'intérieur de l'Afrique. J. Claye . Paris S. D.

— BADJADJA (A.) : La Bataille de Constantine. (1836 - 1837) , Constantine 1982 .

— BARBUT (M.) : La propriété Rurale et la Colonisation , Encyclopédie Mensuelle d'Outre-Mer , Alger 1954 .

— BAUDICOURT (D.E.) : La Guerre et le Gouvernement de l'Algérie . Sagnier et Bray , Paris 1853 .

— BELHAMISSI (M.) : Histoire de la Marine Algérienne.(1516-1830) . Entreprise Nationale du livre. N° d'Edition 1374/83, Alger 1983 .

— BENOIST - MECHIN : Mustapha Kamel ou la mort d'un empire . Editions Albin Michel , Paris 1954 .

— BERNARD (P.) : Les anciens impôts de l'Afrique du Nord. Ed. Tablettes, St Raphaël , Paris 1925 .

— BERNARD (A.) , LA CROIX (W.) : L'Evolution du nomadisme en Algérie , Alger Jourdan , Paris A. Challamel 1906 .

— BERQUE (J.) : Etudes d'Histoire Rurale Maghrébine , Les Editions Internationales , Tanger - Fez 1938 .

— BOCHARD (A.) : Impôts Arabes en Algérie , Extrait du journal des Economistes - Nov. Déc. 1892 , Paris Guillaumin et Cie 1893 .

— BOUABBA (Y.) : Les Turcs au Maghreb central du 16a Siècle au 19a Siècle . Collection " Pour Tous " , S. N. E. D. , Alger 1972 .

— BOUKHOBZA (M.) : L'Agro-pastoralisme traditionnel en Algérie : De l'ordre tribal au désordre colonial , O . P . U . , Alger 1982 .

— BOURGUIBA (R.) ; Constantine , collection " Art et culture " , Alger 1978 .

— BONTEMS (C.) : Manuel des Institutions Algériennes , de la domination Turque à l'Indépendance. T.1. "La Domination Turque et le régime militaire (1518-1870). Ed. Cujas , France 1976 .

— BRAHIMI (D.) : Opinions et regards des Européens sur le Maghreb aux XVII^ème^ et XVIII^ème^ Siècles , Société Nationale d'Edition et de Diffusion , Alger 1978 .

— BOYER (P.) : La vie quotidienne à Alger à la veille de l'intervention Française . Imprimerie Nationale , S.A. Monaco,Paris 1964.

— CALVELLI (M.A.E.) : Etat de la propriété Rurale en Algérie . Imprimerie Victor Heintz , Alger 1935 .

— CARETTE (E.) : Du commerce de l'Algérie avec l'Afrique centrale et les Etats Barbaresques . Guyot , Paris 1844 .

— CARETTE (E.) : Etudes sur la Kabylie proprement dite.Paris 1848.

— COLLOT (C.) : Les Institutions de l'Algérie durant la période coloniale . (1830 - 1962) . Editions du C . N . R . S . Paris , O . P . U . Alger 1987 .

— COSTE (H.) : Les Impôts Achour et HOCKOR dans le Département de Constantine . A. Jourdan , Alger 1911 .

— COSTE (M.) : L'Elevage dans les Hautes-plaines Constantinoises. S.D.

— COSTE (M.) : Mutations Rurales en Algérie : Le cas des Hautes-plaines de l'Est . Alger , O . P . U . 2eme Edition . 1981 .

— COTE (C.) : Sedrata , Miroir aux alouettes ? ou la croissance démographique démesurée d'une petite ville de l'Est Algérien . Mémoire de maîtrise de géographie – Université de Lyon . Faculté des Lettres et Sciences Humaines . S.D.

— DAHMANI (B.) : Les origines du Sous-Développement en Algérie, Oran 1981 .

— DAUMAS (Le Colonel) : Exposé de l'Etat actuel de la Société Arabe , du Gouvernement et de la législation qui la régit : sur l'assiette de l'Impôt en Algérie et sur la recherche des immeubles et biens de toute nature provenant de l'ancien Beylik ,Imprimerie du Gouvernement , Novembre 1844 .

— DAUMAS (E.) : Moeurs et coutumes de l'Algérie : une Tribu de Marabouts . Editions la Bibliothèque Arabe : SINDBAD , collection " l'Histoire décolonisée " , Paris 1988 .

— DESPOIS (J.) , RAYNAL (R.) : Géographie de l'Afrique du Nord -Ouest . Paris , Payot 1967 .

— DEVOULX (M.) , TACHRIFFAT : Recueil de notices Historiques sur l'Administration de l'ancienne Régence d'Alger , Alger 1853 .

— DUPUY (A. H.) : Les Impôts indigènes en Algérie . Imprimerie G O J O S S O , Alger 1910 .

— DUREAU (De la Malle) : La province de Constantine , recueil de renseignements . Paris 1837 .

— DUREAU (De la Malle) : Constantine , Rendez-vous des caravanes S . D .

— EMERIT (M.) : L'Algérie à l'époque d'Abdelkader : Gouvernement Général de l'Algérie . Collection de Documents inédits sur l'Histoire de l'Algérie , 2ième Série - Documents divers . T IX, Paris Larose 1951 .

— FANNY (COLONNA) : Savants paysans : Eléments d'Histoire Sociale sur l'Algérie . O . P . U . , Alger 1987 .

— FERAUD (L. Ch.) : Notice sur la Tribu des Ouled Abd-En-Nour . Constantine 1864 .

— FERAUD (L. Ch.) : " Kitab El Adouani " ou le Sahara de Constantine : Notes et Souvenirs . Adolphe Jourdan libraire Editeur.Alger 1887 .

— GAID (M.) : L'Algérie sous les Turcs . Maison Tunisienne de l'Edition , S . N . E . D . Alger 1974 .

— GAID (M.) : Chronique des Beys de Constantine . O.P.U. Alger S.D

— GAUTHIER (A.) : L'Algérie : Décolonisation - Socialisme - Industrialisation - Géographie Economique . Bréal 1976 .

— GENTY De Bussy : L'Etablissement des Français en Afrique du Nord : Province de Constantine . S . D .

— GOURGEOT (F.) : Les Sept plaies de l'Algérie . Imprimerie Pierre Fontaine , Alger 1891 .

— GUEIT (A.) : Du régime des terres arch. Paris 1910 .

— HANOTEAU (A.), LETOURNEAUX (A.) : La Kabylie et les coutumes Kabyles . Paris 1893 .

— HENNI (A.) : Etat , Surplus et Société en Algérie avant 1830 . Entreprise Nationale du livre , Alger 1986 .

— JULIEN (Ch. A.) : Histoire de l'Algérie contemporaine , la conquête et les débuts de la colonisation (1827 - 1871) . P. U. F., Paris 1964 .

— LACOSTE (Y.) : Unité et diversité du Tiers-Monde . Rapports plaine-montagne en grande Kabylie . In revue Herodote . Ed . F . Maspero , Paris 1981 .

— LAMBERT : Manuel de législation Algérienne . S . D .

— LAROUI (A.) : L'Histoire du Maghreb : un essai de Synthèse . Petite collection François Maspéro , Paris 1976 .

— LAUFENBURGER (H.) : Traité d'Economie et de Législation Financière : Revenu , Capital et Impôt . Librairie du Recueil Sirey .4eme Edition , Paris 1950 .

— LEON (P.) : Histoire Economique et Sociale du Monde : Inerties et Révolutions . (1730 – 1840) . Armand Colin , Paris 1978 .

— MANTRAN (R.) , SAUVAGET (J.) : Réglements Fiscaux ottomans : Les provinces Syriennes . Librairie d'Amérique et d'orient .Adrien -Maisonneuve , Paris 1951 .

— MAUNIER (R.) : Coutumes Algériennes . Domat-Montchrétien , Paris S . D .

— MAUROY (M.) : Du commerce des peuples de l'Afrique Septentrionale . Paris 1845 .

— MARCHIKA (J.) : La peste en Afrique Septentrionale : Histoire de la peste en Algérie de 1363 à 1830 . Thèse pour le Doctorat en Médecine , Jules Carbonel , Alger 1927 .

— MERAD BOUDIA (A.) : La formation Sociale Algérienne pré-coloniale : Essai d'Analyse théorique . O . P . U . , Alger 1980 .

— MERCIER (E.) : Constantine au XVI^{e} Siècle . Elévation de la famille El-FEGGOUN . Typographie , L. Arnolet. Braham Successeur , Constantine 1879 .

— MERCIER (E.) : Histoire de Constantine. Constantine 1903 .

— MERCIER (E.) : Constantine avant la conquête Française. Constantine 1879 .

— NAIT DJOUDI (O.) : Les Facteurs d'Evolution Economique dans les montagnes Telliennes et Rifaines - Université de Poitiers - Dpt Géographie 1981 .

— Notice sur le Mode de Gouvernement établi dans le Royaume d'Alger, (Anonyme - S . D .) .

— NOUSCHI (A.) : Enquête sur le niveau de vie des populations rurales Constantinoises de la conquête jusqu'en 1919 . Essai d'Histoire Economique et Sociale . Presses Universitaires de France . Ouvrage publié avec le concours du C . N . R . S . , Paris 1961 .

— NOUSCHI , PRENANT , LACOSTE : L'Algérie , passé et présent : Le cadre et les étapes de la constitution de l'Algérie actuelle .Ed. Sociales , Paris 1960 .

— PELLISSIER DE REYNAUD : Annales Algériennes , 1ere Ed. Vol.I.II.

III. Muselin et Gautier Laguione , Alger 1836 .

— PEYSSONNEL et DESFONTAINES : Voyages dans les Régences de Tunis et d'Alger , publié par Dureau De la Malle , Paris 1838 .

— ROBE (E.) : De l'Impôt en Algérie , Typographie Bastide , Alger 1871 .

— ROBERT : Dictionnaire Universel des noms propres , rédaction dirigée par Alain Rey , Nouvelle Edition revue , corrigée et mise à jour pour 1987 .

— ROZET (H. P.) : Alger in " Univers pittoresque " , F . Didot , Paris 1862 .

— ROZET et CARETTE : Algérie et Etats Tripolitains par Mr Le Docteur Ferd. Hoefer , 2ième Ed. Ed. BOUSLAMA , Tunis 1980 .

— RUEDY (J.) : Land policy in colonial Algéria . University of California , Los Angeles 1967 .

— SEBHI (S.) : Mutations du Monde Rural Algérien : Le Hodna.O.P.U. Alger 1987 .

— SELTZER (P.) : Le climat de l'Algérie . J. Carbonel, Alger 1946.

— SHALER (W.) : L'Algérie pittoresque : Tableau des recettes pour 1828 . Imprimerie clausolles , Toulouse 1843 .

— SHALER (W.) : Esquisse de l'Etat d'Alger . Traduit de l'Anglais et enrichi de notes par Bianchi (X.) , Ladvocat , Paris 1830 .

— SHAW (Dr) : Voyage dans la Régence d'Alger . Traduit de l'Anglais par J. Mac Carthy , Paris 1871 .

— Tableau des Etablissements Français : Des Impôts et Revenus de la Régence : Le Beylik de Constantine (1830 - 1837) .

— Tableau des Etablissements Français : Revenus de la province de Constantine 1840 .

— TEMIMI (A.) : Le Beylik de Constantine et Hadj Ahmed Bey . (1830 - 1837) . Publications de la Revue d'Histoire Maghrébine , Vol. 1 , Tunis 1978 .

— TROUSSEL (L. M.) : Les Impôts Arabes en Algérie , leur suppression , leur remplacement - Bastide Jourdan , Alger 1912 .

— TURIN (Y.) : Affrontements culturels dans l'Algérie coloniale . Ecoles . Medecins . Religions . (1830 - 1880) . Librairie François Maspéro . 1971 . 2eme Ed. E . N . A . L . , Alger 1983 .

- TYAN (E.) : Institutions du Droit public Musulman . Tome 1 : Le Califat . Recueil Sirey - Paris V . Ouvrage publié par le concours du C . N . R . S . , Paris 1957 .

- URBAIN et WARNIER : Organisation et situation de Constantine à l'époque de l'occupation . Octobre 1837 . Tableau 1840 : Revenus de la province .

- VAYSSETTES (E.) : Histoire des derniers Beys de Constantine , de 1793 jusqu'à la chute de Hadj Ahmed Bey . Constantine 1848 .

- VENTURE De Paradis : Alger au XVIII ieme Siècle . Edité par Mr FAGNAN , 2 ième Ed. Ed. Bouslama , Tunis S . D .

مقالات باللغة الفرنسية :

— Ahmed (Bey.) : " Les Mémoires d'Ahmed Bey , dernier Bey de Constantine " . In R . A . N° 93 - 94 . Année 1940 - 1950 . Edité et commenté par M. EMERIT .

— BACHROUH (T.) : " Sur la Fiscalité Muradite : Présentation d'une source et des premiers résultats en cours " . In les Cahiers de Tunisie . T. XX . N° 79 / 80 . 1972 .

— BENSLIMANE (A.) : " Féodalité et paysannerie dans l'Algérie pré-coloniale " . In revue " Terre et progrès " : Revue du M. A. R. A. Année ? ? .

— BERBRUGGER (A.) : " Epoque de l'Etablissement des Turcs à Constantine " . In R. A. N° 1 . Années 1856 - 1857 . O. P. U. 1986 .

— BERBRUGGER (A.) : " Notes relatives à la révolte de Ben-Sakhri". In R. A. N° 10 . Année 1866 .

— BOIS (Ch.) : " Famines et Secheresses en Algérie " . In Revue pour l'Etude des calamités . N° 28 - 29 . Genève 1950 - 1951 .

— BOYER (P.) : " Contribution à l'Etude de la politique religieuse

des Turcs dans la Régence d'Alger au XIX eme Siècle " . In Revue de l'occident Musulman et de la Mediterranée . 1966 .

— CHAUVET (A.) : " Une écriture de la géographie régionale du Maghreb " . In " l'Espace géographique " . Nª 4 , Université de Nantes . S . D .

— CHERBONNEAU (A.) : " Inscription Arabe de la Medersa de Sidi L.AKHDAR à Constantine " . In R.A. Nª 3 , Années 1858 - 1859 .

— COUR (A.) : " Constantine en 1802 , d'après une chanson populaire du poète Cheikh Belqâsem Er-Rahmouni El-Haddad " . In R.A Nª 60 , Année 1919 .

— DHINA (A.) : Aspects de l'ancienne Société Musulmane : Institutions Fiscales en Andalousie . Article paru in " El-Moudjahid" du 28 Mai 1987 .

— DOURNON (A.) : " Kitab Tarikh Qosantina , attaque de Cherif Ben El-Ahrach , 1804 " . In R. A. Nª 57 . 1913 .

— EMERIT (M.) : " La situation Economique de la Régence d'Alger". In I. H. Mars - Avril 1952 .

— EMERIT (M.) : " Les Tribus privilégiées en Algérie dans la pre-

mière moitié du 19ème Siècle " . In Annales Economies , Sociétés, civilisations , Nº 1 . Janv. Fév. 1966 .

- FERAUD (L. Ch.) : " Notes relatives à la révolte de Ben-Sakhri". In R. A. Nº 10 , Année 1866 . O . P . U . 1985 .

- FERAUD (L. Ch.) : " Révolte du Cherif Ben-El-Ahrach " . In R.A. Nº 57 . Année 1913 . O . P . U . 1985 .

- FERAUD (L. Ch.) : " Documents pour servir à l'Histoire de Bône". In R. A. Nº 32 . Année 1888 .

- FERAUD (L. Ch.) : " Les corporations des métiers à Constantine avant la conquête Française : Manuscrit traduit de l'Arabe ", paru in R. A. Nº 16 . Année 1872 , O . P . U . 1985 .

- FERAUD (L. Ch.) : " Les Ben-Djellab , Sultans de TOUGGOURT , Notes Historiques sur la province de Constantine " . In R. A. Nº 23. Année 1879 . O . P . U . 1985 .

- FERAUD (L. Ch.) : " Marabouts et Djouads " . In R. A. Nº 41 . Année 1897 . O . P . U . 1985 .

- FERAUD (L. Ch.) : " Exploitation des Forêts de la Karasta dans la Kabylie orientale sous la domination Turque ". In R. A. Nº 13. Année 1869 .

— FERAUD (L. Ch.) : " Revenus de la province " . In R.A. Nª 3. Années 1858 - 1859 , O . P . U . 1985 .

— FERAUD (L. Ch.) : " Les Chérifs Kabyles de 1804 à 1809 dans la province de Constantine " . In R. A. Nª 13 . Année 1869 .

— FERAUD (L. Ch.) : " Ferdjioua et Zouar'a " : notes Historiques sur les Tribus de la province de Constantine . In R. A. Nª 22 . Année 1872 .

— GJEGHLOUL (A.) : " La Formation Sociale Algérienne à la veille de la colonisation " . In revue des cahiers du CDSH . Université d'Oran 1981 .

— LALOË (F.) : " A propos des manuscrits Arabes de Constantine". In R. A. Nª 66 . Année 1925 . O . P . U . 1986 .

— MANTRAN (R.) : " Le Statut de l'Algérie , de la Tunisie et de la Tripolitaine dans l'Empire ottoman " . Estrattodal volume : Atti del I Congresso internazionale di Studi Nord - Africani - Cagliari . 22 . 25 , Genaīo 1965 .

— MANTRAN (R.) : " Algérie Turque et Sahara " . In le Sahara , rapports et contacts Humains , communication présentée au 7eme colloque d'Histoire organisé par la Faculté des Lettres , la pensée Universitaire . Aix - En - Provence .

— MERCIER (E.) : " HOBBOS et OUKAF ", ses règles et ses jurisprudences . In R.A.T.L.J. N° 11 . 1955 .

— NADIR (A.) : " Les ordres religieux et la conquête Française (1830 -1851) . In R.A.S.J.E.P. Vol. IX . N° 4 . Décembre 1972 .

— NOUSCHI (A.) : " Constantine à la veille de la conquête Française". In C.T. N° 11 . 3e trimestre . 1955 .

— RINN (L.) : " Le Royaume d'Alger sous le dernier Dey " . In R . A. N° 41 . Année 1897 .

— SAIDOUNI (N.E.) : " La conjoncture agraire dans l'Algérois de 1791 à 1830 : Indice de la vie Rurale de l'Algérie ottomane ". Institut d'Histoire - Université d'Alger - 7 au 11 Septembre 1986 .

— TENGOUR (H.) : " Les mots et les choses : note sur la signification de quelques termes courants " : " Le Khammessat " . In Cirta , 3ème Année , N° 5 , Université de Constantine Mai 1981 .

— VAYSSETTES (E.) : " Organisation administrative du Beylik de Constantine " . In R.A. N° 3 . Années 1858 - 1859 .

— WATBLED (E.) : " CIRTA - CONSTANTINE : Expéditions et prise de Constantine . (1836 - 1837) " . In R. A. Année 1870 .

— YACONO (X.) : " Peut - on évaluer la population de l'Algérie en 1830 ? " . In R . A . N° 98 . Année 1955 .

الترتيب الهجائي للفهارس

(1) — فهرس الأعلام والجماعات .

(2) — فهرس الوظائف والألقاب الإدارية .

(3) — فهرس الأماكن والبلدان .

(4) — فهرس الرسالة .

فهرس الأعلام والجماعات

— أ —

— ب —

بني مروان : قبيلة : 99
بني محرز : قبيلة : 103
بني وجالة : قبيلة : 33 ، 146
بني ورثيلان : قبيلة : 17
بني يعلا : قبائل : 17

— ت —

الثلاغمة : قبائل : 15 ، 68 ، 80 ، 130 ، 165 ، 166 .

— ج —

الجبايلية : قبائل : 64

— ح —

الحاج مسعود بن زكرى : باشيار : 144
الحاج علي : داى : 81
الحراكتة : عشائر : 15 ، 17 ، 20 ، 38 ، 44 ، 47 ، 66 ، 106
الحنانشة : عشائر : 34 ، 44 ، 47 ، 66 ، 106 ، 160
حمزة : قبيلة : 33
حسن باشا : عائلة : 103 ، 127

— د —

الدواوير : قبائل : 74
دريد : قبائل : 98 ، 99
دميار : قبيلة : 121 .

— ذ —

— ر —

— ز —

— س —

— ش —

— ص —

— ع —

— غ —

المهاد : قبيلة : 34 .
نعمان : باى : 146.

— و —

وتوغة : قبيلة : 25 .

فهرس الوظائف والألقاب الإدارية

— خ —

الخليفة : 43.46.49.55. 136 .

الخزندار : 46.52.

الخزناجي : 41.55.

خوجة الخيل : 56.

خوجة الرحبة : 75.

— د —

داي : 41 . 45 . 49 . 74 . 163 .

— ش —

الشاوش : 47 . 50 .

شاوش الباي : 53 .

شيخ البلد : 108

شيخ العرب : 72 . 148 . 166 .

شيخ القبيلة أو العرش : 46.48.57.71.105.

شيخ الدوار : 46 .

شيخ الإسلام: 100.

— ق —

قائد : 44 . 53 . 57 . 71 .

قائد الباب : 60 .

قائد الجبيرة : 52 .

قائد الدريبة : 52 .

قائد الدار: 46.51.55.77.90.98 .

قائد المقصورة : 52 . 88 .

قائد السبسي : 52 .

قائد الطاسة : 52 .

قائد المحشور : 43 .56 .57 .61 .72 .77 .85

قائد الجلاب : 16 .

قائد جبري : 56 . 57 . 72 . 77 . 85 .

قائد المحلة : 85 .

قائد السوق : 60 . 75 .

قائد عزيب البقر : 16 .

قائد الحواسي : 46 . 49 .

قائد مهر باشا : 16 . 69 .

— ك —

الكاهية : 47 .

— م —

المزوار : 47 .

— ن —

نائب آغا : 42 .

ناظر الحبس : 50 .

ناظر الأوقاف : 50 .

— و —

وكيل الخرج : 46 .

وكيل الأوقاف : 50 . 55 ..

فهرس الأماكن والبلدان

— أ —

— ب —

— ت —

— ج —

— ق —

— م —

— و —

— ى —

فهرس الرسالة

صفحة

.../...

صفحة

الفصل الرابع :

الفصل الخامس :

خاتمة :